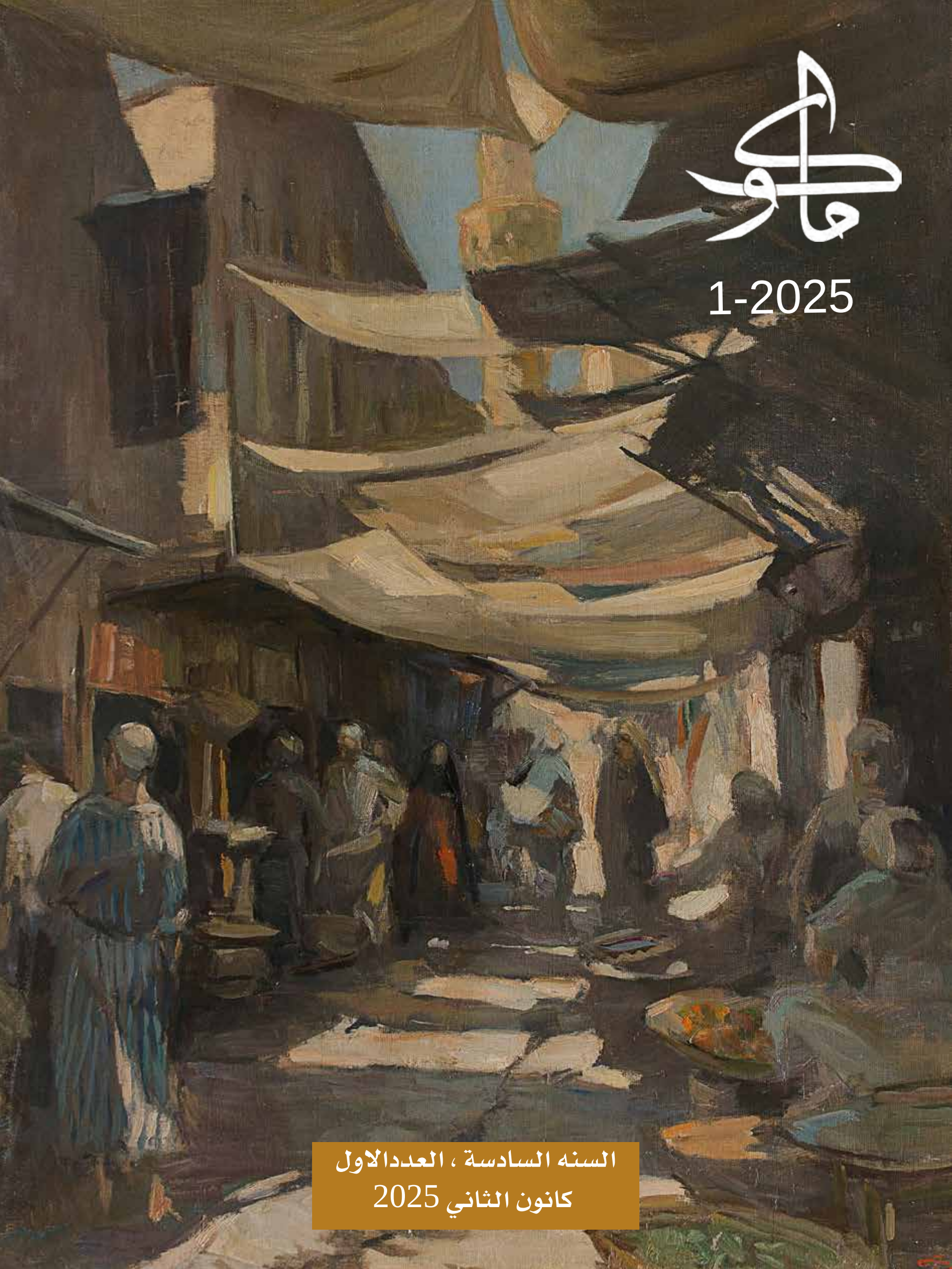




حايو

1-2025

السنة السادسة ، العدد الاول
كانون الثاني 2025



فائق حسن، سوق بغدادي، زيت على القماش، 90 X 70 سم 1960 . مجموعة الابراهيمي. عمان



شارع الرشيد 1956

عن بغداد ... مدينتنا...التي كسروا روحها !

هذه الجملة الافتتاحية ليست للإثارة، ونعترف أننا نقولها بحزن وأسف. لكنه الواقع الحالي لمدينتنا الجلييلة .. واقع له تاريخ من التراكمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فعندما أحاطها حزام الفقر المتمثل بخلف السدة والشاكرية وغيرها من ثأليل الصرائف البائسة التي كانت تنبثق هنا وهناك حتى داخل العاصمة، لم تستطع السياسة آنذاك أن تتخيل حلاً غير تحويل كوارث الريف إلى العاصمة، بتقديم إسكان بلا خدمات ولا قاعدة تحتية حديثة، ما جعل المدينة تعاني من ضغوط هائلة سواء في الخدمات أو القيم والسلوك، مع القضاء على المساحات الخضراء. تبع ذلك فوضى التخطيط المقترن بشعارات سياسية متبجحة بمكارم السلطة وتوزيع الأراضي، وانبثاق مدن صغيرة أحاطت بالمدينة التاريخية ودخلت إلى أحشائها، وحطمت ما تبقى من تاريخها المجيد.

وبعد ما هدمته ثلاثة حروب متتالية وحصار اقتصادي ثم احتلال أميركي، جرى انتهاك القوانين التي تنظم الحياة الحضرية والوظيفية للمدينة، وانقسمت المدينة الواحدة إلى عدة مدن، وانقسمت بيوت الطبقة الوسطى التي نمت في ظل الدولة إلى مجموعة من الأحياء الضيقة، وظهرت العشوائيات، والذوق الفاسد في البناء، والعمارات القبيحة المرتفعة في سياق استثمارات مشبوهة، في حين تحول شارع الرشيد، وهو أقدم شارع في المدينة إلى خرابة ومكب للنفايات.

هذا ما يبرر جملة كسروا روحها .. لكن عدد «ماكو» هذا المكرس لبغداد يوثق بالصور والموضوعات بغداد التاريخية، تذكيرا بماضيها الثري، وبخروجها من محن تاريخ مضطرب، وإشارة إلى شخصيتها الحضارية المثيرة، وشيئا من صراعها مع حوادث وتحديثات ناقصة.

تشكر مجلة ماكو المصور هادي النجار، المصور فلاح حسن، هيثم عزيزة، مجموعة كنده للفن الحديث، الرياض، مجموعة البراهيمي، عمان. أرشيف الفنان هاشم سمرجي، لندن. أرشيف الباحث بدر الحاج، بيروت.

سعد القصاب:

لطيفة الدليمي:

إحسان فتحي :

سهيل سامي نادر :

مقداد عبد الرضا :

مصطفى جمال مراد :

رشيد الخيون :

بدر الحاج :

سعدون الجنابي :

بغداد كصورة: متابعة تاريخية

شارع الرشيد- الباب الشرقي

مدينة الكاظمية، مدينة الأعظمية،

عبد القادر الكيلاني، شواهد تاريخية،

محلات قديمة، تفاصيل معمارية،

متابعة لنهر دجلة، الرصافة والكرخ

روح بغداد المكسورة.

ماكو 2

ماكو 3

الصور تُثني على الغائبين، عن زمن اختفى ولم يصدر عنه أي صوت..

بغداد: زمنٌ متحفّي وحاضرٌ ملتبس.

ماذا تبقى من بغداد العباسية؟

الصورة المؤجلة لشارع الجمهورية.

خيال بغداد الزائل، عن دور السينما التي انقطع ذكرها !

مقاهي بغداد التراثية: روح بغداد وبوابتها إلى الماضي.

بغداد.. اقتراس التَّبَعْد

البطاقات البريدية البغدادية، (المصور الأهلي) هو الأول.

من كتابه رحلة في ذاكرة شارع الرشيد

الايام الأولى والأيام الأخيرة عن هاشم سمرجي وآخرين. يحيى الشيخ

كتاب بغداد ، تاريخها وأثارها. بشير فرنسيس. 1959

بغداديات ، شاعر حسن.



الشاعر معروف الرصافي يقرأ قصيدة مناسبة لافتاح مدرسة

جسر الكطعة عام 1929 سمي (الجسر العتيك) وبعدها (جسر الملك غازي) ولاحقا (جسر الشهداء) تم بناءه في 31 آب 1902

الصور تُثني على الفائين

سعد القصاب

أشبه بخيار من دون تعليل، بل يبدو أن لا أحد يرغب باستذكار العقود التي تلت على الرغم من جسامته ما أحدثته في كيان المدينة والإنسان معاً. تحضر المفارقة في أن ما وثّقته هذه الصور لم يبق منه أثر يذكر. شواخص درست، أماكن تبدلت، شخوص غابوا. زمن اختفى ولم يصدر عنه أي صوت.

الملك فيصل الأول وحفيده فيصل الثاني، الأمير عبد الإله والعائلة المالكة. الزعيم عبد الكريم قاسم يفتش الأرض مرتدياً بيجامته في مكتبه في وزارة الدفاع. الشاعر جميل صدقي الزهاوي غافياً في انتظار شاعر الهند طاغور، قادماً من إيران. معروف الرصافي يقرأ إحدى قصائده بمناسبة افتتاح مدرسة أهلية. السيدة أم كلثوم



عن زمن اختفى ولم يصدر عنه أي صوت..

عن بغداد جواد سليم المزهرة

بالحكايات ..

عن ملامحها المعاصرة محتجبة

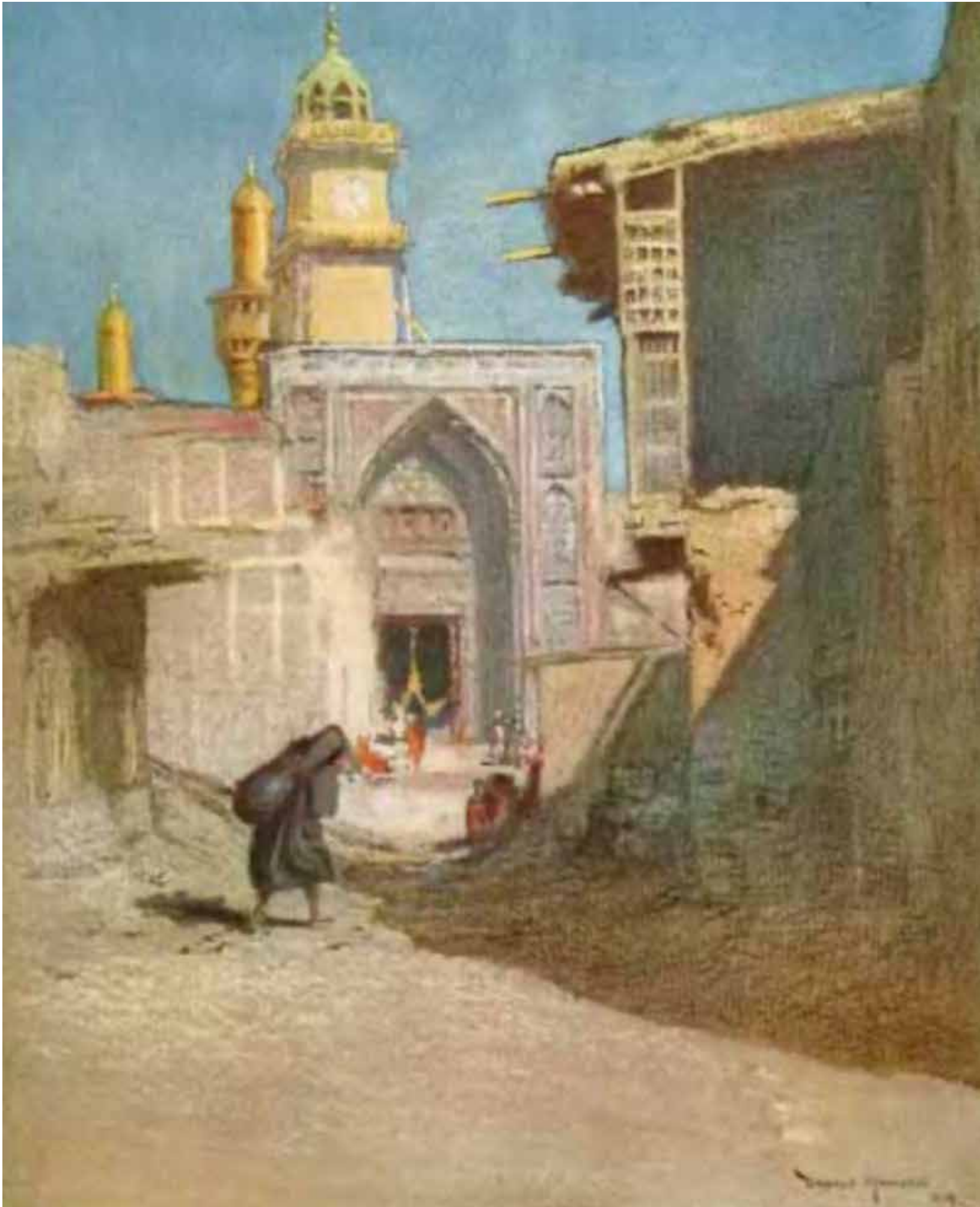
خلف أسوار من

دعائم كونكريتية ونقاط تفتيش

وأسلاك شائكة

صور باهتة بالأسود والأبيض لبغداد القديمة، صارت ولعاً ظاهراً للبغداديين، يتبادلونها عبر رسائل البريد الإلكتروني، وهي موجودة بوفرة في المواقع الإلكترونية العراقية، في المدونات وصفحات الـ «فايس بوك» الخاصة. منشورة في صفحات متخصصة لعدد من الصحف اليومية بذريعة استذكار ماض قريب. بعض هذه الصور تجدها معلقة على جدران العديد من المقاهي والمطاعم، في المناطق الشعبية العتيدة. ظاهرة بدأت تعلن نفسها منذ سنوات قليلة، وتحديداً بعد عام 2003.

تبين تلك الصور تاريخاً يبدأ من عشرينات القرن الماضي وصولاً إلى سبعيناته هي ملحقة غالباً بهامش صغير مؤلف من عبارات مقتضبة: بغداد في الأربعينات أو في الخمسينات، صور من تاريخ العراق الحديث، أو تعليق مكتوب على النحو الآتي: تأكيد الهوية الوطنية في زمن نحن في أمس الحاجة فيه كي نلّم ما ضاع وتشتت منها. كأن ما جاء بعد ذلك الزمن،



فندق جبهة النهر 1940

الزعيم عبد الكريم قاسم يفتersh الأرض في مكتبه

جامع الكاظم، دونالد ماكسويل 1918



المسيحية التي قدمت إلى مدينة الموصل، ومنها انتقل إلى مدن العراق الأخرى. منذ ذلك التاريخ لا وجود لمؤسسة معنية بالأرشيف السوري، لا كتب تبحث عن تاريخ فن التصوير الفوتوغرافي، لا معاهد تدرس هذا الفن. ظل التصوير حرفة يزاولها البعض في مجال التصوير. لكنه أيضاً كان ولعاً وموهبة فردية لدى البعض الآخر من الذين سوف يعملون لاحقاً في الصحافة أو في مجال العمل الطباعي. ثمة أسماء من رواد هذا الفن يحتفظ بها الخطاب البصري، منهم: أرشاك، حاج أمري سليم، مراد الداغستاني، حازم باك، ناظم رمزي. الفن الفوتوغرافي من علامات التعبيرية، الأشد تواضعاً للاهتمام، في نظامنا الثقافي.

انطوت الذاكرة الجمعية على تفسير اعتبر التصوير الفوتوغرافي حرفة خاصة، وظيفية تماماً، موصولة بعبادات الحضور الاجتماعي والشخصي. إنتاجه شديد الألفة تماماً، وواقعي، بل يكاد يشبه الوجود اليومي. يتأتى أثره الحقيقي من طبيعته التلقائية التي تجعله الفن الوحيد الذي لا يخطئ البتة. من خلاله يجعل كل ماضٍ رؤية قابلة للامتلاك بأقل جهد ممكن. دالٌّ على قراءة هائلة تستدعي النظرات الحنونة. كل صورة هي لحظة لم تغب، بل باقية تذكر بزمان جميل سابق. إن المصور الفوتوغرافي هو الكائن الوحيد المخوّل تسجيل



والفضاضة والخراب، سمة لهوية المدينة كما حالها الآن. بينما التعبير الكامن يختزل وجود بغداد عبر هذه الصور بوصفها وجوداً سابقاً له تاريخ غير مرويٍّ يراد بعثه بشكل مرئي وبضرورة التقاء المدينة مع نفسها.

الصورة الحزينة

تؤكد مقالات متفرقة أن دخول التصوير الفوتوغرافي إلى العراق يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر على يد البعثات التبشيرية

حين صار الزمن سجلاً لأحزان، وكل تطلّع إلى الأبعد يرشح عن اللاجدوى، وما سوف يحصل كأنه يختبر المجهول. استبدال النسيان بالتذكر، هو ما يفصح عنه ولّع كهذا. مدينة كان كل شيء فيها، طرقها، ساحاتها، طراز عماراتها، دور عبادتها، فضاؤها المدني، يشبه أرواح ساكنيها السابقين. زمن جعلته الصورة مسالماً وغير مؤذ وكثير المديح لطمأنينة تبادلها المكان مع أولئك الغائبين. من الذين لم يعرفوا الموت والغياب العنيف والفوضى الوقحة



هذه المناسبات. لم يشاهد البغداديون المصورين يجوبون الشوارع. كان وجودهم غالباً في الساحات العامة وفي أماكن التسلية واللهو. أنيسون وودودون وبعثون على البهجة، حينما يطلبون من الآخر تصويره. ذوو مهنة كثيرة الطرافة. في الثمانينات كانوا قد بدأوا بالاختفاء لأسباب استدعائهم إلى جبهات القتال، أثناء الحرب العراقية - الإيرانية، كانت هناك أيضاً علامات مثبتة أمام العديد من المؤسسات الرسمية تمنع التصوير منعاً باتاً. لقد رحلوا ليصوروا المعارك التي كانت تبث أفلامها بشكل يومي عبر التلفزيون، لتتحول الصورة وقتئذ وثيقة عن القتال والموت. في ذلك التاريخ لم يعد الكثير مكثرًا باعتبارها شاهدة على حضور هائي. كانت تعلق على جدران الغرف المنزلية كي تشير إلى غياب أقارب فقدوا في ساحات الحرب. تلك المضامين الجديدة للصورة كانت باعثة على هواجس لا تخلو من الأسى. إنه الزمن الذي بدأت فيه الصور الحزينة بالظهور. ثلاثة عقود مرّت، والأرشيف السوري شحيح في علاقته مع مدينة بغداد. افتقد الطموح بانفتاحه على المدينة وتدوينها بصرياً في مشهد بانورامي. لم توثق الصورة الكثير من التحولات التي طاولتها. لا أثر توثيقياً يعتد به. لم تكن الصورة تطيل النظر إلى المدينة كي تحاكي مآلها أو تشاركها حياتها. كان للحساسية السياسية الشمولية هيمنتها على هذا الفن.

جواد سليم، زيت على القماش . 1954

جواد سليم، زيت على المقوى



ممارساً مهمات ومسرات لا تخلو من مقايضة. كان بمثابة وجدانها التي وهبته مرة واحدة وإلى الأبد قلبها العامر بالبراءة والفن . يعاود آل سعيد بعد ما يقارب الثلاثة عقود استلهاً خطابه ذاك في عدد آخر من المقالات، مضيفاً إليها تأملات أخرى عن مدينة بات يشاهد تناقضاً في وجودها، بعدما غادرت فطرتها لتبدو فاضحة جراء حالات تجميل مصطنع. مدينة ولدت من غرين نهر دجلة، وصارت تتأمل نفسها من خلال نصوص كتبت من أجلها. لكنها لا تؤدّ أن تشيخ، مكتفية أبدأً بشبابها الذي لا يذبل. يقول عنها آل سعيد: «إنها في لحظة واحدة تحدثنا عن حاضرها وماضيها ومستقبلها معاً، من دون أن تحدثنا. ذلك لأنها محمولة معنا في أرواحنا». شكّل خطابه ذاك، المحتشد بالتورية مع لوحات سليم، اهتماماً تعهد

شارع النهر 1940

كاري الكاظمية 1918

تلك اللوحات أحدثت لقاءً ثقافياً عقده الفنان الراحل شاكِر حسن آل سعيد (1926 – 2004) في عام 1965، حينما كتب مقالة مهداة إلى جواد سليم في الذكرى الرابعة لرحيله. كان عنوانها، أيضاً، «بغداديات». لم تعن مقالاته تلك بطن الرسم ولم تشير إلى تجربة أستاذه، إنما وظفت خطاباً تأويلياً يستشرف مآثر المدينة بخبرة أدبية. بغداد المدينة التي هي بمثابة «ضرورة تاريخية وذوقية»، تتخيل طفلاً رمزياً يكون الرائي لوجودها. ارتكن إلى ظل زقاق ليملاً بالطباشير اسفلت الشارع برسومه وعلامته، ويتطلع بشغف إلى مدينته المدورة بمناظرها وقبابها، بأسوارها وأسواقها وقصورها، المتجملة بالقdach وأوراق الليمون والمعطرة بماء الورد. مدينة الحكايات الجامعة لآثار حضارات متعاقبة هي نفسها بغداد هذا العصر. مخلوقها الثر، ذاك الممتلئ أمام نفسه بوجوده، المستقر في ضمير مدينته، القابع في وعيها، دعتة كي يتجول في أرقتها، منتقلاً ما بين البيت والمقهى والحانة، قاطعاً شوارعها وأسواقها،

كمعطى تعبيري وبصري دال، مجموعة لوحات زيتية وعدداً من التخطيطات نفذت بالحبر والألوان المائية، أنجزها الفنان الراحل جواد سليم (1920 – 1961) ما بين 1953 و1958 أطلق عليها اسم «البغداديات»، «مجموع هذه اللوحات والاعمال، اقتباسات، ومشاهدات فنية، عن مكان يعاد تنظيمه تشكيمياً. برؤية تراثية حيناً، وتمثيلات واقعية ومعاصرة حيناً آخر». أعمال تألفت أسلوبياً بين تجارب الفن الحديث والتراث المحلي والفولكلوري، وتمثلت الفضاء البغدادي بوصفه مكاناً جمالياً يعاد تشكيله برؤية فنية شديدة الاختزال في نموذجها السوري أو في استلهاً موضوعه كمشاهد زاخرة بعادات اجتماعية. يذكر الناقد سهيل سامي نادر أن تلك الأعمال «حافظت على رسالة جمالية وثقافية غير شخصية، وعاونت بوسائل الفن، على استدخال فكرة وجود عصر جميل يمكن التباهي به». كانت إنتاجاً لحقبة الخمسينات الخصبة والبهيجة المفعمة بتطلعات التأسيس في الفن والفكر والأدب.



بتواصل اكتشافها وتذوقها عبر امتدادها التاريخي. استدعيت كرؤية قابلة للتمثيل البصري، وهي كذلك معنى في خطاب تأملي. لقد كان الفنانان يعلمان أن المدينة صنو الفن لا بد أن تعيش أبداً في الحاضر.

الحلم والعمارة والكولونيالية
على مدى تاريخها، منذ أن أنشأها الخليفة أبو جعفر المنصور (714 – 775) في العقد السادس من القرن الثامن الميلادي، عاشت بغداد زمناً مدينيّاً طويلاً الأمد. لقد سوّرها وأحاطها ببوابات أربع: خراسان، الكوفة، الشام، البصرة، عبرها خرجت إلى العالم والتاريخ. خلال دهورها تبوّأت مكانة مهمة في العلم والفكر والأدب والسياسة والحضارة، كما تعدد مصيرها بين السلام والنكبات. لطالما أقل نجمها لتعود مرة أخرى تنبض بالحياة. زمنها الملتبس هذا، سوف يعتقّ جوهرها ويجلو أجساد البشر وأرواحهم من ساكنيها، هؤلاء الذين سيعاودون بدورهم تأثيثها على ضوء آمالهم وقدراتهم وأحلامهم. سمّاها المنصور «مدينة السلام» لأن نهر دجلة كان يقال له وادي السلام. كأن اسمها جاء أشبه بالتحذير. إذ استباحها هولاء عام 1258، فكفّت بعدها عن ان تكون عاصمة الخلافة العباسية بعدما دامت لها خمسة قرون. غزاها التتار عام 1400. سيطر عليها الصفويون عام 1509. عاد إليها الأتراك عام 1638، لتبقى تحت الحكم العثماني لمدة أربعة قرون، حتى مجيء البريطانيين ودخولهم إليها عام 1917، لتتعرض للدمار خلال حرب الخليج الثانية عام 1991. فيما حُرقت ونهبت بعدما احتلها الأميريون عام 2003.

شغلت هذه المدينة حيزاً في الذاكرة البشرية، عندما وُظف مكانها كبعد مركزي متخيل للحكاية والسرد في قصص «ألف ليلة وليلة»، حيث لم يرغب راوي الحكايات العربية مغادرتها، فكانت الأحداث إما تبدأ منها وإما تنتهي إليها. قصص ساحرة، عجائبية وآسرة، جعلت من المدينة فضاءً مشرعاً مملوءاً بالمسرات والغرائب والذائذ والسحر، بعد تحصيلها على أسباب الترف والنعيم والرفاهية.



ساحة الميدان. 1943



شارع الرشيد 1964

محلة رأس الجسر، الكرخ 1921

جواد سليم الوان مائبة على الورق، مجموعة كنده للفن العربي، الرياض



توقف القص عند قصورها وأسواقها وبساتينها وأزقتها، واصفاً الأخبار العجيبة للسلطين، الملوك، التجار، المتصوفة، الشعراء، الجواري الجميلات، الغلمان، الصعاليك، الشطار، الندماء، الخلعاء، المغامرين، المحتالين وحتى الجن والعفاريت. حكايات عن العشق، الجنس، المغامرة، الدسائس، المكائد، الحيل، الجاه، السلطة، الثروة والانتقام. حلم بها الجميع مكاناً رافلاً بلذة العيش وملذاً يبدد ثقل مأساتهم، غربتهم، حزنهم وفقرهم.

ما زالت تلك الحكايات لا تكتفي لكي تدل على بغداد المتخيلة، بل تحولت لتكون مرجعها الخالد. في شهر أيار من عام 1957، ألقى المعماري الأميركي فرانك لويد رابت (1869-1959) محاضرة في جمعية المهندسين العراقيين، بعدما استقدمته الحكومة العراقية في ذلك الوقت لتصميم دار أوبرا في بغداد. ذكر رابت «أود أن اعترف أنني، بصفتي قارئاً متحمساً لكتاب «ألف ليلة وليلة»، منذ طفولتي، أشعر بنفسي أنني من رعايا هارون الرشيد». في كلمته هذه أوصى المعماريين العراقيين: «كونوا حذرين من أبنية طاغية ومهولة تشوه مدينتكم». ودعاهم إلى أن يجعلوا الخصوصية الحضارية والإحساس الداخلي بالحياة أساساً لبناء

بل جاء عبر تطويق مركزها التاريخي بوحدات سكنية نمطية، مكررة، مؤلفة من طبقة واحدة أو طبقتين، خالية من الذوق المعماري إلا بوجود لمسات محلية متواضعة، وقد شكلت تالياً مناطق عازلة باتت أشبه بالغيتوات المزدحمة، تحت منظومة طرق وشوارع ضيقة ومغلقة وملحقة بمرافق عامة شديدة التواضع.

لم تكن الأفكار والايديولوجيات والإنسان من واجهات ما سمي بالحرب الباردة. كانت العمارة وتخطيط المدن، كذلك، من العمليات الثقافية التي تمت إدارتها والنزاع من أجلها بين المعسكرين الغربي والشرقي وقتئذ.

ارتبط التوسع العمراني في بغداد بامتدادها الأفقي وليس العمودي، حيث شهدت منذ خمسينات القرن المنصرم توسعاً يلتهم ما يحيطها من أرض خضراء وأمكنة لتجمعات صغيرة. تحول انطوى على إحداث علاقات مختلفة ومربكة في بعدها الاجتماعي والسياسي والثقافي، وخصوصاً بعد تواصل هجرة سكان الريف إليها، بسبب الثورات والفقر والعوز. بغداد أصبحت هي كل شيء، من المؤسسة إلى التجارة، ومن التعليم إلى فرص العمل، فيما كانت المدن العراقية الأخرى ترزح تحت ظل هامشيتها. تحولات سواء كانت لينة أو حادة حيناً، هادئة أو صاخبة حيناً آخر، دمغت واقع المدينة بأحداثها الصادمة.

بغداد من تلك المدن التي تتيح التنقل، في المكان الواحد، بين حقبة تاريخية عديدة، إذ يندرج فيها اختلاف لافت للزمن. لكن منذ تحديثها أثناء العقود الماضية، وجدت نفسها أمام حلول معمارية إلزامية مع غياب لتصاميم موجهة تفترض التوافق بين مظهرها التاريخي ورغبتها في التطلع إلى الحداثة. لطالما خضع مشهدها العمراني لخيار القرار السياسي بوصفه قرار السلطة والقوة، وليس لخيار القرار المدني بوصفه اجتماعاً وتحضراً، وخصوصاً في العقد الثمانيني حينما بدأ يطغى عليها نمط عمارة شعبية وخيلائية.

كان عمرانها باعتبارها مدينة مدورة، قد امتد إلى جميع الجهات، فيما كان قلبها التاريخي منعزلاً وبعيداً عن كل محاولة إحيائية. لقد ظلت كيانا محاصراً بأطروحات معمارية، عابرة للهوية، تعينها جسداً وظيفياً ومادياً يمكن تزيينه بمكتسبات الأسلوب العالمي والتحليلات الفولكلورية. أمام واجهات التحديث تلك، كان ثمة تفاوت يتسع مداه بين نموها وتقدمها المادي

ساعة القشلة 1947



بوصفه أداة فعالة في الحرب الباردة، فوضعت تصدير هندسة البناء وتخطيط المدن في خدمة الاستعمار الثقافي». كان ثمة تحالف بين دوكسيادس ومؤسسة فورد، وقد تلقى منحاً من مؤسسة روكفلر ومعهد كارنيجي. كان الأمر يتم بمزاعم تحقيق الحرية والتقدم لغرض كسب ولاء العالم الثالث.

صمم مكتب دوكاسيادس مشروع «مدينة الثورة» بعد 1958 والتحول في النظام السياسي التي صاحبها من الملكي إلى الجمهوري، والتي سميت بعد ذلك «مدينة صدام» وتسمى الآن «مدينة الصدر»، مع مشاريع أخرى صوب الكرخ. كان نموذج العمراني يتمثل في تصاميم جاهزة لمساكن وأحياء لاستيعاب النمو المتزايد من النازحين من الفقراء والفلاحين إلى بغداد، والذين كانوا قد شكلوا حولها طوقاً أشبه بحزام فقر. لم يكن التحديث الذي مارسه وفق الذخيرة التاريخية للمدينة والهوية الثقافية لها،

العمارة، باعتبارهما الخاصيتين اللتين يجب تطويرهما والحفاظ عليهما في كل ما يشيّد في المستقبل، وإلا فالعمارة دونهما ستتخطم في سنين قليلة مقبلة.

تخلّى رايت عن طموحه في بناء أوبرا بغداد. ولم ينجح المعماري فالتر غروبيوس (1883-1969)، الذي زار بغداد أيضاً في ذلك العقد، إلا في إنشاء إحدى الوحدات التصميمية لمشروعه المتمثل في تصميم جامعة بغداد. فيما أكمل المعماري لوكوربوزيه (1887-1965) تشييد القاعة الرياضية المغلقة في سبعينات القرن الماضي. لكن وحده مخطط المدن اليوناني قسطنطينوس دوكسيادس استطاع أن يكمل مشروعه العمراني فيها. تذكر المؤرخة والمعمارية ميشيل بروفيست في مقالاتها «تخطيط المدن والصراع على العالم الثالث»، أن «الولايات المتحدة الأميركية كانت تتّظّم باستمرار تدفق مخططي المدن والمعماريين نحو المناطق المهمة استراتيجياً، وتتنظر إلى ذلك







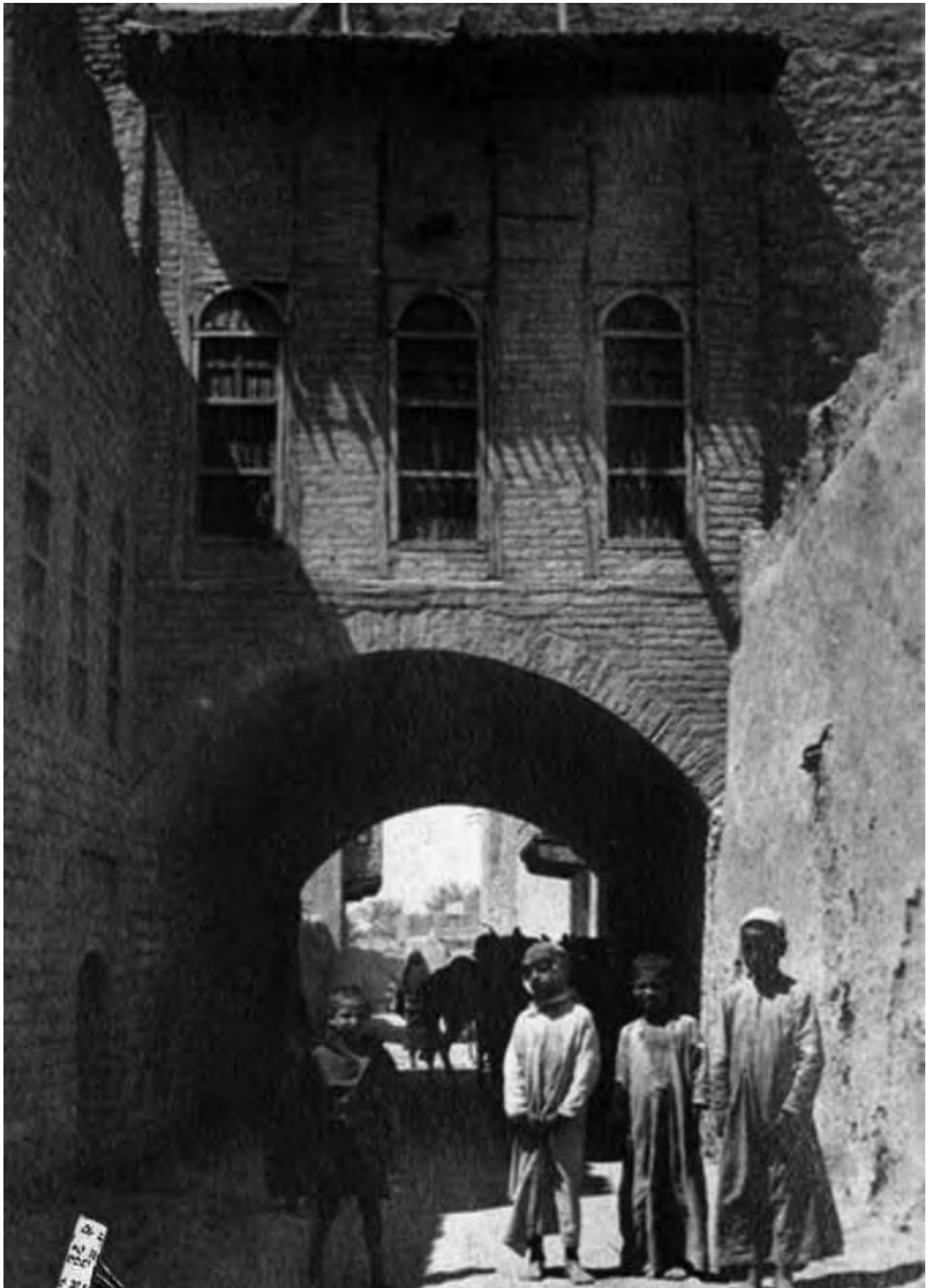
وبين محدودية تطورها الاجتماعي والحضري.

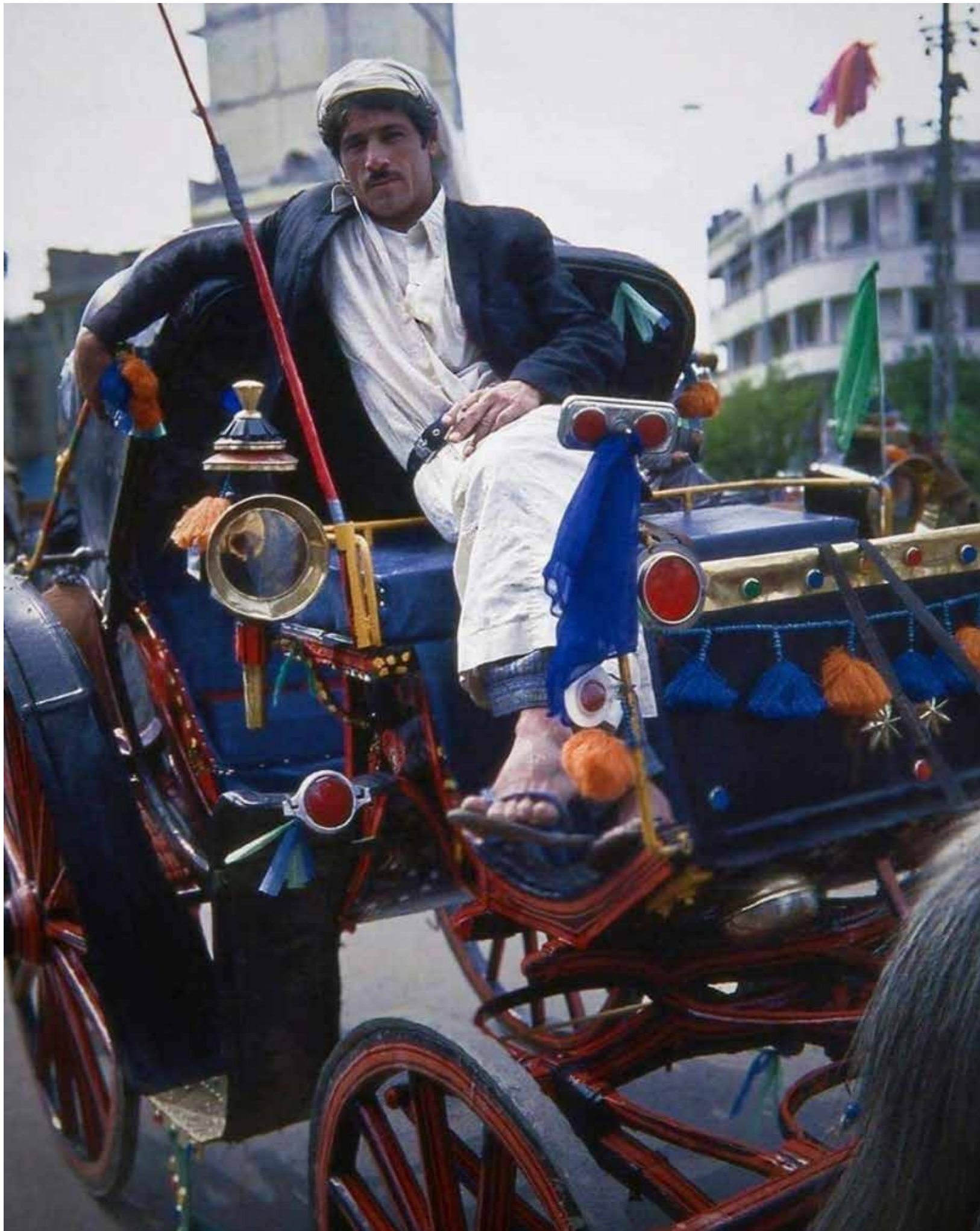
نبوءة القادمين الجدد

ما عادت بغداد بعد عام 2003 مكاناً متعدد الأغراض، يثير بألفته خيال الحكاية وتعبيرية الفن أو حتى تفاؤل العمارة. لقد باتت أشبه بموضوع محيرٍ وعنيف يثير الريبة، تتمثله الصورة عبر وسائل الاعلام المرئي وأخبار الفضائيات، كمشهد اكتفى بعدد القتل الجدد ومظاهر الخراب الكالحة. فالكثير من مبانيها لا يزال مدمراً، بل يمكن مشاهدة آثار الرصاص على وجّهات البيوت والعمارات التي شهدت مناطقها عنفاً مسلحاً. لقد غادرت هذه المدينة الحرب، لكن لم تغادر هولها. فهي ما عادت تطل على أحد، إلا على نفسها، محتجبة خلف أسوار من دعامات كونكريتية ونقاط تفتيش



منطقة الدهانه 1910
مواكب شهر محرم 2024
منطقة الكرادة، الستينات





وأسلاك شائكة. هذا هو ملمحها المعاصر. حاضر لم يتوقعه الجميع، لا ذكريات الماضي القريب، لا حوارات البغداديين فيما بينهم، لا أحداث تجاربهم اليومية السابقة، لا نبوءات الجدات في حكاياتهن، لا دعاء الضحايا للخلاص من العذاب، لا أمنيات القصاصد في تخيل شكل الحرية المقبلة. ما حدث كان أمراً غامضاً وخفياً، مثل أي مصير غير متوقع لم يلحظ قدومه أحد.

مدينة صامته لا تقوم بأي شيء، بل تكاد تشبه حريتها الغريبة، الخاوية من شرط الامتلاء الإنساني، والتي لا تكفل البقاء لأحد. وهي منسية تسكنها الذكريات البعيدة، فيما تحاور الآخرين من خلال حالتها الغائبة. مدينة ليس لها إلا أن تسوّغ وجودها هذا بكونها مرئية في صور تدل دائماً على واقع فاجع وحضور حزين. نبوءة هي ذاتها شهادة عن قدر.

سؤال أخير
تطرح تلك الصور الباهتة بالأسود والأبيض سؤالاً ليس في المقدور الإجابة عنه: هل حقاً بإمكان الصورة أن تكون ضرباً من تعويض الخسائر؟

- 1 - القصاب، سعد، مؤسسة الخطاب الجمالي، دار كتب للنشر، بيروت، 2012، ص15
- 2 - أنظر، آل سعيد، شاكور حسن، دراسات تأملية، مديرية الثقافة العامة، بغداد، 1969، ص 23-46

نادي سباق الخيل. الخمسينات
منطقة الفضل، الستينات
العرينجي



بغداد: زمنٌ متحفٍ وحاضرٌ ملتبس

المتحف متمنّع ومنكفئ على أسرار مقتنياته إزاء اليوميّ العابر، وهو مراوغ مغناج يعرض أسرارهِ لنخبة من هواة كشف الأسرار!

لطيفة الدليمي

معلناً قرب إعدام الحلاج وتقطيع أوصاله أمام الحشود.

أما المتحف فقد أريدَ له أن يكون شاهد زور؛ فهو لا يشير إلى أيّ من صيحات المفكرين ولا العلماء في عصورهم المتلاحقة، ولا إلى عذابات المصلوبين بين الكرخ والرصافة في كل عصر؛ بل يكتفي بعرض أبهة الملوك وتألّهمهم، ويضفي الأنوار على حلّي الأميرات ووسائل زينتهن، كما يعرض قوانين الردع، وتصاوير المعارك والانتصارات والأسرى والسبايا، ويعرض جداريات وريليفات عن رؤوس الأعداء معلقة على شجرة صنوبر في احتفال النصر الآشوري، حيث الملكة والملك يتبادلان الانتخاب تحت الرؤوس التي تقطر دمًا.

مدينة الأبدية: المتحف

من هنا: من المتحف والكتاب المدرسي يبدأ تزوير الوقائع وانتقائية التاريخ. تكمن وظيفة المتحف المعرفية في عملية حفظ الفن والآثار وعزلها، وحمايتها من كل ما هو خارج المبنى من الأحداث اليومية إلى متغيّرات المناخ، أو النزاعات البشرية، أو عبث الذين لا يتوفرون على تربية متحفية تميّز بين الثمين والرديء، وبين الأصل والمزيف؛ غير أنّ المتحف يتعرّض إلى انتهاك بصريّ عند الفرجة، انتهاك رؤية وتأويلات مضادة، ومحاولات سبر

مقيّد بالزّمان والمكان بشيء من الثبات، لكنها تضمر وجودًا خياليًا طموحًا لا يهبط إلى الأرض، ولا يركن إلى الوقائع اليومية؛ إنما يتخذ حضورًا سديميًا وعلويًا ينطوي على مجمل التجليات الفكرية والروحية لطبقاتها الحضارية. إنها المدينة - النصّ - الأقرب إلى بدايات الشعر وفانتازيات التخيل تتداولها العقول والأحاسيس الخبيثة: مفردات، قصائد، رغبات مقتولة، روايات وحكايات وذكريات جمعية موصدة على أسرار موسيقات وترانيم تتعالى من النوافذ والشرفات المهملة، وتتبدد بين الأزقة المعتمة والقصور العباسية، وتتمازج مع صيحة الحلاج:

(يا مُعين الفناء عليّ، أعنّي على الفناء...).

يقاطعه صوت من بين الجمع:

- أنت تناوئ ولاية الأمر، وتحرض الناس في الأسواق على الخليفة.

- لا شأن لي بتحريض الناس كما يتراءى لكم، إني أتساءل صبحًا ومساءً: (أما تؤمنون بأن الله خلق الدنيا في أحسن تقويم؟ فعلام اضطربت واختلّ نظام الكون؟ من أين يجيء الشرُّ؟ ما أسباب الظلم؟ من أخرس كلمات الحق في قلوب الناس؟).

تتصادى كلماته بين ضريحه المنسيّ قرب مستشفى الكرامة وجسر الشهداء في كرخ بغداد، تتبعها جوقة طبول منادي الخليفة

بين المتحف والمدينة، ثمة علاقة خفيّة تقوم على سلسلة من الترابطات التي تشكّل في دورها منظومات رموز وأنماطٍ نصوص ولغاتٍ تنتمي لعالم كلّ منهما وتناقضاته. وكما يحصل بين عالمين يشكل أحدهما المركز الذي تتحلّق حوله الهوامش، يتمركز وجود المدينة حول متحفها وأبديته، وكأنّهُ نواة ديمومتها وبذرة مستقبلها، وكأنّها هي الهامشية في إحاطتها بالنواة، وأن كلّ أذى ينال المتحف - ذاكرة الماضي، يهدّد مستقبل المدينة وديمومتها في الذاكرة البشرية، ويكشف عن جدلية العلاقة بين المدينتين: مدينة الأبدية، ومدينة الزّوال.

المدينة الأولى: هي المتغيّرة، الزائلة متكرّرة الولادة، الرابضة وسط أقاليم النزاعات الدولية، والمطعونّة بالحروب والغزو وجشع ولاية أمرها، ودموية نظمها المتتابة، وعنّف الاحتلال ونواتجه، من سلطة ثيوقراطية تتقمص ملامح ديمقراطية مشوهة وهي غارقة في تأويل الأساطير وظلال الصراع التاريخي على السلطة والمكانة. في هذا الوضع المتزلزل، تتداخل المدينة مع الزمن خلسة، وتدوّن النصّ الخفيّ لأحوالها، وتتوصل بشيء من العسر إلى إنجاز فعل الحياة وسط الميئات والخراب الكاسح والتمزّقات الاجتماعية والتحوّلات الديموغرافية المتسارعة.

تظهر المدينة كوجود زئبقيّ رجراج تارة، ووجود

موجوداته من قبل مستهلك المادّة المتحفية؛ فهو من جهة متمنّع ومنكفئ على أسرار موجوداته ومقتنياته إزاء اليوميّ العابر، ومن جهة أخرى هو مراوغ مغناج يعرض أسرارهِ لنخبة من هواة كشف الأسرار، وفكّ الألغاز التاريخية لخدمة سلطة ما. بهذا، يكون المتحف نجبويًا وفوقيًا ومنافقًا، لأنّه يحجب التحفة والقنيّة الثمينة والأثر عن البشر العاديين العابرين في فوضىّ اليوميّ الزائل، ويسجن الفن - الجمال ليحميه ويؤبّده في القاعات داخل المباني التي تشترط ثمنًا لتتيح لنا رؤية ما تحجبه عنا.

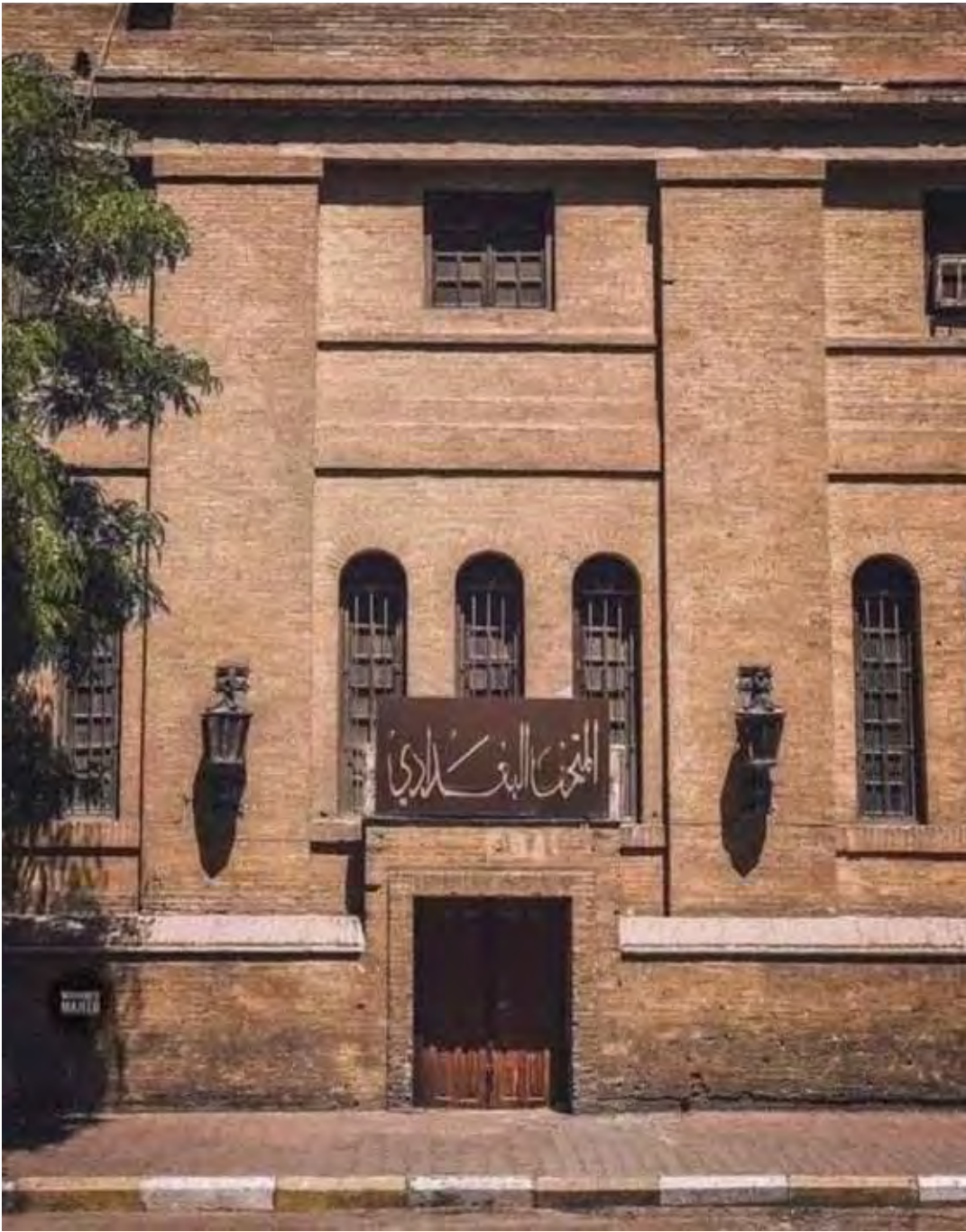
تماثل بنايات المتاحف قلاعًا حصينة مصممة الحجارة مرتفعة الجدران، تتعالى بلا نوافذ ولا فتحات، تطل على المدينة فلا تتيح تواصلًا بين العابرين ومحتوياتها، ليؤدّي المتحف بذلك وظيفة مزدوجة تقوم على العزل بمستويين: عزل الثمين الجميل عن العاديّ والمبتذل، ومنحه أهمية أن يكون مادّة متحفية وموضوعًا يجاور المطلق في استثنائيته، وعزل هذا الثمين النادر عن العيون العابرة المنشغلة بهومها اليومية ومخاوفها، وهي التي لا تعدد مطلقًا بقيمة ذلك الثمين النادر؛ فيحصر المتحف مشاهدة موجوداته بالساعين إليه قصدًا ضمن الفضاء المغلق.

يرقد المتحف في قلب المدينة متحصّنًا بأسواره وصلابة رخامه الذي لم يصنه من دمار الاحتلال ونهب موجوداته التي يستخدمها الآخر الناهب لإذكاء نيران حرب الثقافات، وعمليات محو الذاكرة تحت موجة الغزو وهجمات اللصوص.

يصطنع المتحف نوعًا من قداسة تعزل وجوده عن الوجود الزائل للمدينة تجنّبًا لعدوى تبدّلاتها، وتقلبات أحوالها وأهوالها، مما يهدّد ثباته وأبديته المتحجرة، ليشكل المتحف مدينة ساكنة راقدة بكل موتها في قلب المدينة الحيّ، متخذة هيئة كوكب مرتحل في زمن تقويميّ بئد، وقد رُتبت أقاليم ذلك الكوكب - المتحف حسب تسلسل تاريخيّ كرونولوجي، فما أن تدخله حتى تأخذك قاعة إلى أخرى، وعصر إلى عصر، وحضارة إلى حضارة، لتمسك بإشعاعات واهنة من حضارات بادت وتركت موائل منها تحرسها المتاحف المحمية.

لزيرة مدينة السكون الخاملة، تقترح عليك مخططاته المعمارية مسيرة لا خيار لك فيها، تغويك فلا تقاوم، وتستدرجك فلا تستطيع الإفلات من إغرائها، توقعك في فخاخها، وتعدّك بالأبدية مشهرة لك الشواهد والأدلة وتهمس لك:

- ربما ستُكون أيّها الرّاثر رهيئة متحفية في زمن تالٍ، تمثالًا أو نصبًا ماثلاً في خزانه؛ فلا يسعك



بعد هذا الاغراء التوقّف، أو التراجع، مطلوبٌ منك أن تمضي قدمًا: ترتقي سلّمًا، تنزل رواقًا، تعبر مممرًا، وتخرق قاعة مثل ممّ تورّط في دخول ماتهة تنتظر في نهايتها المكافأة.

ها أنت تؤخذ إلى التاريخ المتهامّي والزمن المتهامّي، تتماثل مع الشخصوس الحجرية، فتصبح نصًا مفتوحًا مغايرًا لنصّ الحجر الساكن، أنت في المتحف نصّ يتجدّد كل لحظة ينطلق منه (الشعريّ والרגائبي) ساحبًا وعيك إلى زمن خادع مراوغ لا تملك إزاءه غير الانغمار في وهمك وتماهيك المؤقت مع سحره، يبهرك كنزٌ ملكي من أور، تسمع آهة وصدى نداء من أوروك، تردّدات صرخة وتبويغات نغم من بابل سرعان ما يتلاشى في العدم المتحفّي، ويدعك في دوامة من المؤثرات الخادعة.

في جزيرة الأبدية، متحف الحضارات الأقلّة، سكونية يشي بها افتقاد العلاقات المنظورة بغياب الحركة والفعل؛ فاللقى والمنحوتات والرّقم الطينية تشخص في سكونها الحجريّ،

ففي مسلّة حمورابي نحت بارز - ريليف - يبدو في الإله شماش - إله الشمس وهو يسلمّ القوانين إلى الملك حمورابي ليثبت أنّ الملك خليل الآلهة، وممثلها على أرض بابل، وأن قانونه منزل

المحفوظة في تقاويم الحجر والمعدن، وسحبتنا إلى متهات الماضي وشواخصه. من هذا كله: السياقات المتوقفة والنصوص التي تجمّدت في الحجر، لا يفلت وميض ضوء، ولا همس ولا يحظر الحبّ وإدامة الحريق وحجر النساء، الجنائز تطوف المدينة التي غيّب عنها الإنسان والأمل؛ فلا تتحقّق فيها سوى ديناميكية الموت النشطة، وكأنّها تسعى إلى التحول إلى متحف

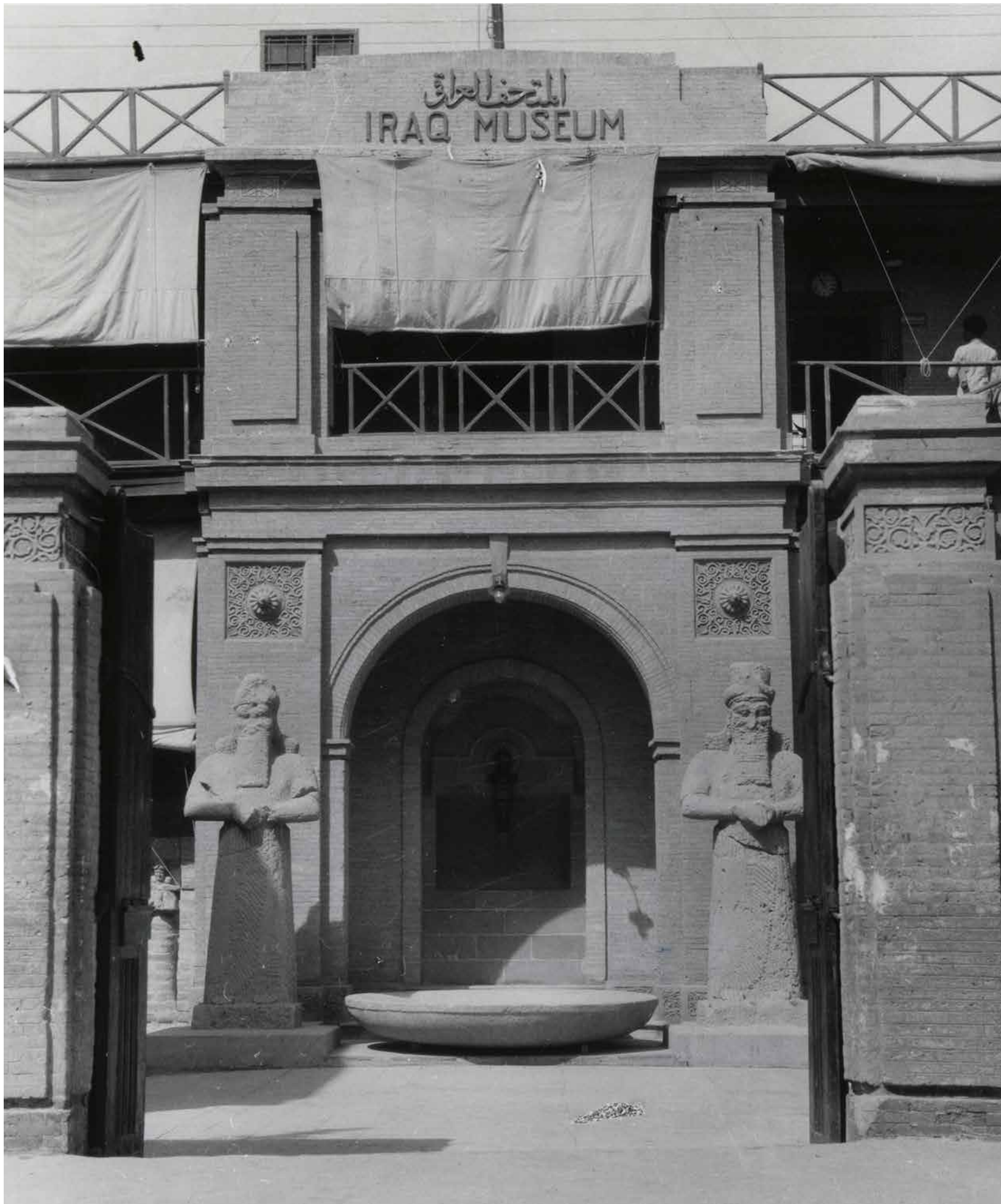


من السماء، فلا يمكن الإفلات من تطبيقاته، وتنفيذ القصاص الذي يأمر به القضاة وأولو الأمر في بابل.

تكمّن وظيفة المتحف المعرفية في عملية حفظ الفن والآثار وعزله (Getty فجأة، يتألّق أماننا كنز ذهبيّ في قاعة تالية: عينا أميرة من عصر سعيد غابر، حولها كنز آخر من حليّ لم تحصّن الأميرة من أفول الجمال على طريق الموت والحبّ المحرّم؛ فتهاوى مجدها الشخصيّ ومباهجها وأحلامها على هضبات الكروم، وبين بساتين النخل، وحقول الكتان، وما أنجزت خلودها في الزمن، إنما حققته بمنحنا أسطورتها الذهيبية. فقد كتبت رسالتها إلينا بتشنجات الحزن الذهبيّ المرتسم على ابتسامتها التي زيّفها النّحات، وسمعنا نجيبها وشهدنا كبرياءها الذي تجاوز فعل الذهب وسحره الزائد إلى تعاطف إنسانيّ بليغ. كلما تقدمنا في القاعات انهمرت على وجوهنا موجات من غبار العصور

دفع، ولا تُخرق الصلابة الدهرية إلا إذا دُرّنا حول الزمن ودخلنا لحظة إشراق أو تجلّ روحيّ لنكشف عبر الحدس، أو التخيل الروائيّ، عن جمرتها الكامنة في لبّ الحجر. حاولنا ونظل نحاول اختراق الكثافة التاريخية للوجود الحجريّ المتحفّي لعلنا نظفر بلمحة سرّ غيبته في ثايا الحجر.

تكرر المدينة الحية المغلوبة على أمرها لعبة مراوغة الزمن التي تجيدها المدن التاريخية؛ فتمدّ مطامحها في العمق والأفق، تخلق لبقائها نصوصًا تتوالد من رموز التاريخ وحركة الموجودات الحيّة، بينما توجه الصورة الخارجية لحياتها اليومية بواسطة مجموعة من وسائل التدمير الخارجي - الاحتلال - والامتثال الذاتيّ للزوال؛ فثمة كائنات مشحونة بالكراهية للجنس البشريّ وموائل التاريخ وتشوقات المستقبل، وكائنات مدججة بضروب أسلحة الفتك لا تخفي نواياها، في مدينة تشهر الموت وترهو



خان مرجان، 1308
الباب الوسطاني، بغداد، 1090
المتحف العراقي القديم



عرضي هسّ يحيط بالمتحف النواة: المدينة
تنتجر. الغزو يؤهلها لتشوهات، ذهول سكانها
يدفعهم لقبول الانمساخ.
ندور في لعبة الأبدية الخادعة داخل المتحف،
فتداهمنا الصيغة المتحفية الرسمية - التقاسير
والإشارات والعلامات - وتصادر عفوية
اكتشافاتنا الشخصية، توقفنا كل لحظة ترغماً
على قراءة ما لا نريد معرفته؛ فنحن لا نريد
تلك المعرفة الخارجية للتمثال والنصّ والكأس
النذريّ والدمية والمسلة، بل نبحث عن النصّ
الآخر السريّ المدوّن تحت قشرة الرخام، وفي
طيات الثياب الحجرية، وداخل حزمة القصب
التي تزين قارب إينانا - عشتار إلهة الخصب
والجنس، المتحف يتواطأ مع النصّ الجاهز ضدّ
مخيلاتنا، فيكبّحها ويقدم لنا تقليده الرسمي
نماذج مقبولة: أوصافاً عامة وخارجية،
قياسات، أرقاماً، أزمنة. هذا لا يعيننا، ما يهمنا
هو الفرد المصادر وراء النص، رعب الرجال





القاعة الاشورية في المتحف العراقي، بغداد
لوح اشوري، المتحف العراقي، بغداد
المدرسة المستنصرية، 1227



والمتحف بوضعه السكوني الثابت يقدم بكلمات محددة أساليب وأشكالاً خارجية لمعان ودلالات جرى تغييبها وراء القناع اللغوي المعلن. يبقى التعارض حياً بين مدينة التغيير والموت والزوال والولادات، وبين مدينة الأبدية التي يقترحها المتحف إزاء الزوال اليومي الجائح، ويقدمها تعويذة خادعة ضد فناء الإنسان في اضطراب المسيرة الإنسانية وصراعها المستديم مع الفناء وهي تعبر ممرات التاريخ الشرسة.

العربي الجديد / 6 كانون الثاني 2024

اليوم على جانبيها يرصدان لها الذكور العابرين في ملكوت تمردها. النصوص المتحفية تخدمنا بإخفاء الحقيقة التي تنطوي عليها حركة أيدي المتعبدين المعقودة بالطريقة السومرية على الصدور العريضة، والتعريفات المبتسرة تضيف عقبة جديدة أمام فضولنا. المدينة والمتحف نصان متناقضان، المدينة في أحوالها العادية تتبدل، تتجدد، تكتشف، تتبدى، تتلاشى، تتحلل كل لحظة وتسفر حركتها عن انهيارات ونذر ووعود،

ما تقترحه علينا نقوش مسلة قرأتها قبلنا آلاف العيون التي انطفتأت في موجات غزو، أو طوفان نهرين، أو طاعون كاسح، أو مجاعة، أو موت قصاص من أجل خرق للمألوف. ما يهمننا حقاً لوعة تلك الصبية التي سبأها الفاتحون، وذلك العبد الذي وصموه بحلقة معدنية في خصلة شعر أبقوها على قمة رأسه ليسهل تشخيص عبوديته بين أحرار الدويلات العتيقة التي نهضت على جهد العبيد من الأسرى، ما يعيننا أكثر تحديقة الشهوة في عيني ليليث، وطائرا

والنساء من وصائف الملكة (بو أبي) الذين دفنوا أحياء في المقبرة الملكية مع قياثرهم وصنوجهم وحليهم وخناجرهم الذهبية، لا تعيننا قلائد الملكة وألوان جواهرها وتصفيقة شعرها قدر ما تعيننا الصرخة المكتومة لمئات المؤؤودين، وأنين عذابهم بقدرهم المشؤوم. يجهل المتحفون متطلباتنا، ويجهل منسقا الآثار في الخزانات والقاعات منابع دهشتنا، ورعشة أصابعنا، وسلسلة المعاني والإحياءات التي تثيرها فينا خرزة لازورد منقوشة بتعويذة سحرية، أو



ماذا تبقى من بغداد العباسية؟

إحسان فتحي

من المدهش والغريب حقا القول مباشرة بان بغداد، هذه العاصمة التاريخية الكبرى التي كانت قلب ومركز العالم الاسلامي لحوالي 500 عام (762-1258)، قد فقدت الاغلبية الساحقة من معالمها العمرانية والتخطيطية الاصلية، ولم يتبق فيها الان سوى ثمان ابنية تاريخية ترجع بعض اجزائها الى الفترة العباسية! وحتى هذه الابنية القليلة فقد تعرضت هي بدورها

الى التغييرالكبيروالتشويه جراء عمليات ترميم خاطئة وغير علمية متراكمة. كما تم هدم وتغيير محيطها التاريخي باقحام عمليات التحديث العمراني منذ بدايات القرن العشرين، وبذلك فقد جردت هذه المعالم التاريخية من سياقها الحضري ووضحت ابنية منفردة ومنعزلة.

ان فقدان بغداد العباسية اغلب معالمها العمرانية تعتبر كارثة ثقافية هائلة اذا ما قورنت بعواصم عربية واسلامية اخرى كالقاهرة ودمشق واصفهان واستنبول التي استطاعت الاحتفاظ

بنسبة لا باس بها من معالمها العمرانية التاريخية حتى الان، ونجحت، الى حد جيد، صد التحديث العمراني ومنعته من التغلغل داخل المدينة التاريخية المسورة. ان نسبة الخسارة في النسيج التاريخي لبغداد العباسية هي خرافية وتصل الى اكثر من 99%! فاذا افترضنا ان مجموع الابنية والمعالم العمرانية المهمة العامة والمساجد والاضرحة والتكايا والحمامات والخانات والاسواق والقصور وغيرها (عدا البيوت السكنية) قد وصل الى ستة الاف، عبر تاريخها الطويل، وهو رقم متحفظ جدا، فان

نسبة الخسارة تصل الى حوالي 99%. ان مدينة استنبول حاليا، على سبيل المثال، تحتوي على 3000 مسجد، ومحافظة القاهرة تحتوي على 3100 مسجد حاليا. اذن، الخسارة هي فعلا عجيبة وقد تكون الاعلى في العالم. من الطبيعي ان تخسر جميع المدن نسبة كبيرة من نسيجها العمراني جراء الزمن والحروب والكوارث الطبيعية والتجدد العمراني الحتمي، لكن هذه النسبة تتراوح عادة من 10% الى 70% في الاحوال الطبيعية. وهناك مدن تاريخية في اوروبا استطاعت الحفاظ على نسب كبيرة من

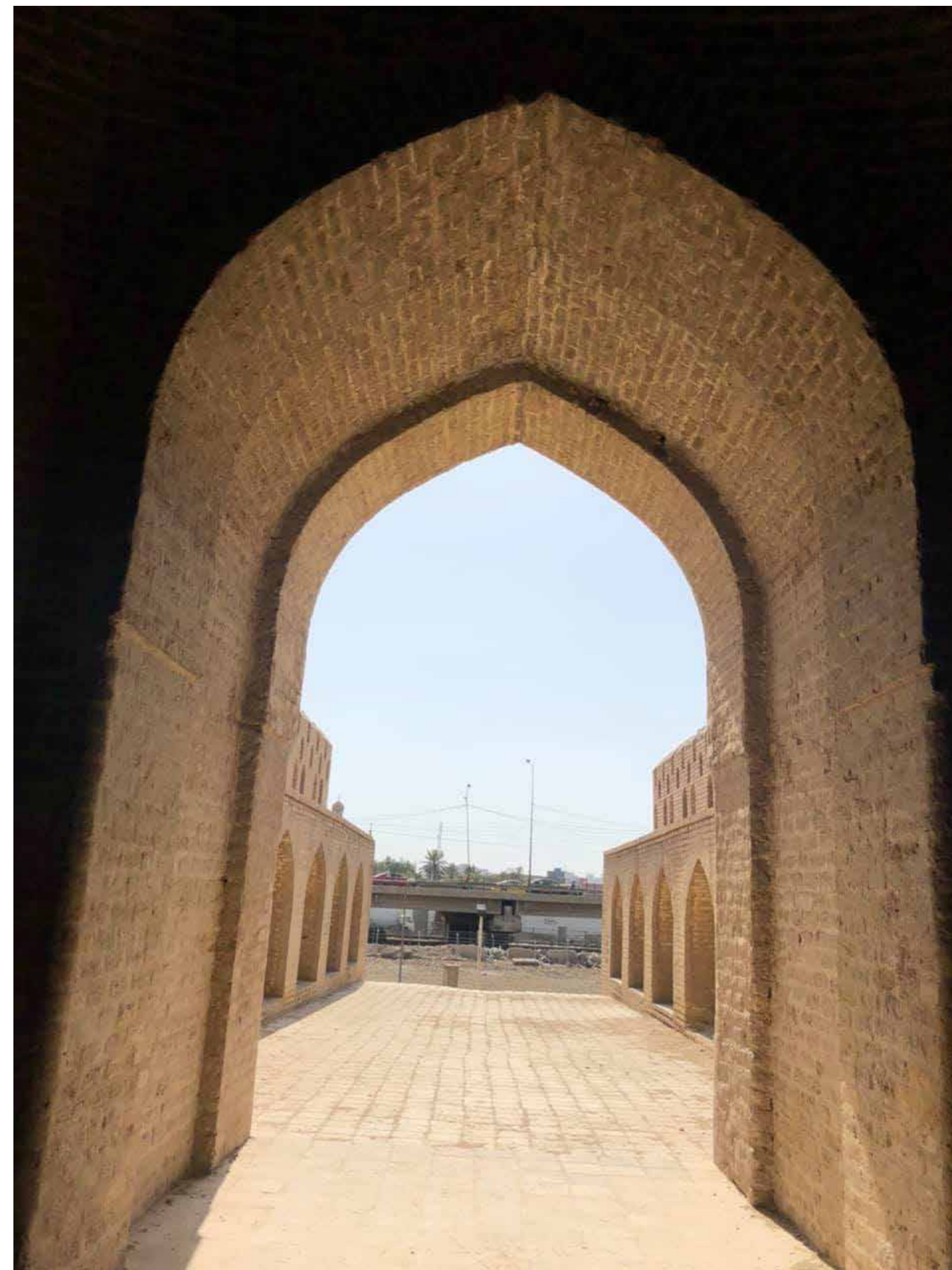
نسيجها التاريخي، قد تصل الى 80% مثل روما، فلورنسا، البندقية، كاركسون في فرنسا، دوبروفنيك في كرواتيا، يورك في إنجلترا، وروتنبرج في المانيا، وعشرات اخرى غيرها. القاهرة القديمة تحتوي الان على اكثر من 800 بناية ومعلم تاريخي مسجل. السبب الاساس في الحفاظ على الخصائص التاريخية لهذه المدن هو السيطرة العمرانية المحكمة تماما من قبل الجهات الحكومية المسؤولة، والوعي الثقافي الجماهيري بالاهمية القصوى للحفاظ على تراث الوطن الثقافي، ولا يمكن في اي حال من الاحوال السماح بهدم اي تشويه اي مبنى تاريخي مسجل اطلاقا. فعلى سبيل المثال،



بوابة الوسطاني 1890

حائط الرصافة، بغداد

بوابة الوسطاني 1890





باب المعظم 1910

جامع القمرية، 1202
تصوير احسان فتحي 1986

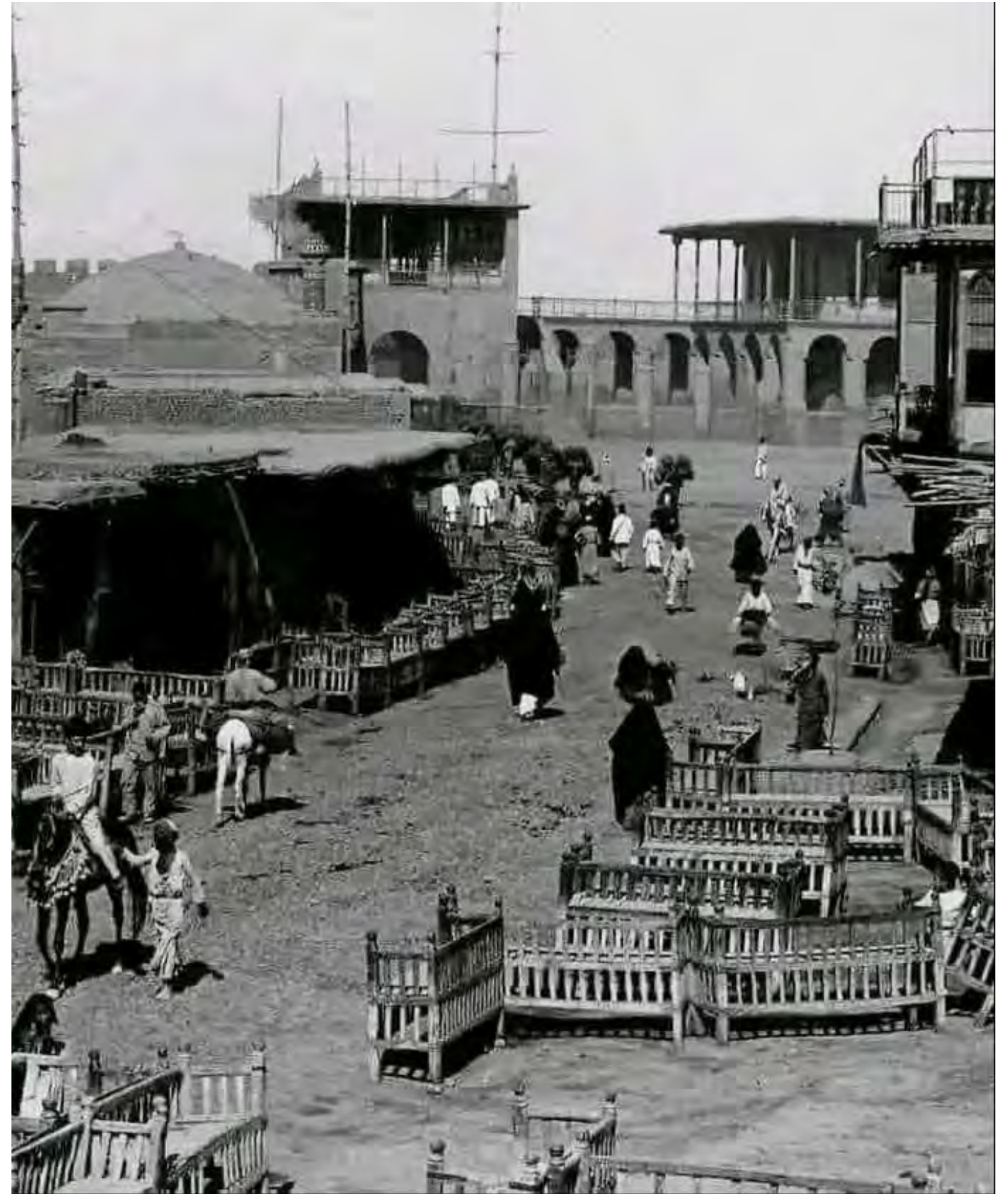
في 1937 بحجة تطوير المنطقة. تقع الباب
الوسطاني شرق الرصافة القديمة وعلى مقربة
من مقبرة السهروردي الحالية. وقد تعرضت
الباب الى عمليات صيانة واسعة ومتعددة منذ
عام 1939 وحتى الفترات القريبة وتم اعادة بناء
150 متر من السور في الجهة الشمالية الغربية.
الا ان شق طريق محمد بن القاسم السريع

لاتوجد اي ابراج حديثة عالية داخل روما او
فلورنسا القديمة ايدا، لكنها موجودة بكثرة في
قلب بغداد التاريخية وهي منطقة الاسواق (باب
الاجا) حيث سمحت، بل شجعت، امانة العاصمة
على بناء العمارات المرتفعة كعمارة الدامرجي
ومصرف الرافدين والدفتردار وموقف سيارات
الرصاص الضخم قرب اهم الابنية التاريخية
مثل المدرسة المستنصرية وخان مرجان. أمانة
بغداد كانت هي الجهاز الحكومي الرسمي
والمسؤول المباشر عن كل هذا التدمير بسماعها
تشويه البيئة التاريخية وخط السماء الافقي
للمركز التاريخي للرصافة.

بل الافطع من ذلك، فقد قامت امانة العاصمة
هي نفسها شاركت بهدم السور التاريخي (القرن
12م)، وهدم باب المعظم (1925)، وهدم باب
الشرقي (1937)، وهدم جامع مرجان (1946)،
وشقت شارع الملك غازي (1936)، وشارع الملكة
عالية (1954-1957) عبر الاحياء التراثي
المتراصة بكثافة بحجة تسهيل حركة السيارات
ونقل الركاب والبضائع، مما سبب في تقطيع
اوصال البنية التاريخية للرصافة وهدم الالاف
من الابنية التقليدية عبر النسيج العمراني
وخسارتها الى الابد.

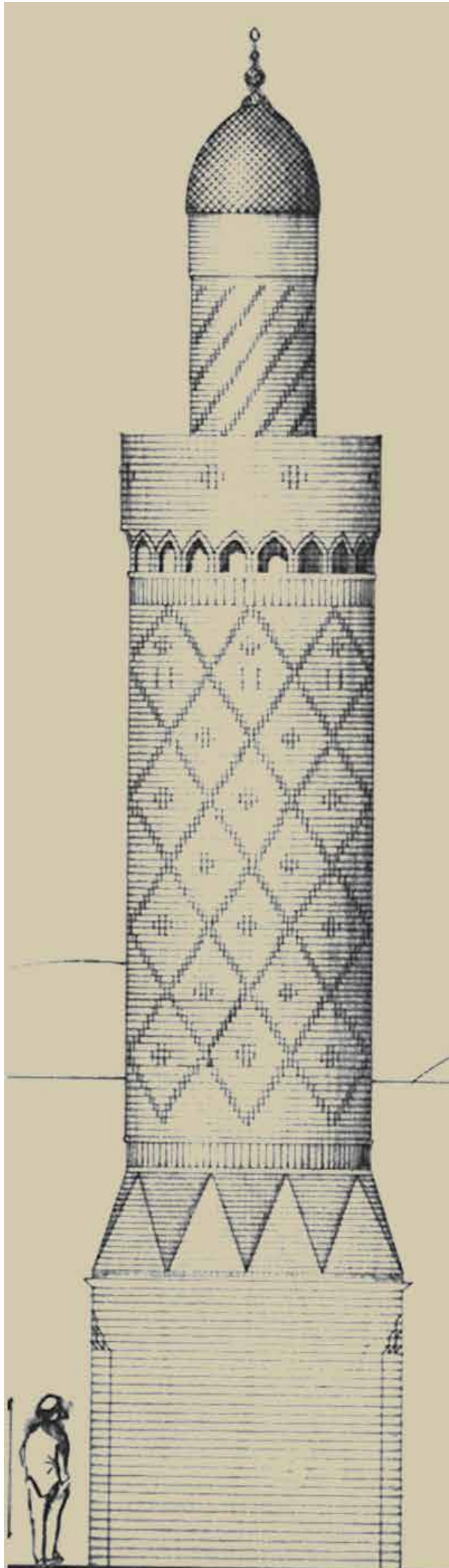
الابنية والمعالم المعمارية الباقية من الفترة
العباسية في بغداد (حسب قدمها) هي كم يلي:
1- سور المدينة - جزء صغير فقط باق من
سور بغداد التاريخي الذي شيده اصلا الخليفة
المستظهر بالله في 1095م وهدم تدريجيا ابتداء
من حكم مدحت باشا في 1869 وحتى بدايات
القرن العشرين. يقع هذا السور الاجري بين
قاعة الملك فيصل الثاني سابقا وجامع الاوزبك
ضمن ما كان يسمى بقلعة بغداد وحولتها الدولة
الى وزارة الدفاع في الثلاثينات من القرن
الماضي. ويعتبر هذا المعلم اقدم اثر عباسي
في بغداد حاليا الا انه محاصر تماما بين ابنية
حديثة ومن الصعب رؤيته او حتى زيارته.

2- الباب الوسطاني- هي الباب الوحيدة المتبقية
من سور الرصافة العباسية اذ تم هدم جميع
الابواب الاربعة الاخرى في فترات مختلفة. باب
الطلسم الرائع نفسه الاتراك قبل انسحابهم
من بغداد في اذار 1917، وهدمت باب الشط
العباسية في فترة العشرينات، وهدمت الامانة
باب المعظم في 1925 بحجة توسيع مدخل شارع
الرشيد، وهدمت الامانة ايضا الباب الشرقي





تهديم الباب الشرقي . 1937



جامع القمرية، 1200 تصوير 1924
منارة جامع الخفافين 1202
جامع القمرية، 1202 تصوير احسان فتحي 1986
مقطع لمنارة جامع القمرية 1200



على مقربة منها سبب في قطعها عن مسجد
وضريح عمر السهروردي وخلق صعوبة واضحة
في الوصول اليها .



3- جامع الخفافين (الحظائر): شيدت هذا
الجامع الصغير السيدة زمرد خاتون، والددة
الخليفة أناصر بالله، في 1202م، ويقع في
الرصافة بالقرب من المدرسة المستنصرية وعلى
ضفة نهر دجلة. كان يفصل بينه والمدرسة حمام
تاريخي هدم في الستينات عندما تم تطوير
المنطقة المحيطة بالمدرسة من قبل دائرة الآثار
العامة. تعرض هذا الجامع ايضا الى عدد
كبير من التجديدات والتغيرات مما سبب في
ازالة المسجد العباسي تماما، ما عدا مأذنته
التي يعتقد بانها لا تزال تحتفظ باغلب معالمها
العباسية. كما تم اضافة قبة ذهبية جديدة في
عام 2015 بعد اكتشاف بقايا قبر قديم في
الجامع، وهذا عمل مخالف لجميع مبادئ
الحفاظ على المباني التاريخية.

4- ضريح زمرد خاتون: يقع هذا الضريح الذي
يتميز بقبته المخروطية المقرنصة، ضمن مقبرة
الشيخ معروف الكرخي التي يرجع اصلها الى
الفترة العباسية، وكان هذا الضريح الذي شيد
في 1202م يعرفه العامة والسواح الاجانب
خطأ ب ضريح الست زبيدة زوجة الخليفة
هارون الرشيد. ونظرا لكون هذا الضريح يقع
ضمن منطقة مقابر فقد استطاع ان ينجو من
الهدم او التغيير لكثر من 800 عام، بالرغم من
خضوعه لعدة ترميمات خلال القرن العشرين. بيد
ان الضريح قد تعرض مؤخرا الى عملية تشويه
خطيرة جراء انشاء طريق سريع مرتفع على مقربة



بضع سنتمترات منه، مما سيسبب حتما باضرار جسيمة بهيكلة الانشائي بسبب الاهتزازات الناجمة عن الاف المركبات يوميا، اضافة الى حجب بصريا الى حد كبير. وفي الحقيقة، ان اصرار امانة بغداد بتنفيذ هذا المشروع بهذا القرب الخطير من احد اهم الاثار العباسية في العراق، بالرغم من الاحتجاجات القوية التي اثارها عدد كبير من الخبراء والمهتمين، يدل على ترجيح المشاريع الحديثة على حساب الاثار المسجلة رسميا، وعلى ضعف هيئة الاثار والتراث في السيطرة على الموروث الثقافي ومستقبله في كافة انحاء العراق.

٥- القصر العباسي: يقع هذا الاثر العباسي البارز ضمن ما كان يسمى بالقلعة الداخلية لبغداد وعلى ضفة نهر دجلة، ويتكون من كتلة بنائية من طابقين تبلغ ابعادها حوالي 41 متر للضلع الشمالي الغربي و47 متر للضلع الجنوبي الغربي. ومن الحلول المناخية اللافتة هي استعمال الدهليز الخلفي المرتفع لتوفير العزل الحراري والاضاءة الطبيعية. وما يميز هذه البناية الاجرية هو صحنها الداخلي المفتوح (21 x 25) الذي يحتوي على ثلاثة اروقة مسقفة بمقرنصات اجرية هي غاية في الدقة والجمال التشكيلي (عدا الجهة الجنوبية

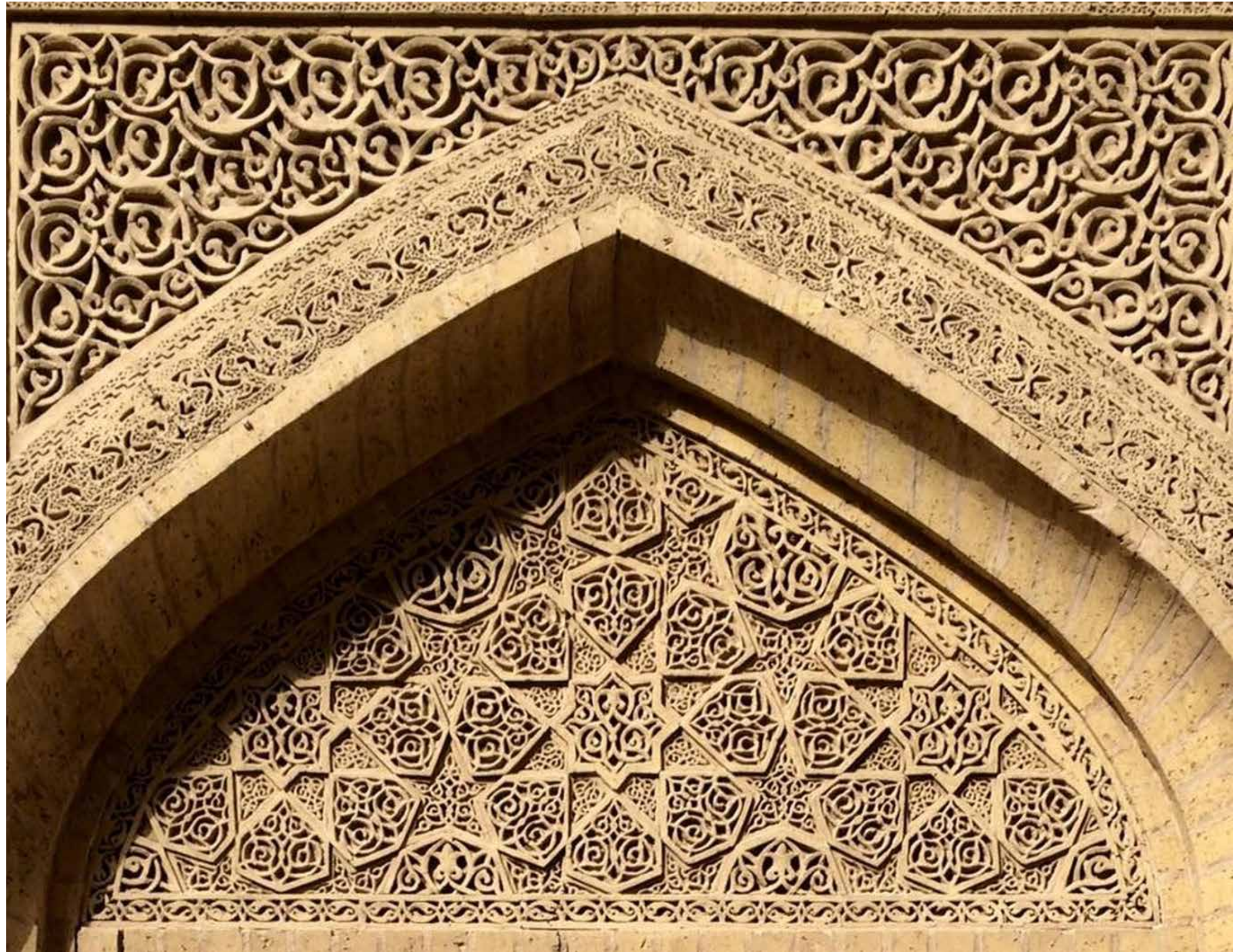
واجهة القصر العباسي، تصوير احسان فتحي 2022
الساحة الداخلية للقصر العباسي، من الاعلى
مقرنصات القصر العباسي، تصوير احسان فتحي 2022

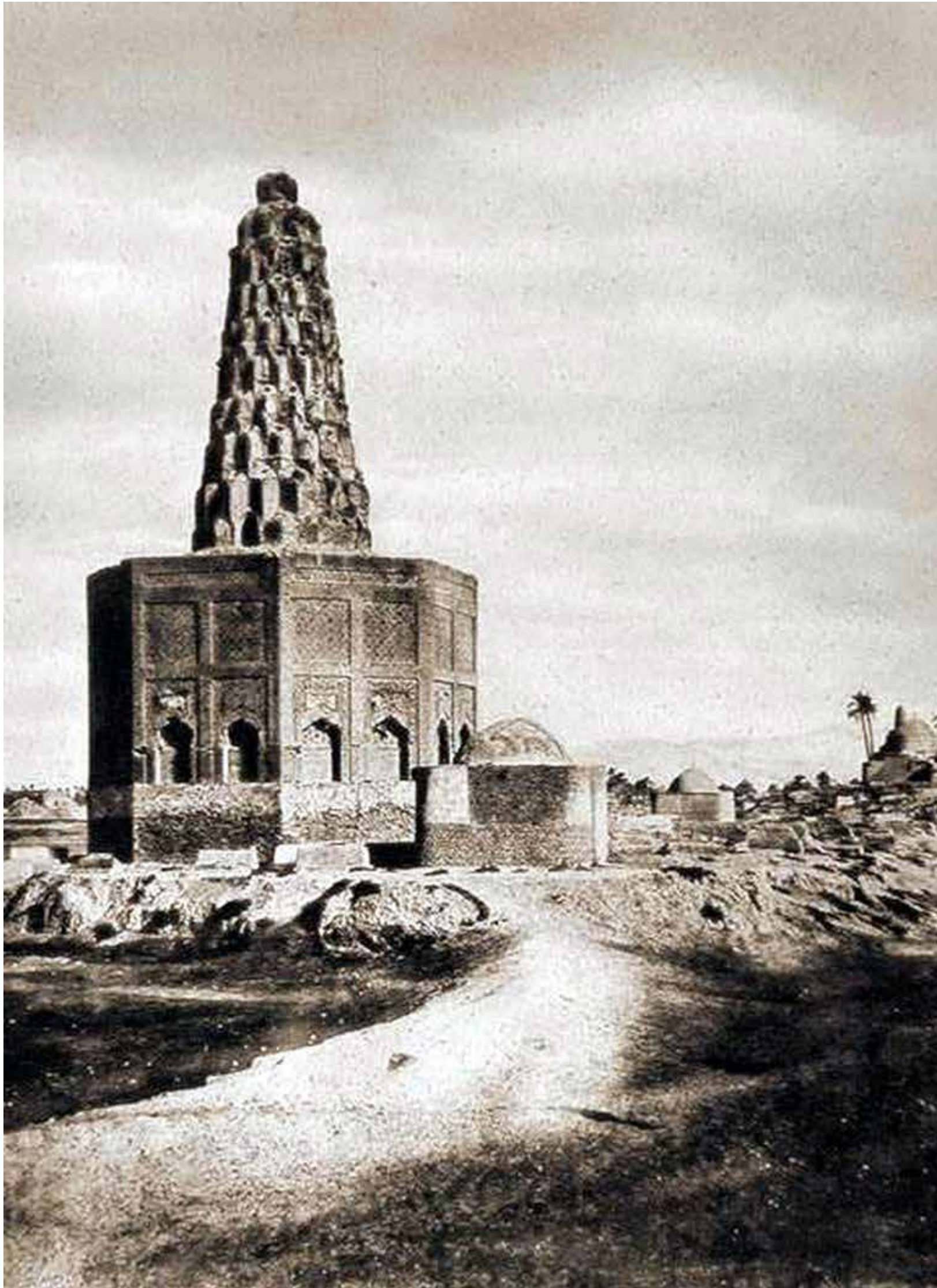


الغربية). ويتوسط هذا الصحن حوض حجري دائري كبير جلب من سامراء (بعد اكتشافه ضمن الآثار هناك في الفترة 1936-1938) ونقل أولا الى خان مرجان ثم اخيرا الى القصر العباسي بحدود نهاية الثلاثينات. وفي الواقع ان هذا المبنى يمثل ذروة الابداع والعبقرية التي وصلت اليها العمارة العباسية في مرحلتها المتأخرة، وباعتمادها فقط على مادة واحدة وهي الاجر(الطابوق) قبل ان تسحق من قبل الاحتلال المغولي في 1258.

الا ان هناك خلافا شديدا حول تاريخه ونوع استعماله. بعض المؤرخين اكدوا على كونه اقرب الى المدرسة الدينية وسموه بـ «المدرسة الشرايية» نظرا لانه يشبه كثيرا المدرسة

شكل زخرفي للطابوق العباسي
دهليز القصر العباسي، بغداد





المستصرية. بينما يعتقد آخرون أن هذا المبنى هو « دار المسناة » التابع للخليفة الناصر بالله، ويؤرخه ب 1225م. وإذا ما أريد الحسم في هذا الأمر وتحديد هوية وتاريخ المبنى فيتوجب على هيئة الآثار إجراء تنقيبات أثرية شاملة داخل الصحن وحول المبنى من جميع الجهات. إن مثل هذه التنقيبات ضرورية لاكتشاف أصل المبنى وامتداده تحت الأرض، كما قد يتم العثور على نقود ولقى عباسية ستعزز من تحديد هوية المبنى.

إن المبنى الحالي للقصر العباسي (اسمه الرسمي حالياً) قد تعرض إلى عمليات ترميم وإعادة بناء كبيرة جداً منذ فترة الثلاثينات من القرن الماضي. إن نظرة واحدة إلى الصور الملتقطة للمبنى ستبين الدمار الكبير الذي أصاب هذا الأثر عبر التاريخ. لهذا السبب، فإن هناك من يعتقد أن «إعادة البناء» الكاملة التي قامت بها دائرة الآثار لم تكن مناسبة وغير محبذة أبداً لأنها شملت ترميمات غير مؤكدة صحتها، وخاصة معالجة الواجهة النهرية. وفي الحقيقة، فقد بات المبنى «جديداً» وفقد روحه العتيقة، وهي مشكلة خطيرة تعاني منها فلسفة هيئة الآثار في الترميم منذ زمن بعيد. طبعاً كان من الممكن إجراء عمليات ترميم ضرورية مع الإبقاء على أجزاء عديدة كما هي عتيقة دون أي تجديد، وهذا هو بالضبط ما تقوم به أغلب دوائر الآثار في العالم.



٦- جامع قمريه (بضم القاف والميم): يقع هذا الجامع الصغير في الكرخ وعلى ضفاف نهر دجلة، ويرجع أصله إلى الفترة العباسية المتأخرة. يعتقد أن اسمه يرجع إلى السيدة (قمريه خاتون) وهي من أسرة الخليفة الناصر بالله (١١٨٠-١٢٢٥). وقد تعرض هذا الجامع التاريخي إلى العديد من التجديدات والتغييرات الجذرية الكبيرة كان آخرها في ١٩٨٠، مما سبب في إزالة كاملة للمسجد الأصلي، ماعدا ماذنته التي يبدو أنها حافظت على معظم معالمها التاريخية. وهذه المأذنة الصغيرة تقع خارج كتلة المصلى وملاصقة له من الناحية الغربية مشيدة من الحجر العباسي وترتفع على



قبر زمرد خاتون 1841
جامع معروف الكرخي وقبر زمرد خاتون 1860
تهديم لبناء عباسي عام 1923
قبر زمرد خاتون، عام 1920

قاعدة وبدن اسطواناني مزخرف الى حوالي ١٢ متر، وتحتوي على حوض دائري تم ابرازه الى الخارج لتوفير الحركة للمؤذن. وتم تزيين قبة البدن العلوي بزخارف من الاجر والفسيفساء الملونة. وفي الحقيقة، ليس من السهل التاكيد على اصالة تفاصيل المأذنة العباسية لعدم توفر الوثائق اللازمة، وهناك احتمال مقبول بأنه قد تم التلاعب بعناصر هذه المأذنة التاريخية بسبب عمليات الصيانة والتجديد المتكررة.

7- المدرسة المستنصرية: من الممكن القول بسهولة ان بناية المدرسة المستنصرية التي شيدت في 1227م هي احدى اهم الاثار العباسية والاسلامية في العراق والعالم الاسلامي على الاطلاق. ومن العجيب ان اثارها التي صمدت لفترة طويلة بعد سقوط بغداد كانت تستعمل كدائرة للجمارك خلال الفترة العثمانية وحتى نهاية العشرينات، وكانت مهمة جدا وايلة للسقوط. وفي الحقيقة كانت هناك مطالبات بهدمها بسبب خطورتها، واستبدالها بمبنى جديد كما حصل للمدرسة النظامية القريبة جدا منها والتي هدمت وحولت الى سوق سمي باسم مالكة ب «دانيال». والسبب في عدم هدمها كان اعتراض بعض الوجهاء والمحبين لتراث العراق وتزايد سلطة دائرة الآثار العامة واهتمام صاحبي القرار من بعض السياسيين الواعين باهمية الابنية التاريخية. وفي عام 1945 انتقلت ملكية المدرسة من الاوقاف الى دائرة الآثار التي بدأت بمشروع طويل الاعداد لاعادة احياء المبنى الى هيئته العباسية السابقة.

تتكون بناية المدرسة من كتلة مستطيلة بموازية نهر دجلة ومن طابقين، ويبلغ عرضها حوالي 44 متر وطولها حوال 105 متر، ومشيدة كلها من الاجر العباسي المتميز بلونه الاصفر، وتحتوي في وسطها على صحن مفتوح يبلغ عرضه حوالي 27 متر وطوله حوالي 62 متر. ان اهم ما يميز عمارتها الداخلية هو الثراء الزخرفي المبههر الذي يزين جدرانها المطللة على الصحن الداخلي، وكذلك الافريز الكتابي الاجري المحفور بطول 100 متر على جدارها الخارجي الجنوبي الغربي والمطل على دجلة. وكما هو الحال في القصر العباسي فان هناك دهليز ضيق ومرتفع في الجهة الجنوبية الشرقية يوفر



المدرسة المستنصرية 1227 . بغداد



(جامع الاصفى)، وحمام الجمرك من الجهة الجنوبية الشرقية. ان فكرة « ابراز » الصروح التاريخية المعمارية عن طريق هدم وازالة كل ما يحيط بها، حتى لو كانت مبان مهمة تاريخيا، هي اتجاه شائع جدا، بل مرغوب تماما، من قبل السلطات البلدية والاقواق في جميع انحاء العراق ومتبعة منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى الان. هذا ما حصل فعلا لاغلب العتبات المقدسة (سامراء، الكاظمية، النجف، كربلاء، الكوفة)، وجوامع كبيرة في بغداد شملت جامعي الشيخ عبد

فتارة نراه مزودا باربع حداثق وتارة بحوض مائي والان بعشرة احواض صغيرة متروكة وتنمو بها حشائش برية. ان خلو الصحن تماما من النخيل والاشجار هو امر غريب ويجب اعادة النظر فيه لاننا نعلم ان تواجد نافورة مائية وأشجار باسقة ووارفة كان متبعا دائما في كافة الفترات التاريخية السابقة. ومرة اخرى، فقد تم ازالة كل ما كان يحيط بالمدرسة من مبان تاريخية كالسوق الطويل المعقود الذي كان ملاصقا لها من الجهة الشمالية، ومبنى دار القرآن الذي كان ملاصقا لها من الجهة الشمالية الغربية

ممر باردا للحركة بين الغرف الداخلية. مرة اخرى، ان هناك العديد من المختصين في ترميم المباني التاريخية يعتقد بان ما قامت به دائرة الآثار من انقاذ المدرسة واعادة اكملها كليا هو عمل تحمد عليه لكنه مبالغ فيه جدا وسبب في فقدان المدرسة روحيتها العتيقة. كان من الممكن مثلا الابقاء على بعض العناصر من المبنى مرممة جزئيا للحفاظ على هيئتها الاصلية القديمة. كما تشير الصور التي التقطت للصحن الداخلي عبر فترات مختلفة تخبط المسؤولين عن ترميمها في التعامل معه،

جامع عمر السهروردي، تصوير احسان فتحي، 1975
منارة جامع السهروردي، تصوير احسان فتحي



القادر الكيلاني وابو حنيفة في الاعظمية، فقد تم تجريف كل ما يحيط او يقترب من جميع هذه الصروح، مما جردها تماما من سياقها التاريخي. والادهى من ذلك، فقد سمحت السلطات البلدية بتشديد ابراج عقارية استثمارية عالية حول هذه الصروح وعلى مسافات ليست بعيدة عنها بحجة توفير الخدمات اللازمة للزائرين. ان ما حصل ويحصل فعلا هو ليس خسارة كبيرة لا تعوض للبيئة التاريخية بل سبب في العزل البصري شبه الكامل لهذه المعالم التاريخية.

8- ضريح ومسجد عمر السهروردي: يقع هذا المسجد والضريح في اقصى الجهة الشرقية لمنطقة الرصافة وبالقرب من باب الوسطاني العباسية. الجزء العباسي الاصيل والوحيد هو المجمع الضريحي الذي تعلوه القبة المخروطية المقرنصة ويعود تاريخها الى 1234م. ان القبة التي ترتفع حوالي 25 متر تعاني الان من الميلان نحو الجنوب بسبب الاهمال والعوامل الطبيعية، وهي مهددة بالسقوط في اي لحظة دون ان يتخذ ديوان الوقف او هيئة الاثار والتراث اي اجراءات حاسمة لمعالجة الامر. وفي الحقيقة، ان هذا المسجد الضريحي الهام قد تعرض الى عمليات تجديد وتشويه عديدة عبر تاريخه الطويل كان اهمها واوسعها في 1856 حيث شيد مسجد جديد مع مأذنة جديدة ترتفع حوالي 23 متر وتتألف بصريا القبة المخروطية. ان رسومات الفنانين الرحالة تظهر القبة الضريحية والمسجد دون اي مأذنة. ويفضل تماما ازالة هذه المأذنة باسرع وقت ممكن لانها شوهت المشهد البصري للضريح العباسي.

خاتمة:

تعرضت مدينة بغداد عبر تاريخها الطويل الى اكثر من 20 احتلالا اجنبيا مدمرا، والى عشرات الفياضانات الكاسحة، وعدد كبير من الامراض الخطيرة مما ادى الى تدمير اغلب معالمها المعمارية الاصلية. بغداد المدورة نفسها، والتي اسسها الخليفة جعفر ابو المنصور في تموز 762، اختفت تماما من الوجود، كما اختفت جميع انهارها وقصورها التي كانت خارج المدينة. واختفت جميع معالم منطقتي الرصافة والكرخ بسوريهما والاغلبية السحقة من ابنتها المهمة. بيد ان العامل البشري كان هو الاكثر تدميرا لما تبقى من بغداد العباسية والقروسطية خلال

عمليات ماسمي بالتحديث والتطوير. ان سجل امانة بغداد ومؤسسة الاوقاف حافل بالهدم المباشر والتشويه الكبير لجميع الابنية التاريخية بسبب عمليات الصيانة والترميم المزعوم. ان نجاة فقط 8 ابنية او معالم عباسية يدل على نطاق الكارثة الكبيرة والخسارة الثقافية غير المسبوقة في المنطقة. ومن المحزن حقا، القول

احسان فتحي
معماري اكاديمي عراقي
متخصص في الحفاظ على التراث الثقافي
2025-1-24

جامع عمر السهروردي 1908
جامع عمر السهروردي، تصوير احسان فتحي 2016
قبة جامع عمر السهروردي ، تصوير احسان فتحي 2016

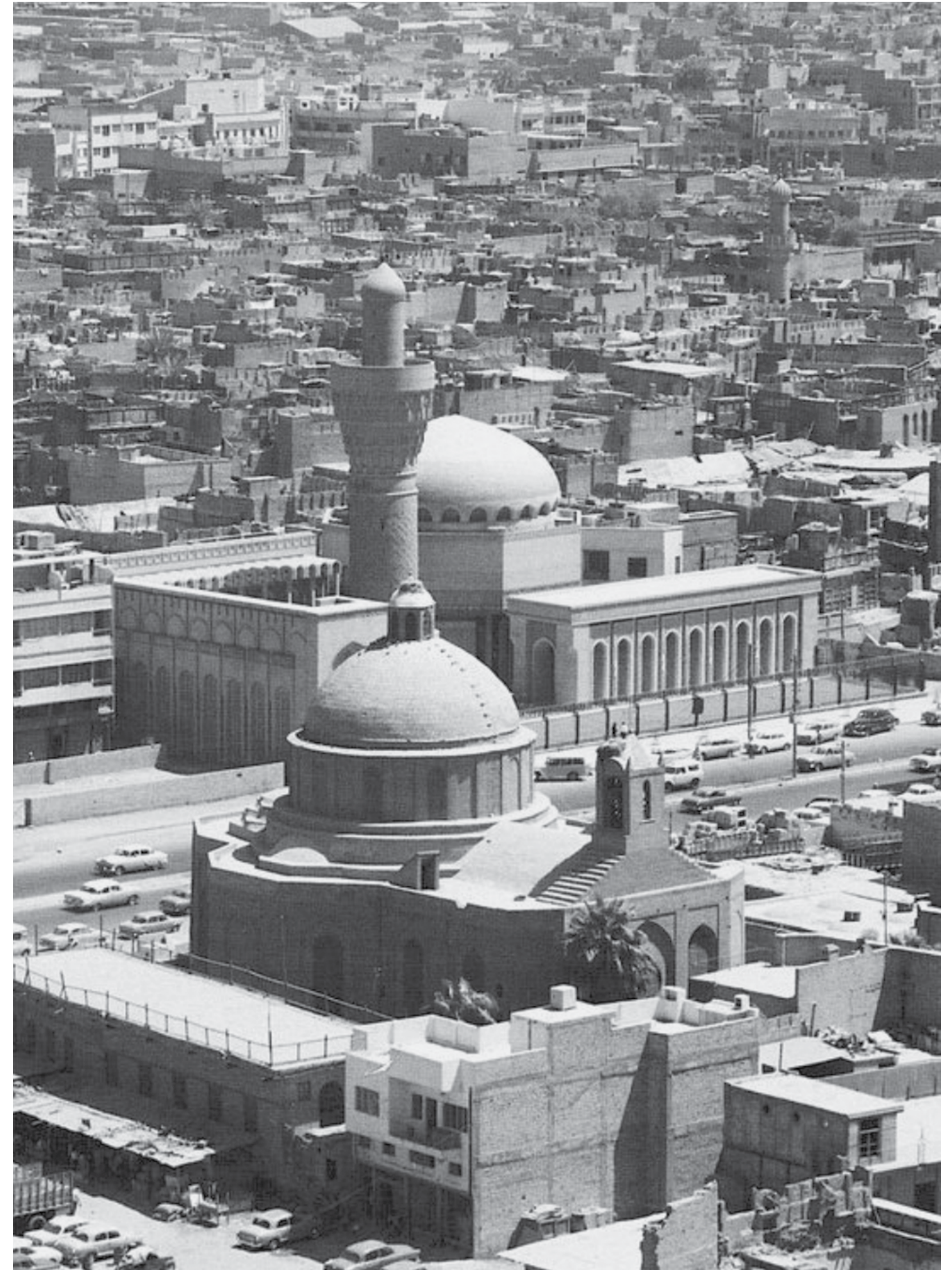
الصورة المؤجلة لشارع الجمهورية

سهيل سامي نادر

على الأزقة القديمة الآمنة، وها أنا الآن في عام 1972، لا أرى فيه غير تغييرات طفيفة. فكيف نفسر هذا في مدينة حديثة توفرت لها مساحات هائلة من دون أن تستثمرها طوال هذه المدة؟ لقد استملك الشارع أخدوداً عميقاً، وسار فوق آلاف البيوت القديمة، وفكك أزقتها وقطعها. آنذاك كانت المدينة آخذة بالاتساع إلى الغرب والشرق من نهر دجلة، بعد أن تكاثر سكانها بسبب الهجرة من الريف، وزادت وسائل النقل فيها وتنوعت، مع توقعات نمو نتجت عن زيادة مداخل الدولة من الربيع النفطي.

منذ نحو 15 عاماً، انبثق في القلب التاريخي لبغداد شارع دُعي باسم الملكة عالية، ثم تغير اسمه في العصر الجمهوري إلى شارع الجمهورية. في عام 1957، أيام الصبا، كنت أجلس أنا ورياض قاسم وأصدقاء آخرين في مقهى «أكرم» الذي يقع في ركن تقاطع هذا الشارع مع شارع الأمين مقابل ما كانت تنهض سابقاً سينما دنيا التي اعتادت تقديم أفلام ذات 31 فصلاً، ومقابل الزقاق المحطوم التي تقع عنده مدرسة التفيض من جهة الغرب. أقول هذا لكي أدلل على أنني عرفت هذا الشارع ابتداءً من تاريخ استيلائه

منطقة الشورجة وتظهر فيه كنيسة اللاتين وخلفها جامع الخلفاء 1968 كنيسة اللاتين أو السيدة العذراء 1964،





ساحة الخلائي، بغداد



التجربة، فلدينا شارع رئيسي مشغول بأحياء موظفة، مبنية بأنواع متعددة من الطرز والمواد الإنشائية، ولدينا تذكارات عنه وعنها. أعني شارع الرشيد بكل معماريته وأثاثه. لدينا إذن شارع يرسم لنا توقعات شوارع أخرى، فضلاً عن صورة الشارع العالمية المستوعبة عن طريق الثقافة والاحتكاك بالعالم الخارجي. أنه ليس احتكاماً لأننا لا نجادل ههنا، بل هو توقع قوي ممتلئ بالدلالة. فهنا أن ١٥ عاماً تتقضي ولم نر سوى مساحات أرضية عارية، غير مستثمرة بعد، مع ظهور قطع انقضت عليها رقاسات الحديد وساحبات المياه الجوفية.

ثمة أسئلة مهمة تحضر ههنا: هل وثّقوا ما جرى هدمه من الأزقة القديمة؟ هل صوّروا بعض الدور ذات الأهمية التراثية؟ هل رسموا خريطة لهذا الماضي العريق الذين أزالوه باسم التحديث؟ ثم السؤال الحاسم الخاص بالمستقبل: هل جرى تخطيط سابق لتوظيف المساحات الواسعة على الجانبين في ما عدا الأرصفة، أم أبقوا هذا لقرارات تتخذ في حينها؟ أشك بوجود إجابة على هذه الأسئلة من الجهات المسؤولة. يبقى لنا توقعات البصر والبصيرة المستندة إلى

إزاء هذه التبريرات الواقعية، طوّرت دولة تبرجزت تواء تصورات دعائية عن عمران ماثل نفسه بمقاربة تاريخية: فمدينة تاريخية ذات عزّ ومجد ستسترجع كل ما كان لها من عزّ ومجد. المطلوب بعث الماضي بازدهار عمراني في الحاضر! هذا الطرح ظلّ ماثلاً حتى بعد أن تغير النظام السياسي. فحركة الفكر المؤسس للدولة العراقية واصلت العمل بمبدأ بعث الماضي الغني في قلب مدينة تاريخية، وستبدو فلسفة العمران التاريخية تطويرية، حسيّة، منطقتها التحليلي والتخطيطي مضمّر. إنها هذا المكان، هذه العمارة، هذا الجسر، هذا الشارع المستقيم المبلط بالاسفلت. تلك مفردات صريحة، ظاهرة للعيان، تتناثر ببطء من دون روابط، كأنها خواطر غير مصممة، على عكس المنجزات الأخرى التي تختار مواقع أخرى بعيدة. إن ما يصعد من عمائر وتبليط شارع ذي أذرع ومقتربات، يتقوى وجوده بالاستخدام اليومي، ويستحيل إلى تذكارات بصرية يتقاسمها الجميع من دون تمييز. من هنا مآثرتها.

إذن ظهر الشارع بأسبابه الوظيفية المقنعة، وأدى وظائفه المباشرة كشارع عام للجميع، بيد أنه ترك للمصادفات السياسية والاقتصادية، ولتصيرات لا يمكن التحكم بها. فضلاً عن ذلك أن الناس المنتفعين من شارعهم على نحو مباشر لا يناقشون العمليات التالية التي يجري فيها تحويل الشارع إلى مجموعة من الأحياز التي تشكل الصورة العامة له، وتمنحه شخصيته البنائية، فهذه العمليات خارج سيطرتهم ولا يتحكمون بقراراتها على الرغم من أنها تصنع الكثير من ذكرياتهم عن المكان. اعتدنا الفرار من الفضاءات المكشوفة التي تصلها شمس صيفية لا ترحم بحثاً عن الظل، وهذا الشارع لم يوفر هذه الظلال بل إنه واصل صورة فضاء مغمور بالضوء والصخب. إنه مجرى مرور يهرب السكان منه إلى الأزقة نفسها التي داس فوقها، وإلى الأسواق التاريخية المسقوفة التي قطعها من وسطها عند مفاصل مهمة في الحياة التجارية للمدينة وللبلد بمجموعه. والحال لا أحد سينتبه للقضايا الخاصة بالتنسيق والقيم الجمالية للشارع، فقد ترك كل شيء بلا تخطيط يُلاحق ما جرى تشييده أو



العقاريين على إقامة مشروع من دون ضمان؟ إذن سوف ينمو الشارع بالتقسيم، وسوف تظهر أعمال البناء مثل نتوءات غريبة في مساحات فارغة بيضاء مكشوفة.

تمنع الوقائع التي تثير خلصة من ظهور بنية معمارية للشارع تتصف بالوضوح. تمنع ظهور جوارات تحتضن مجرى الشارع لها تنسيق خاص. تمنع عنا رؤية الشارع كبنية معمارية ملحقة بوظائفها. والحال إن وجود مثل هذه البنية يقدم تعريفاً ذا بعد حضاري واجتماعي، يحل نفسه بالضرورة إلى المدينة بالكامل كإيقاع من إيقاعاتها، وكمكان للعيش والتمتع وإجراء التجارب الجمالية على مستوى العمارة والفن واللعب.

فهمتُ من بعض المراجع الرسمية أن الشارع موعود لتحتله مؤسسات الدولة. الدولة اختارت أن تنقل دوائرها إلى أبنية جديدة، نظراً لأن أبنيتها الحالية تهرأت ولم تعد تفي باحتياجاتها

ومالية لعدم توفر الأموال اللازمة لاستثمار مساحاته وإشغالها. ولأن الإشاعة اختفت، فإن أهدافها، وأفترض بوجود أهداف، تشير إلى مأزق هذا المكان المتحول إلى خرائب جديدة.

إن بقاء الشارع في عري فاضح يشير إلى ما يأتي :

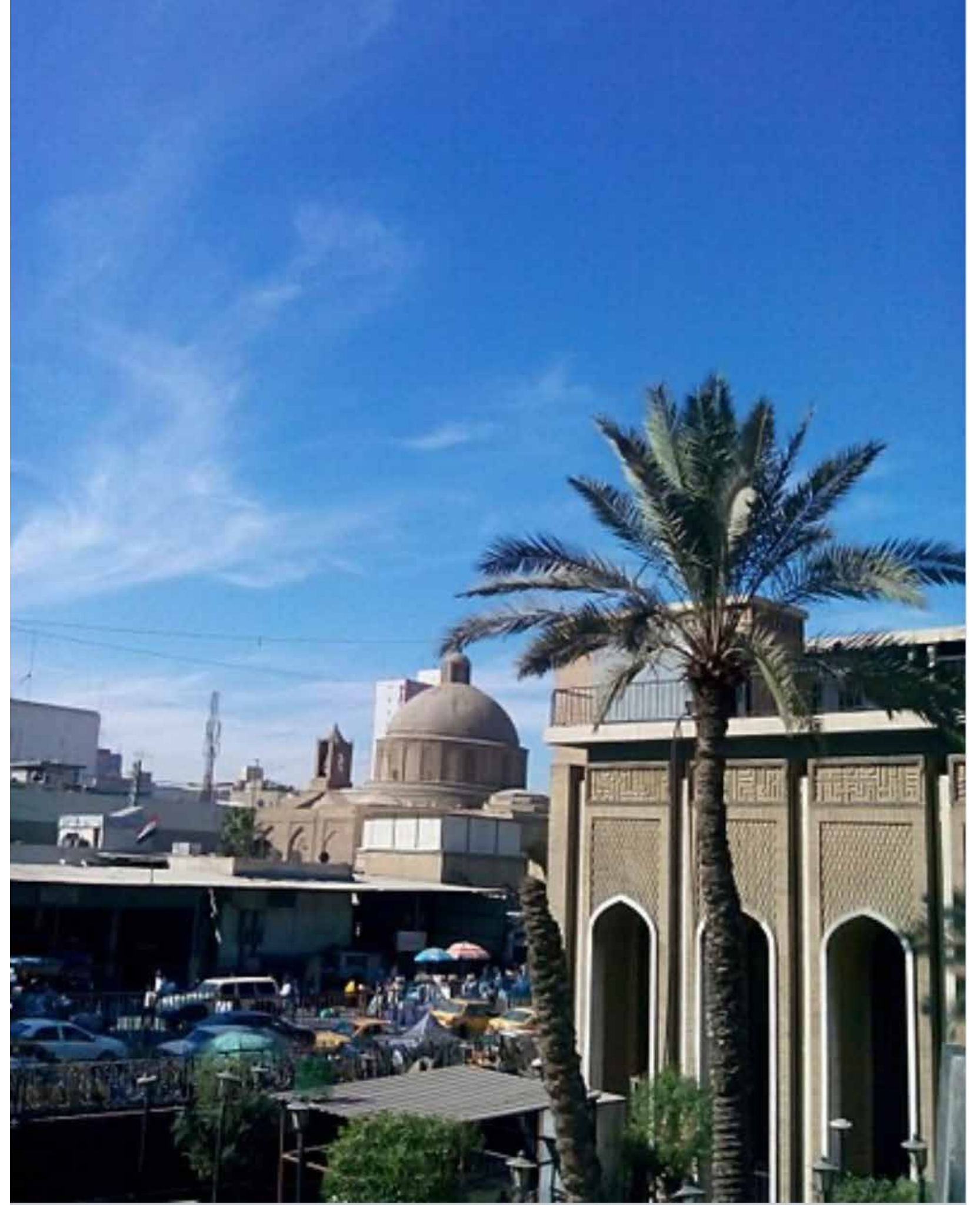
– أن الدولة لم تمتلك مخططاً استثمارياً واسعاً بشأنه.

– أن المساحات التي تحولت إلى خرائب بسبب استعمالات السكان أوسع من أن تعمرها الدولة، أوسع من إمكاناتها الفعلية، ومن حاجاتها المنظورة وغير المنظورة.

– علقت تلك المساحات باشتباك ما هو سياسي واقتصادي. فمن جهة تحكمت الدولة بالاستثمار ولا سيما بعد قرارات التأميم التي اتخذها عارف، وستكون الدولة محرجة إذا ما عرضتها للبيع، سواء إلى مستثمرين عرب أو إلى مواطنين. ومن ذا الذي يجرو من البورجوازيين

وسيبند المشهد مؤكداً، إما خرائب متروكة، وإما عمارة تقف وحيدة تخفي خلفها أحشاء المدينة القديمة، فضلاً عن ظهور استثمارات فوضوية للسكان حوّلت هذه المساحات إلى أسواق بائسة وورش حرفية لتصليح العربات ومواقف لها. والحال ظل الشارع طيلة تلك السنوات عارياً، وظلت أمعاء المدينة تتدلى منه، وكانت تنهض بين الحين والحين عمارات متناثرة هنا وهناك، لتتبقى بظهورها فجوات ومساقط حادة وخرائب من نوع جديد.

سرت إشاعة- ربما في زمن عارف الأول- أن الدولة ستبيع أراضي الشارع إلى مستثمرين كويتيين. لا دخان بلا نار. فثمة من لاحظ مشكلة الشارع في سياق التوقع أو بحكم الضرورة، ولا أظنه اختلق بالولنا اختبارياً لكي يقيس به اجتهادات السياسة الرسمية بشأن شارع أدركته ثلاث ملابسات: سياسية تتمثل بعدم توفر قرار سياسي، وحضارية نظراً لثرائته غير المبررة،



جانب من جامع الخلفاء وخلفه تظهر كنيسة اللاتين



من مواد مختلفة تدخل الضوء. من هذه الثغرة ينبثق ضجيج المتبضعين والسيارات والعربات والحمالين. أزال الشارع الجديد في هذه المنطقة ديراً واسعاً كان ملحاً بكنيسة اللاتين ذات المعمار المبتكر. ظلت الكنيسة المبنية نحو 1870 باقية يحاصرها اضطراب عظيم من ضوضاء التجارة والشارع العام والتلفيقات الجديدة المتمثلة بعمارة تشبه عصا غليظة.

هذه الكنيسة والعمارة تقعان قبالة جامع عباسي لم يبق منه غير منارته المشيرة التي تماثل منائر الفترة العباسية المتأخرة. إنه أقدم أثر متبقي من زمان هذه الحاضرة الكبرى ، وكان ضائعاً بين الأزقة التي كشف عنها الشارع الجديد،

وتستدعيهم للرحيل. هذا الوصف يجعل منها (عمارات جزر)، (شموع فقر) حسب البلاغة الشعبية. إنها تمتد كشريطين على مساحات ضيقة، وفي تقابل كسول، ولا تلتفت خلفها لتؤسس بيئة منسجمة متكاملة، وهما الاثنان يخفيان المدينة القديمة المنحدرة.

في منطقة الشورجة التجارية الحيوية نلتقي بأنواع من الضجيج: بصري وصوتي ومعماري. هنا تتواجه العمارة التاريخية المحلية بالعمارة الجديدة من دون خطة ولا تنسيق، فضلاً عن وجود ثغرة هائلة من الضوء أحدثها الشارع في أسواق عجيبة كانت تمتد ما بين شارع الكفاح حتى الرشيد وتنتمي على نحو ما لنظام الأزقة العتيق الذي يختصر المسافات والمحمية بسقوف

من أزقة وعمارات المدينة القديمة. فقد منحت العمارة الجديدة نفسها ههنا لدوائر الدولة ومكاتب المحامين وعيادات الأطباء والصيادلة ووكلاء الشركات والمخازن التجارية والفنادق. أي لأولئك الناس المؤقتين المرتبطين بحدود ساعات يومهم العملي إلا في حالات أخرى. إنها عمارة موظفة بهذه الحدود.

من جهة أخرى ليس الشارع غير صف من عمارات تخفي خلفها تماماً، أو تكشف من خلل المساحات المؤجلة، أزقة ضيقة، وبيوت لم يعتد أصحابها إعادة ترميمها، خاصة تلك التي بنيت في العقود الأربعة الأولى من القرن التي تتآكلها الرطوبة والملح، ولا تمدهم الدولة بحل تقني ومادي، فكأنها والعمارة تغلقان عليهم النور

تسير الحقائق المكانية والعمرانية مع أهواء السكان الحضارية جنباً إلى جنب، والاثنان نتاج تكيف عريق مع الجغرافية والمناخ والمواد المحلية المتوفرة للبناء. قد لا يسيران معاً بخطوط متوازية، فهناك انقطاعات، كما توجد اختراعات تعيد تشكيل استجابات السكان وتكيفهم للبيئة.

نعرف أن للعراقيين موقفاً سلبياً من السكن في عمارة ، والعادة أنهم لا يسكنون في شوارع رئيسية تمخر فيها وسائل النقل ليل نهار. إنهم يسكنون في بيوت مستقلة تشكل فيها الجيرة قوة اجتماعية. حقائق كهذه تجر وراءها توقعات كاملة مبررة تبريراً كافياً، ولا سيما في المناطق التي استولت فيها الشوارع على أجزاء مهمة

بعين فردية، بحدث عمارة معزول، ويحدّد صورة متلاطمة للشارع، مسقطاً أشكالاً شاذة من العلاقات المكانية والفراغية. إنه يخلق عادات نظر تتاسبها، بل وعادات عمل، أي أنه سيمارس تربية ذوق خاص.

عمارة كهذه أسمىها عمارة شارع، وعمارة واجهة، فهي تمارس دورها في حدود الشارع والواجهة، وتقدم فنّها المعماري في سياقهما. ومن الغريب أن الدولة التي يستنزفها النمو الأفقي للمدينة واحتلال أراض زراعية وتجريف مزارع وبساتين، لم تفكر أن تبني في هذا الشارع بالذات، عمارة أو عمارتين سكنيتين تجريبيتين وتراقب استجابة الناس لها، وتسهم بتفكيك مبادئ السكن القديمة التي باتت مكلفة.

المستقبلية، ولقد اختارت هذا الشارع الجديد الذي يليق بها. إن نظرة واحدة تؤكد ذلك، فقد شغلت أربع وزارات أبنية ضخمة، واحتلت عدد من المؤسسات والدوائر عمارات لم يكتمل بناؤها بعد، ولسوف نتوقع طلوع أبنية جديدة تحتلها دوائر حكومية في المستقبل.

الشارع، حسب هذه التأكيدات مرصود للمستقبل، وينتظر قرارات إدارية، ورصد مبالغ. إنه ينتظر، وقد يطول انتظاره أو يقصر، فهذا ليس مهماً من الزاوية التي أنظر منها والتي تؤكد على البنية المعمارية كأثر حضاري واجتماعي وجمالي. أتوقع، نظراً لتعليق الشارع على مستقبل غير منظور، وبالمقارنة إلى ما ظهر حتى الآن، نمواً معمارياً متافراً، يبني

حتى قيّض له المعمار محمد مكية الذي قدم له حياة جديدة.

في أيام الدولة العباسية كان الخليفة يأتي في موكب كبير من قصره على نهر دجلة إلى هذا الجامع ليصلي صلاة الجمعة، وكانت منارة الجامع التي تتجاوز ارتفاعاً عن ٣٠ متراً هي أعلى بناء مرتفع في بغداد آنذاك. المنارة الآن أقل ارتفاعاً ببضعة أمتار، تقابلها من الجهة الثانية من الشارع عمارة جديدة أكثر ارتفاعاً منها بل تسهم في إثارة الاضطراب البصري فيها.

إن جامع الخلفاء بتوقيع محمد مكية هو تحفة فريدة، ضَمِنَ أثراً مرتفعاً من الماضي فأمسك به ببناء يكاد يشبه الزخرفة المختزلة. والحال إن المساحة التي منحت للمعماري ضيقة، وجواراتها مليئة بالصخب البصري والصوتي لأسواق الغزل والطيور وأسواق الشورجة. وبدلاً من أن يتخذ الجامع مساحة أوسع ويظهر كعمل نحتي كبير يهب للمكان إيقاع الماضي وحلول الحداثة، ظهر محاصراً بين الشارع والمدينة القديمة المتعبة.

محمد مكية أحاط الزمن بعمل نوعي، بأسلوب فنان، وفي شروط غير عادلة، فكان حله المعماري هو بناء جامع شخصي، بنسب جديدة تتشكل مع عمارة الماضي وتوقيعات فنان معاصر.

والحال أن ما يواجهه الجامع من الجهة الأخرى من الشارع يثير الارتباك كذلك، ولاسيما تلك العمارة التي تنهض أمامه مثل ضربة طبل. ليس الأول امتداد أو بعلاقة قرابة مع الثاني.

في هذا الشارع كل لنفسه. لا أحد يمسك بيد أحد. لا أحد يتعرف على نفسه من خلل الآخر. طوفان في الفردية، وأعمال التفتيل!

1972

شارع الجمهورية، جامع الخلفاء،
تصوير هادي النجار 2019





شارع الجمهورية، الساحة أمام جامع الخلفاء..
تصوير هادي النجار 2019

خيال بغداد الزائل

مقداد عبدالرضا

الاعلان الذي يؤرخ الى عام 1918,, اختلفت الاراء حول انشاء اول دار عرض سينمائي في بغداد .. بل لنقل متى بدء اول عرض وأين ,, ولكي نقف على حقيقة الامر فلقد استطعنا ان نطلع على بعض الوثائق المثبتة التي تشير الى ذلك ,, شاهد العراقيون اول دار للسينما تعرض الافلام عام 1909 وذلك عندما شيدت سينما (بلوكي) في محل شركة كهرياء بغداد في محلة العبخانة حاليا وكانت تعرض الافلام الصامتة التي تمثل حياة رعاة البقر .. كانت المقاعد قدرة والمكان يكاد ان يكون شبه مظلما ورطبا والدار خربة (كيف يمكن ان تكون خربة وهي التي شيدت لتوها ٩) ,, ولقد ظلت هي الدار الوحيدة للسينما في العراق الى ان افتتحت دارا ثانية هي سينما (عيسائي) في محلة رأس القرية محل محلات اوروزدي باك القديمة والتي كانت لاتقل عن سابقتها قدارة وضوضاء

تبديل,اربع مناظر,سته ادي بولو,اثين طرزان , اثين جاكى كوكان) تلك هي الافلام التي كانت تعرض انذاك,ثم تطور الاعلان بعض الشيء لظهور الصحف,فمثلاكنت تقرأ (اعلان,السينما العراقي في الميدان,الامير نيلسن,حادثة تاريخية عظيمة من 8 فصول,يفتتح قريبا في محلة الميدان,سينما جديد,انشئء على احدث طراز تعرض فيه الشرائط الفاخرة من الدرجة الاولى,وسيعرض في يوم الافتتاح شريط يمثل واقعة بحرية تاريخية عظيمة اشتهر فيها الادميرال نلسن بتدمير اسطول(الانبراطور) نابليون بونابارت وقضى بذلك على امال هذا(الانبراطور) العظيم ,ان هذا الشريط كلف صنعه 75 الف ليرة انكليزية,وقد علمنا ان هذه السينما سعت في ترجمة وشرح وقائع هذه الروايات ,والحق نقول انه مسعى جميل يشكر عليه القائمون غاية الشكر)من خلال هذا

ماذا سيحدث لو ان رجلين يركبان عربية تحمل اعلانات سينمائية يجرها حصان تدور في شارع الرشيد,الرجلان يروجان بالصراخ او الاغاني للافلام التي ستعرضها احدى دور السينما؟هذا ماكان يحدث في الماضي,لكن لو حدث الان فانه سيبدو غريبا تماما,وبين موافق ومعارض,سيجد الرجلان اللذان يركبان العربية للترويج انهما اصبحا من ضمن الماضي لان الناس الان لم تعد تتغنى باى شيء على الاطلاق وليس هناك ماهو مثير ,فلقد تبدل الزمان والمدينة اختفى خيالها ,, كان عباس حلاوي حينما يمر مروجاً لاعلاناته في سينما سنترال التي كانت تقع قرب تكية البدوي,تجد الناس يتحلقون حوله بل البعض منهم ينتظره بصبر ليعرف ماهو الجديد في العرض السينمائي,حتى ان البعض يساعده على قوت يومه من اجل السينما,عباس حلاوي كان ينادي او يصرخ وربما يتغنى (الليلة عدنه



سينما النجوم . بغداد



في العراق ،، اذ اطلعني الاستاذ جميل الطائي مشكورا على يوميات احد الاساتذة وهو خلف الجنابي الذي يقول (لم نتدخل في صياغة مفرداته بل تركناها كما هي) .. عند شارع النهر كانت تقع فيه السينما الوحيدة في بغداد والتي وجدتها بين اوراقى القديمة والتي شيدها سلمان الجنابي السائق الوحيد في العراق وقد اطلقوا عليه لقب قاطع الصحراء وكان يلقب ب (سلمان ابن زبيدة) ،، وهذه الدار كانت مجاورة لبيتنا .. سلمان ابن زبيدة هذا كان له اصدقاء لبنانيون يسمونهم (بيت عابدين) ولهم اخوة في

وعدم راحة ،، ثم تم افتتاح دار ثالثة بأسم (سينما اولومبيا) وكان مقرها في شارع الرشيد محلة سيد سلطان علي ،، وكانت تعرض نفس افلاما مثل (عصابة نيويورك) (البنت الرئيسة (رعاة الخيل) .. وبعد هذه الدور افتتحت سينما سنترال ومحلها في شارع الرشيد بدل سينما الرافدين الشتوية المحترقة حيث كانت بالنسبة لسابقاتها ارقى وأفضل من حيث راحة الجمهور والبناء والافلام التي تعرض .. لكننا اذا مادققنا النظر فأتنا سنجد ان هناك رأى آخر يختلف كثيرا عن بداية نشوء اول دار عرض سينمائي

قصة غرامية حدثت بالامس وتحدث اليوم وغداً !!
وفي كل مكان ، يتفاجئ الشباب لبناء العائلة ، فينعم بالسعادة الزوجية ، في رواية :
نحن الشباب
شاب طموح أحب فتاة فتزوجها ، فعكسته الظروف ، فاصبح بلا عمل ، فانقذه حبه من
يأس قاتل !!
لانا ترنر جون شلتون
يمثلان أروع المواقف الغرامية وأرق المشاهد العاطفية بالاشتراك مع أشهر الممثلين والممثلات
تعرض من مساء الاثنين ٢٤ نيسان ١٩٤٤ الساعة ٧ و ٩
في سينما الملك غازي
لا تعتبر الالواح محجوزة ما لم يدفع ثمنها سلفاً
مع آخر مناظر أخبار الحرب التي تردنا بالطيارة حفلات نهائية من يوم الساعة ٤
Showing at KING GHAZI CINEMA
From Monday evening 24/4/44. at 7 & 9 p.m. Matinee daily at 4 p.m.
Only Boxes of 4 Seats are Booked in Advance Please pay as you book your Box

She's an eyeful of bliss !
LANA TURNER
makes a beautiful bride!
She's an armful of love !





إذا اصطدمت عوامل...
الواجب... والخوف من الفضيحة... والحب، تكون النتيجة هذه القصة العظيمة الرائعة، بودقة النفسيات المتنافرة والعواطف المختلفة، الرواية التي انتزعت مواقفها من صميم الحياة العامة الغربية الواقعة، لص تشربت حياة الاجرام في نفسه ولم يعد في وسعه الابتعاد عن السيرة والمخادعة والغش والقتل ان احتاج الامر الى ذلك .. وحمام بارع ثم اصبح وكيل النيابة مثقف جهده خدمة الانسانية... تدخلت المرأة بينها فاذا تكون النتيجة?... هذه هي القصة الاجتماعية الهائلة الكبيرة في موضوعها المدهشة في مغزاها، يمثلها:

كلارك كيمبل ووليام باول وميرنا لوي وغيرهم، هي رواية:

الجريمة والعقاب

حدث في عام ١٩٠٤ حريق ذهب ضحيته ما يقرب من عشرة آلاف نفس، وكان من جملة من انقذوا رباها قس حتى ترعرعا فسار الاول في طريق الخير تدرج به الامر حتى اصبح وكيل نيابة له رأي مسموع محترم اينما ذهب، واتبع الثاني سبيل الشر الذي اوصله الى زعامة عصابة تعيث في الارض الفساد تسرق وتغش وتقتل، وكانت للثاني خليفة تعرفت بالاول فاحبته واحبها وسرعان ما صمما على الزواج الا ان ذلك ما كاد يكون في حكم الواقع حتى حدث ان قتل الثاني رجلا من عصابة معادية وهو في مأمن من صاحبه سوف لا يسوقه الى المحاكمة ومن ثم الى الموت لاعتبارات اهمها صلته القديمة به اولا وموقفه من الفتاة التي يريد ان يتزوج منها وهي خليلته سابقا...

واراد احد مساعدي وكيل النيابة ان يسكن برئيسه للقضاء على مطامحه للوصول الى كرسي الرئاسة وما ان سمع كلارك المقامر اللص القاتل بالامر حتى تصدى لمساعدة صاحبه الذي اراد ان يقضي على مطامح رفيق صباه فقتله. وهنا تنشأ المشكلة المعقدة اذا ما سيكون موقف وكيل النيابة تجاه واجبه الانساني للتضحية التي قدمها القاتل وهي وجهة نظره في جرائم القتل التي ارتكبت بصفته وكيل نيابة؟ ذلك ما ستشاهده

تعرض باجازة امانة العاصمة رقم ٤٩٩ تاريخ ١٠/١٠/١٩٣٥ في السينما الوطني حفلات نهائية كاعتاد من مساء السبت ٢٠ ١٩٣٥ الساعة ٧ و٩٣٠

Clark
GABLE
William
POWELL
Myrna
LOY
MANHATTAN

بينما سميراميس تهنئكم بالعيد السعيد وتقدم من اول ايام العيد تحفة الموسم الفني

١١/١١/٢٩
صاله
سينما

الفرقة الضاربة

بالسينما سكوب والالوان الطبيعية

بطولة جاك بلانش
توم هينتر
ويفورد بيريس
كرد جركنس

بمنزلة في تمثيل الفلم غروب الفلم جندري بكامل
سلاهم الحسيبي... ومئات الدبابات... وامر في الطائر للحرية

فلم مليئ بالغامرة الجريئة لابطال وهبوا انفسهم للموت

٢٩ ٤٩

سينما سميراميس، بغداد
اعلانات السينما السبعينات.
سينما رويال. بغداد
اعلانات السينما الثلاثينات



سينما غرناطة، تصوير حمزة البغدادي
سينما الزوراء 1955
سينما الملك غازي 1930

فوق ظهر اسد شرش وقاطع للطريق وهنا تجري معركة حامية بين الاسد وطرزان يتقافز فيها الشمبانزي قلقا على حياة صديقه طرزان والاسد الاريب يساعده على حسم المعركة لصالح الاصدقاء الثلاثة اذ يتم القضاء على الاسد المعتدي لتنتهي بتصفيق حار من المشاهدين وتأتي النهاية ,, لقد كنا لانقطع عن زيارة السينما وننتظر بلهفة الفيلم الجديد للاسبوع القادم .. كانت دور العرض السينمائي بالنسبة لتجار ذلك الوقت سلاح ذو حدين اولهما هو بث الثقافة والمتعة الى المشاهدين والثاني هو الربح المادي ,, اذ كانت تجارة الافلام انذاك وسيلة من وسائل العيش الرغيد وعلى اثر ذلك افتتحت الكثير من دور العرض المستوفية للشروط الصحية ووسائل الراحة فلقد تم افتتاح سينما العراق في محلة الميدان واعقبها افتتاح سينما رويال عام 1930 ثم ظهرت اول سينما صيفي بجانب الكرخ تحت اسم ليالي الصفا .. استمر فتح دور العرض

كان يظهر نصف عار ومزود بالخناجر والسكاكين بالاضافة الى النبال يرافقه في مغامراته تلك صديقه قرد شمبانزي كبير الحجم والاسد الذي ربا طرزان حيث يقاتل الوحوش في الغابة وكان شغلهم الاساس هو حراسة الداخلين الى الغابة من العلماء والمكتشفين مقابل اجورا عالية كان طرزان يتقاضاها ,, لذلك كنا نشاهد الكثير من الالتحامات ,, وأذا أشدت القتال فأَن طرزان يستعين بفيلة عملاقة يضع العلماء والمكتشفين فوقها لحمايتهم ريثما تحسم المعركة لصالحه بالتأكيد ,, كان ايملو وأعني به طرزان وصديقه الشمبانزي يميلون في قتالهم الى طريقة ثانية حيث كانا يصعدان فوق الاشجار حيث توجد هناك الكثير من الحبال التي صنعها طرزان لتمكنه من التحرك بسهولة في ارجاء الغابة اذ يمسك هو والقرد الحبل و (يشمر) نفسه بقوة على الشجرة المقابلة والتي بدورها تساعده على ان يطير بحبل آخر كي يجد نفسه وقد اصبح

بغداد التي سكنوها طويلا ,, كان هؤلاء يمثلون شركة (كرايسلر الامريكية) للسيارات وموقع هذه الشركة كان مقابل شارع باب الشيخ الذي يبدأ من شارع الرشيد حيث هناك ركن يمتد من شارع النهر ,, عند نهايته كان يقع بيت المرحوم عبدالرحمن النقيب اول رئيس وزراء للعراق في فترة الملك فيصل الاول رحمه الله والذي اصبح مشغولا من قبل (معرض الرواد للمهندسين العراقيين) .. بيت عابدين قرروا الرجوع الى لبنان لارتباطهم في مشاريع صناعية كبيرة هناك وقد كنت قد تعرفت عليهم ,, والذي عرفني بهم هو (سلمان ابن زبيدة قاطع الصحراء) ,, لما قرر هؤلاء الرجوع الى لبنان اعطوا فكرة انشاء اول دار عرض سينمائي الى ابن زبيدة هذا وشجعوه على تنفيذها ,, فكانت خير وسيلة لاهالي بغداد .. ومنذ ان تأسست تلك الدار يلم يخطر في بال اي عراقي ان يؤسس في تلك الفترة دارا اخرى للسينما في بغداد .. ولاعطاء فكرة صحيحة عن الموقع فهي تبدأ من بداية الدخول الى زقاق (دربونة الجنابيين) القسم الذي يسمونه (تويرات) وهو مجاور تماما الى شركة (بيت لنج) المعروفة والمشهورة والباقية الى يومنا هذا ,, وتقابل ايضا زقاق (دربونة سويقات) التي تمتد حتى الشيخ عبدالقادر الكيلاني ,, نعود الى مدخل زقاق التويرات المجاور من جهة بيت لنج حيث الركن المجاور له والذي كان يشغله الى وقت قريب المصور (بابل) .. وعند سفرك باتجاه شارع النهر كانت تقع تلك السينما والتي كانت تعرض افلاما صامتة ويعتمدون في افلامهم على ممثلين مشهورين يعتمران فوق رأسيهما (شفقة) من الحصر ,, احدهما حليق الشارب ويضع نظارة على عينيه وله كنية كان اهالي بغداد يطلقونها عليه وهي (لوك أبو المناظر) ,, والاخر يضع شاربا كذا بشكل ملفت ,, وكنا يتبادلان النكات والمقالب الى حد يجعل عابر السبيل يدخل الى السينما في اثناء العرض ويظل واقفا ليشاهد ماتبقى من الفيلم وهو غير آسف لان الدقائق المتبقية من الفيلم كافية لان تجعله مستغرقا في الضحك .. اما الفيلم الكوميدي الاخر فكان لشارلي شابلن والعملاق .. كان شارلو يبدو قزما امام ذلك العملاق ومحولا اياه الى اضحوخة تحت شباك نكاته وذكائه الغير محدود ,, تلك الحركات التي لا تنتهي عند حد ,, كانت افلامه دائما مدعاة للاعجاب والضحك الذي يكون احيانا اقرب الى الضجيج ,, اما الفيلم الرئيس فكان بطله يدعى ايملو ويجسد فيه شخصية طرزان الذي





محلة السنك .. سينما النصر تأسست عام 1947 ومؤسسها الوجهه اسماعيل شريف تقع في شارع السعدون محلة البتاوين .. وهناك عدة دور للعرض انقرض قسم منها وشيد آخر مثل سينما الرافدين الشتوي المحترقة وسينما متروبول المتعطلة وسينما الاندلس التي شيدها الوجهه طه الشبلي ,, ثم هناك ايضا سينما مترو التي شيدت في العام 1947 وسينما ريجنت الواقعة في جانب الكرخ .. هناك دور اخرى للعرض صيفية تتوقف طيلة مواسم الشتاء والربيع والخريف نذكر منها سينما الملك فيصل وسينما هوليوود اللتان كانتا تقعان بجانب الكرخ .. سينما الرشيد تقع في شارع الرشيد وسينما تاج مقابل سينما غازي .. سينما دار السلام في شارع الملك غازي ..

اسماعيل شريف وتقع في شارع الرشيد قرب جامع مرجان.. سينما الفردوس تأسست عام 1947 تقع في شارع الملك غازي محلة بني سعيد .. سينما الارضرملي (بغداد) تأسست عام 1947 مؤسسها قدري الارضرملي وتقع في شارع الحسين بجانب الكرخ وتعتبر اول سينما شتوي تأسست في جانب الكرخ .. سينما دار السلام تأسست عام 1944 وتعود الى السيد عبدالرزاق الشихلي وشركاه وتقع عند شارع الملك غازي محلة قهوة شكر..سينما ديانا تأسست عام 1943 ومؤسسها الخضيرى هاجا والذي جاء من بعده السيد صائب الجصاني وتقع في شارع الملك غازي محلة السنك .. سينما النجوم تأسست عام 1948 ومؤسسها الوجهه السيد سليم الاطرقجي تقع عند شارع الملك غازي

نذكر منها : سينما الوطني تأسست منذ عهد بعيد وأعيد افتتاحها عام 1939 ,, مؤسسها شركة السينما البغدادية المحدودة وبرأسمال قدره (135) ألف دينار عراقي وتقع في شارع الرشيد محلة سيد سلطان علي .. سينما الزوراء تأسست عام 1936 وتعود الى الياس دنوس وسليم شويحط وتقع في شارع الرشيد محلة المربعة .. سينما غازي تأسست عام 1934 ومؤسسها شركة سينما الملك غازي وتقع في الباب الشرقي عند بداية شارع الملك غازي .. سينما الرشيد تأسست عام 1937 ومؤسسها الوجهه صجان انطوان مستييح وسوداني اخوان وتقع في شارع الرشيد مقابل جامع سيد سلطان علي بجوار سينما الوطني .. سينما الحمراء تأسست عام 1935 ومؤسسها الوجهه السيد

سينما الزوراء، بغداد
سينما الزوراء، تصوير هادي النجار 2019



سينما روكسي، شارع الرشيد
سينما السندباد، نهاية الخمسينات





سینما الحمراء، 1974
سینما اطلس، بغداد
سینما شہرزاد 1978



الماضي الجميل ينبض بيننا بوهن.

بين مقاهي بغداد التراثية: أم كلثوم، الزهاوي !

وأحد زبائن المقهى الدائمين، اعتاد التواجد هنا على طاولة محددة ارتبطت باسمه منذ سنوات طويلة، حاله حال العديد من وجوه بغداد البارزة من مجاليه أو من أولئك الأصغر سناً. في المقهى نفسه وطوال العقود الماضية كان يقصد هذا المكان مثقفون وفنانون ورجال دولة بارزون وآخرون من أهالي الحي. تأسس مقهى أم كلثوم في أواخر خمسينيات القرن الماضي على يد الحاج عبد المعين الموصللي الذي كان يذهب إلى مصر لحضور حفلات

في مقهى أم كلثوم الشعبي في شارع الرشيد بالقرب من ساحة الميدان في بغداد يجلس رجل سبعيني يرتشف كأساً من الشاي مستمعاً لصوت غناء أم كلثوم الذي يعم أرجاء المكان. إنه عبد نوار، واحد من أبرز خطاطي المدينة،

بغداد- مصطفى جمال مراد



على ورقة، ويبت الأغاني بالتتابع حسب تسلسل الطلبات، فكان الزبون أحياناً يضطر للانتظار ثلاث ساعات أو أكثر لحين عرض الأغنية». ستذكر عبد نوار ركنا في المقهى كان يجلس فيه طلاب في أكاديمية الفنون الجميلة يرسمون بعض الزبائن شاردي الذهن تأثراً بغناء أم كلثوم، يساعدهم في إنجاز مهمتهم الهدوء الذي كان يعم المكان، إذ لم يكن هناك ضجيج في المقاهي التراثية بحسب وصفه، إنما فقط صوت الموسيقى وأحاديث الزبائن الهامسة. الطبيب النفسي محمود العزاوي، ٧٥ عاماً هو الآخر من مرتادي المقاهي التراثية، وتحديدًا مقهى حسن عجمي، لكنه يبدو اليوم ممتعضاً من تغير سلوكيات الزبائن. يقول: «من يرتاد المقاهي التراثية اليوم ليس في باله إلا أن يجلس يحتسي الشاي أو يدخن الشيشة». ويضيف: «معظمهم يصرخون بينما يلعبون الورق أو الطاولة وأحياناً تصل بينهم إلى حد العراك إذا ما خسر فريق منهم».

السيدة أم كلثوم بغرض تسجيلها وتوثيقها. حمل المقهى اسمها تيمناً باسم المطربة المصرية التي زارت بغداد عام 1932 وقامت بالغناء في ملهى الهلال القريب من مكان المقهى الحالي، فزاد ولع العراقيين بها بعد رحلتها هذه. «أشعر بأن أم كلثوم حاضرة بروحها وصورها المعلقة على الجدران، تلك الصور التي التقطت لها في حفلاتها وزياراتها» يقول الخطاط البغدادي ثم يشير بسبابته لصورة قديمة معلقة على الجدار ويقول: «هذه صورة أبو عباس، أول جايجي (صانع الشاي) في المقهى». يروي عبد نوار أن أبو عباس كان يجهز مشغلات الأسطوانات الأربعة واضعاً اسطوانة لأم كلثوم في كل واحد منها، فما إن تنتهي الأسطوانة الأولى حتى يقوم بتشغيل الثانية وهكذا. يفعل هذا بينما يقدم كؤوس الشاي إلى الزبائن والابتسامة لا تفارق وجهه. يقول عبد نوار: «عندما يطلب الزبون الاستماع لأغنية محددة كان أبو عباس يكتب اسم الأغنية





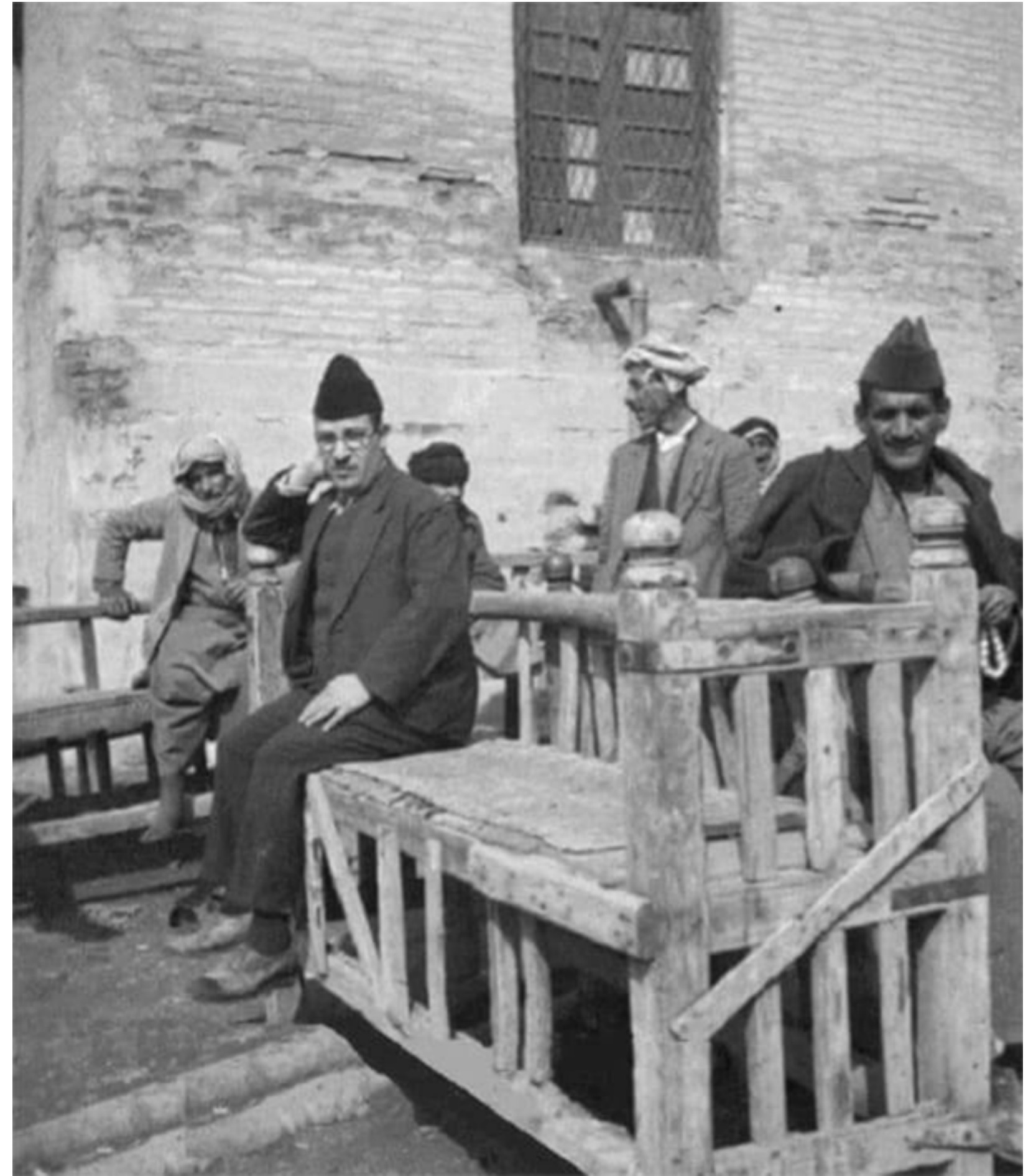


مقهى عزراوي، بغداد
مقهى الشايندر، شارع المنتبي



يعود تاريخ افتتاح مقهى حسن عجمي إلى عام 1917، وكان ملتقى لوجهاء بغداد يتبادلون فيه الأحاديث والطرائف والنقاشات السياسية والأدبية، من أمثال عبد الوهاب مرجان الذي أصبح وزيراً ورئيساً للوزراء، والمحامي عبود الشالجي وهو محام كبير له مكتبة أدبية وعلمية متميزة آنذاك. كما ارتبط هذا المقهى بالشاعر العراقي الراحل محمد مهدي الجواهري الذي كان يرتاده منذ عام 1926. ويروي الشاعر الكبير ذكرياته مع المكان قائلاً: «من باب الذوق الرفيع واعتزازهم بي كانوا يجلبون لي القهوة التي كتبت على (كشوتها) كلمة الجواهري بخط أنيق وجميل». ويذكر كبار السن في شارع الرشيد أن مقهى حسن عجمي كان مفروشا بالسجاد الفارسي والتخوت مغطاة بالسجاد مرتبة بخطوط

متوازية متقابلة على كامل مساحة المقهى، وبينها يتحرك صانع الشاي (شفتالو) بين الزبائن، وهو رجل من قصار القامة اشتهر آنذاك بحركته الدائبة التي لا تنقطع، إضافة إلى وجود باعة السجائر والصحف اليومية وصابغى الأحذية. على جانبي الموقد أو ما يسمى (الأوجاغ) كانت السماورات اللماعة مرتبة على شكل هرم يصعد متسلقاً حتى يكاد السماور الذي في



الرشيد أيام الوالي العثماني ناظم باشا . يقول عبدالله الجبوري، ٨٥ عاماً، وهو مهندس مدني متقاعد كان جالساً على أحد الكراسي على رصيف المقهى يدرّش مع أقرانه: «كان المقهى على شكل سقيفة بسيطة وجاءت تسميته بالزهاوي تيمناً باسم الشاعر والفيلسوف جميل صدقي الزهاوي الذي كان أحد رواد المقهى». ويضيف: «المقهى يشكل وجهاً من وجوه المجتمع البغدادي، فهو المكان الذي كانت ترتاده شرائح اجتماعية متنوعة من بينها فئة (الأفندية) وتعد من الفئات التي لعبت دوراً في حركة التنوير والنهضة آنذاك».

في أوائل الثلاثينيات دعا نوري السعيد السياسي العراقي البارز الذي شغل منصب رئاسة الوزراء 13 مرة، الشاعر الزهاوي في المقهى الذي كان يسمى حينها باسم «البولندية» وكان المقهى

لملاقاة الجواهري والتمتع بالحديث معه. تظهر تعابير الحزن على وجه محمود العزاوي عندما يقارن بين الماضي والحاضر قائلاً: «المشكلة أن المقاهي التراثية لا تجد من يهتم بها، البعض ممن يديرونها لا يمتلكون عقلية سياحية» لافتاً إلى أن «هذه المقاهي واجهة بلدنا السياحية يزورها آلاف الأفراد من مختلف الأماكن والبلدان وعلينا الاهتمام بها وإعادة الروح إليها».

ما أن تخرج من مقهى حسن عجمي وتسير بضع خطوات إلى ركن الشارع حتى تصل إلى أحد أقدم المقاهي التراثية في المدينة وهو مقهى الزهاوي.

يقع «الزهاوي» في محلة الحيدر خانة قرب شارع المتنبى، ويعود تاريخ إنشائه إلى ما قبل عام 1917 بسنوات عديدة قبل فتح شارع

قمته أن يلامس سقف المقهى، وأمام قاعدة هرم السماورات كان يمتد صفٌ طويل من النراجيل والعشرات من أباريق الشاي بمختلف الأحجام والألوان، وأغلب أباريق السماور المخصصة للشاي المتواجدة فيه كانت تأتي هدايا من أعيان بغداد أو من الضباط الإنكليز.

يضيف العزاوي أن طريقة التعامل داخل المقهى كانت مختلفة موضحاً: «يأتي أحد العاملين حاملاً جرة وإناء ماء يقدمه للحاضرين، يتحدث للزبائن بكل محبة ولطف، ولم يكن أحد من الحضور يصرخ أو يزعج الآخرين».

اشتهر مقهى حسن عجمي باعتباره مقهى لمثقفي الطبقة الوسطى إذ حرص الأدباء على التواجد فيه خاصة في أيام الجمعة ومنهم الجواهري الذي نظم فيه جزءاً من قصيدة «المقصورة» وأكمل بقيتها في منزله على ضفاف نهر دجلة، كما كان يرتاده أيضاً الشاعر بدر شاكر السياب



مقهى سبع، ساحة الميدان، 1909

أغلق مقهى الزهاوي صيف العام 2022 لفترة من الزمن بسبب «بث أغان هابطة» وورد في بيان لأمانة العاصمة العراقية يومها أن «صاحب المقهى أصر على تشغيل الأغاني الهابطة وبصوت مرتفع جداً، فكان الإجراء الأصولي بغلق المقهى لحين تقديم تعهد قانوني من قبل صاحب المقهى بعدم تشغيل مثل هذه الأغاني مستقبلاً»، وهو ما أثار جدلاً واسعاً عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ثم أعيد افتتاحه بعد ذلك.

مجلة الكاردينيا.

24/10/2023

وعلى الرغم من تعاقب الثورات وتغير الحكومات وتعاقب الحروب والاحتلالات على البلاد لكن لم تتغير المعالم في معظم مقاهي بغداد التراثية، لكن ما يجمع عليه معظم من التقيناهم أن



يحتل موقعاً هاماً قرب سراي الحكومة إلى جانب بيوت الشخصيات المتنفذة في إدارة العراق من بينها منزل نوري السعيد. يقول المهندس عبدالله إن الشاعر الزهاوي أعجب يومها بالمقهى الذي لم يكن فيه غير بضعة تخوت وكراس قديمة وفونوغراف بسيط، واكتشف أنه لا يبعد كثيراً عن دارة فاتخذة مقراً له «نسي الناس اسم المقهى الأصلي وأضحى منذ ذلك الحين يحمل اسم الزهاوي» ويضيف: «كان الزهاوي يدبج في هذا المقهى ردوده الشهيرة على الأديب عباس محمود العقاد، تلك الردود التي نشرتها صحف بغداد والقاهرة في الثلاثينيات، وفيه أيضاً استقبل الزهاوي شاعر الهند الكبير طاغور في ثلاثينيات القرن الماضي ودارت مناقشات حادة بين الزهاوي وبين منافسه الشاعر الرصافي، جرت على تخوت المقهى».





مواكب شهر محرم، بغداد

بغداد.. إفتراس التَّبْعُد

رشيد الخيون

حصل انقلاب جذري في القيم، ما كان يُعد ثابتاً كقاعدة صار شاذاً، وقد جرت العادة، وأتكلم هنا عن المدن العراقية، أو المجتمع العراقي، أن الريفي عندما يحل بالمدينة يتطبع بطباعها، لكن في الثلاثين عاماً الأخيرة، ومع الصحوة الدينية العارمة، أخذت المدن تتريف، وباليته زهت زهو حقول وبساتين وجداول الأرياف والقرى وطباع أهلها الطيبة، إنما تولدت كائنات أضاعت تحضر المدينة وجمال الريف أيضاً.

هذا ما حصل لبغداد، أتاها البشر في أزمنة زهوها، من كل حذب وصوب، فتبغدوا، ومن يقرأ شرفها وعلوها وأثرها في كتب البلدانين القدماء سيأخذ العجب العجائب، مما آل إليه حالها بعد أكثر من ألف عام. آنذاك كانت تصنع الصابون والزجاج والشموع وتحفظ بالثلج. ذكرت مطاعمها وأنواع طبيخها في

مقامات الحريري، وفي كتاب الطَّبِيخ للبغدادي (كتبه العام 623هـ)، ودونت أنواع السفن، ذات الأشكال والألوان المختلفة، التي تمخر في مياه دجلة، وذكر استهلاكها للورد، في المجالس والتَّحايا والاحتفالات، كما ذكرت مناظرات الفلاسفة والمتكلمين فيها. جاور زاهداً معروف الكرخي (ت200هـ) شاعرها أبا نواس (توفي نحو198هـ)، وارتفعت قبة على قبر الكرخي، وأطلق اسم أبي نواس على أرحب شوارعها حيث شاطئ دجلة، إلا أن الصحوة الدينية العابثة غير القادرة على رفع تمثاله، عمدت إلى قطع أصابعه التي تحمل الكأس، مع أن مكتبات كبار فقهاءها لا تخلو من ديوانه وخمرياته.

يُذكرنا هذا المشهد بقطع جماعة النصرة لرأس أبي العلاء المعري (ت449هـ) بمعرة النعمان، وأبقت بدنه، لأن ثأرهم مع رأسه، كذلك ماذا



أبقوا لأبي نواس بعد كسر كأسه وقطع أصابعه، هنا نقول الصحوّة واحدة، واختلاف المذهب لا يعني شيئاً. انقلبت الموازين، وأخذ الريف يزحف على بَغْداد ويريفها، بنموذجه المشوه، مع الصَّحوّة الدينية، لا الصُّورة الأولى، التي كان عليها في الثلاثينيات وحتى الثمانينيات من القرن الماضي. فترى الأزياء تبدلت والأذواق انحدرت، والوحشية باسم الدِّين والمذهب قد تفاقمت. حتى اضطر المدني، أو لنقل المتبَغِّد، بجامل الرِّيفي، بعشائريته وسلوكه، فغابت الصُّورة التي كان عليها البغدادي، المتبَغِّد حقاً، والذي قصده التوحيد في أدبه والجواهري في شعره، وصار لديه شارح أبو نواس رمزاً للمجون، وشارع الرشيد، وهو قلب بَغْداد النَّابض في ما مضى، رمزاً للقبح، والحق الطائفي.

يبدو أن بغداد والتبغدد خصمان للصَّحوّة الدِّينية، التي أصبحت في أعلى السُّلطة، وباليات إنها صحوّة صريحة صادقة، إنما صحوّة منافقة، تتقدم المصلحة الحزبية والسياسية والشخصية عليها، تريد بغداد دار متعة مستورة متخلفة، ودار تقوى ظاهرة لرجالها.

بعد هذا، نأتي إلى التَّبَغِّد، ما أصل المصطلح، وماذا يعني، وهل هو مقترن بالتمدن أم بالرِّفاه؟ وأحسب أن التمدن والرِّفاه أحدهما يعبر عن الآخر. حسب ما توفر من المصادر أن أول مَنْ نحت وأورد وبث المصطلح أبو حيان التَّوحيدي(ت 414هـ)، إذا لم يكن هناك مَنْ سبقه إليه، وقاتنا العثور عليه، عندما قال، وهو يتحدث عن أبي الوفاء البوزجاني(ت376هـ)، وكان مهندساً ومترجماً: «البغدادي إذا تخرسن كان أحلى وأظرف من الخراساني إذا تبغدد، وإن شئت فضع الاعتبار على ما أردت، فإنك تجد هذا القول حقاً، وهذه الدُّعوة مسموعة»(الصَّدَاقَة والصَّدِيق).

يذكر لنا أبو عبيد محمد عمران المرزباني(ت384هـ)، وهو معاصر لأبي حيان، استخدام المصطلح لقباً لشاعر عباسي يُدعى علي بن محمد الهاشمي، حيث عُرِف بـ «تبغدد»(معجم الشعراء). كذلك نجده في معاجم العربية، ونأخذ منها «القاموس المحيط»: تبغدد «انتسب إلى بَغْداد، أو تشبه بأهلها»، ولم تزد بقية المعاجم شيئاً على هذا. فالمصطلح المنحوت من بَغْداد المدينة أصبح كناية عن التَّحضر والتمدن، وقد يستخدم للتعبير عن الكبرياء. أخذه محمد مهدي الجواهري(ت1997) بالمعنى الأول، فقال، في نونيته «يا دجلة الخير(1962): يا أمَّ بغدادٍ من ظرفٍ ومن غنَجٍ/مشى التَّبَغِّدُ



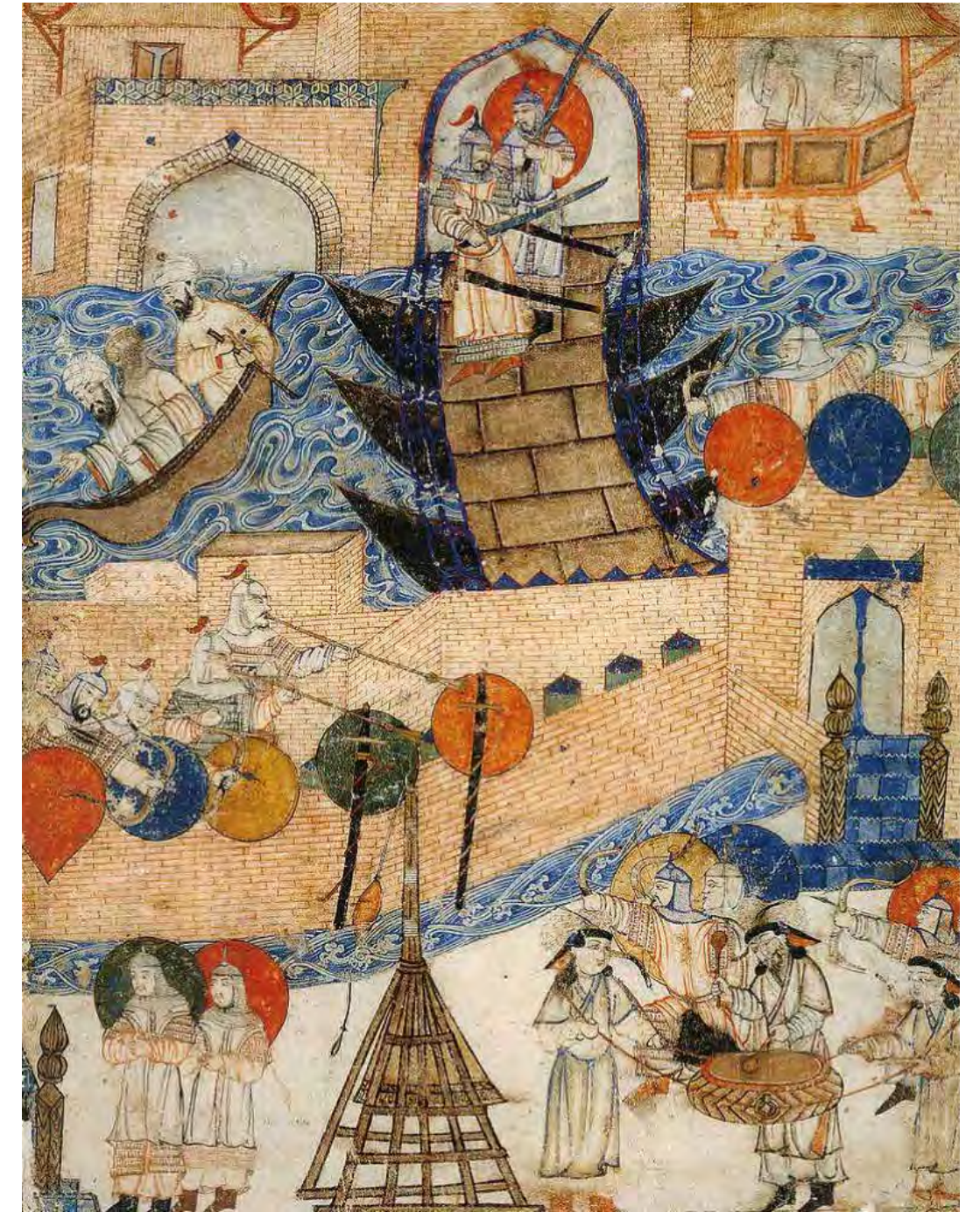
سوق شعبي، تصوير هادي النجار 2019



من أجمل النساء، كَبْغَداد في عزها، غيرة لا تسمح بالشراكة، أي بالضرة عليها، فلما تزوج أبو سعيد من دلشاد خاتون غارت عليه «وسمته في منديل... فمات وانقرض عقبه» (ابن بطوطة، الرحلة).
ختاماً أقول: ماذا بقي لبغداد، من اسم ومجتمع وجمال، بعد افتراس التَّبْغْدَد؟!

النَّادِرَة. لذا يلفت الانتباه اسم «بَغْدَاد خاتون» زوجة السلطان المغولي، حفيد هولاكو خان، أبي سعيد بهادر خان بن الجايغو (736هـ)، وابنة أمير الأمراء أو قائد الجيوش الجويان (قتل 719هـ)، وزوجة سابقة للأمير المغولي التتري الشيخ حسن الجلائري (ت 757هـ). يلفت النظر أيضاً إلى أن ابن جويان اسمه «دمشق»، وقد تركه والده حاكماً على بغداد. كانت بَغْدَاد خاتون

حتى في الدَّهَّاقين (تعني القرى).
أما لمبة عباسي عمارة فاستعارت المصطلح لتأكيد المعنى الثاني، أي الرِّفاه والكبرياء عندما قالت، في قصيدتها «أغني لبغداد»: «لأن العراقة معنى العراق/ ويعني التَّبْغْدَد عِزاً وجاهاً». لا نجد من سُمي أبناءه «بغداد»، مدى خمسة قرون عباسية ومثلها عثمانية، وما بينهما من سلطنات وممالك، وإذا كان موجوداً فهو من النِّدرة



جيش هولاكو يهاجم بغداد
حاملة الماء، الثلاثينات، مجموعة بدر الحاج

حكاية «المصور الأهلي» والبطاقات البريدية التي سجلت تحولات الحياة البغدادية

بدر الحاج

قروية ترتدي الملابس التقليدية
جسر الكتلعة عام 1909 سمي (الجسر العتيك) وبعدها
(جسر الملك غازي) ولاحقا (جسر الشهداء) تم بناءه في 31
آب 1902
مجموعة بدر الحاج.

المصورين التحولات في الحياة البغدادية، هناك
مناظر للعمارات التقليدية على ضفاف نهر
دجلة الذي يخترق بغداد اضافة إلى الجسور
التي تربط ضفتي النهر ، ووسائل النقل
النهري والبري، والمقاهي، والمناظر العامة
والجوية، والشوارع الرئيسية والمباني الرسمية،
ودور العبادة، والحرف والمهن ،والرجال والنساء
بملابسهم التقليدية إضافة إلى المناسبات
السياسية وغيرها من المواضيع.
حفظ لنا المصورون العراقيون والأجانب الذين
نشطوا في العراق في النصف الاول من القرن

منذ ما يقارب الثلاثين عاما ونيف بدأت بشراء
اولى الصور الفوتوغرافية والبطاقات البريدية
عن بلاد الشام والعراق. تضمنت المجموعة
بطاقات بريدية اقتصت معظمها من السوق
البريطانية، كون العراق كان بلدا محتلا من
البريطانيين. ومن بين البطاقات كمية كبيرة
التقطت صورها في بغداد ما بين مطلع القرن
العشرين حتى سقوط النظام الملكي في تموز
1958.
بعض البطاقات المختارة التي تنشر في هذا
العدد من «ماكو» تسجل عبرها عدسات





Baghdad's Type of Beauty.
C. Deville, Directeur des Douanes à Bender Abbas
Via Marseille Bombay. Golfe Persique



Baghdad's Type of Beauty



Dame juive de Bagdad. Salut de Constantinople.

20-11-08. Paul.



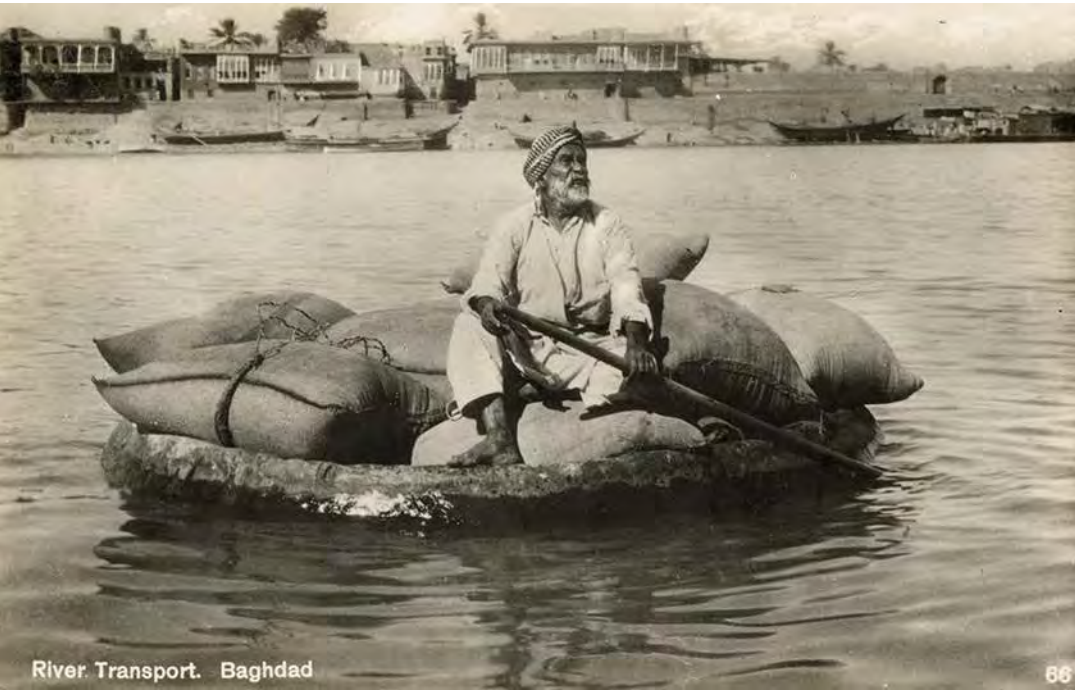
جسر الكلعة عام 1909 سمي (الجسر العتيق) وبعدها (جسر الملك غازي) ولاحقا (جسر الشهداء) تم بناءه في 31 آب 1902

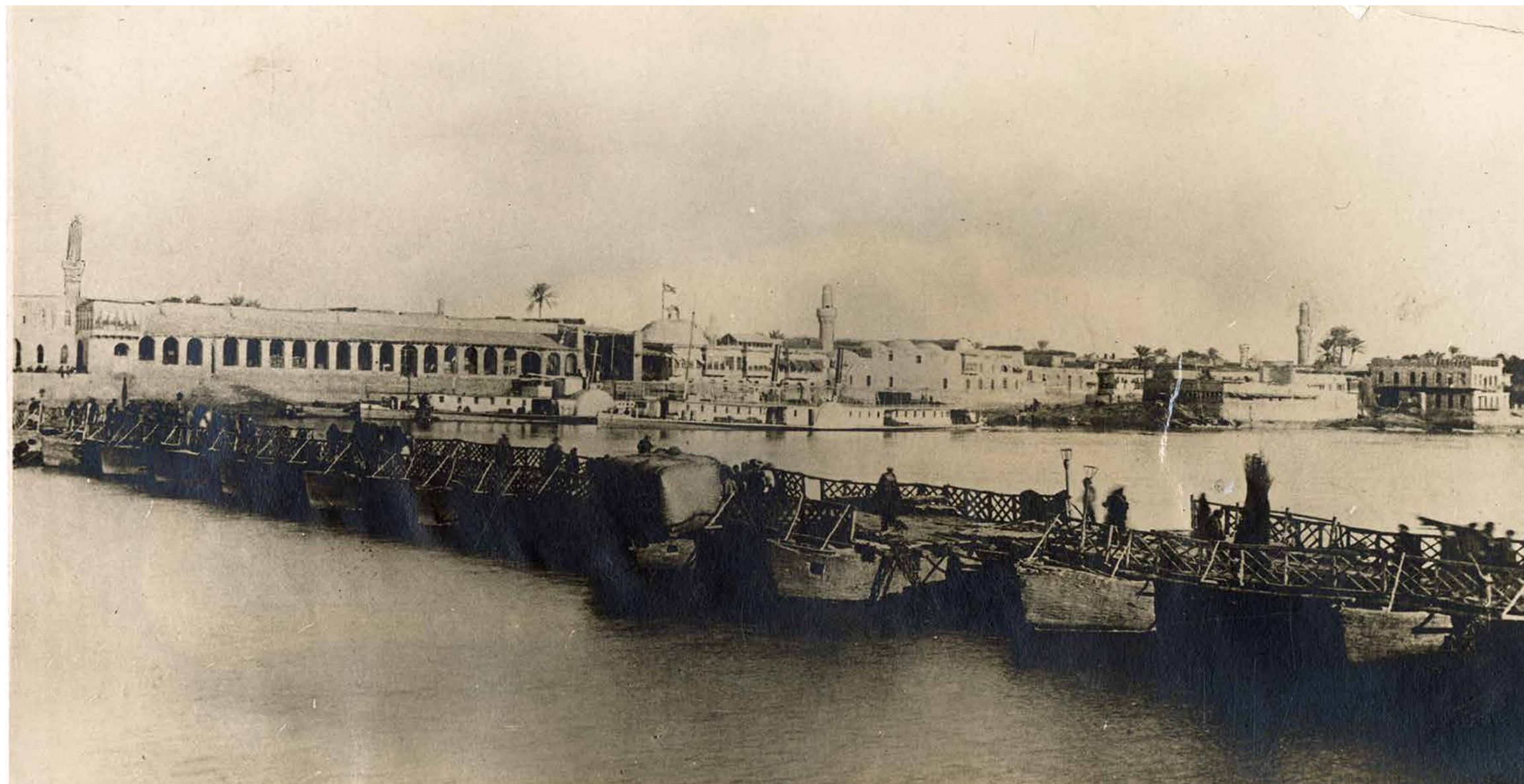
بغدادية بملابس تقليدية.

الماضي بعض ملامح الحياة البغدادية كما كانت وبصورة خاصة بعد احتلال العراق من قبل البريطانيين في العام 1917. معظم المصورين العاملين في بغداد نشروا بطاقات بريدية عن المدينة. وكانت معظم تلك البطاقات تطبع بنوعية جيدة في أوروبا، ومن البلدان التي تمت الطباعة فيها كل من ألمانيا، فرنسا، بريطانيا وإيطاليا. ويلاحظ ان هناك بطاقات مطبوعة في أوروبا بدون ناشر. وبعض الامثلة على مانشره هؤلاء المصورين نشير ان معظمهم طبع اسمه ومكان واسم مؤسسته على قفا البطاقة. ومن ابرز هؤلاء المصورين كل من: استديو الأهلي لصاحبه عبد الرحمن بن محمد عارف بن محمود. والمعلومات التي سأوردها عنه كتبها بناء على طلب مني نجله وهي ان والده من مواليد بغداد في حدود العام 1895 في محلة الطوب التي اعتاد الموظفين في الدولة العثمانية العيش فيها وتقع إلى يسار الداخل إلى بغداد من باب المعظم. درس عبد الرحمن عارف في الكتاتيب البغدادية ودخل الإعدادي عسكري وكان

عمره يقارب العشرين عاما. وارسل في بعثة إلى اسطنبول لإكمال تحصيله العسكري في المدرسة الحربية خلال الحرب العالمية الاولى. لم يبق في اسطنبول سوى فترة قصيرة اذ هرب وعاد إلى بغداد. انخرط مع شقيقه طاهر وابن خاله سامي ورهط من الشباب العراقيين في الثورة العربية التي أعلنها الشريف بن الحسين وواصل النضال إلى جانب الشعب الفلسطيني والتحقت به عائلته في العقبة في فلسطين. يضيف نجله ان والده اخبره بان جده ايضا كان يمارس فن التصوير وكان يقوم بتحميز صورته في السرداب المظلم في الدار المشهورة بأمن النخلة في بغداد، وكانت العملية تبهره فرسخت في ذهنه مهنة التصوير. ويضيف اخبرني ان معظم الضباط العثمانيين كانوا يمارسون بحرفية التصوير. وانه بدأ ممارسة التصوير في ميناء العقبة حيث كان ينتظر الباخرة لمغادرة فلسطين إلى العراق مع مجموعة من العسكريين العراقيين. خلال انتظار الباخرة شاهد مصورا في الشارع يلتقط صورة بواسطة صندوق خشبي وعدسة مثبتة عليه. وعلم من المصور ان مهنة التصوير

وسائل نقل تقليدية، الثلاثينات
جانب من نهر دجلة، محطة لقوارب النقل، الثلاثينات





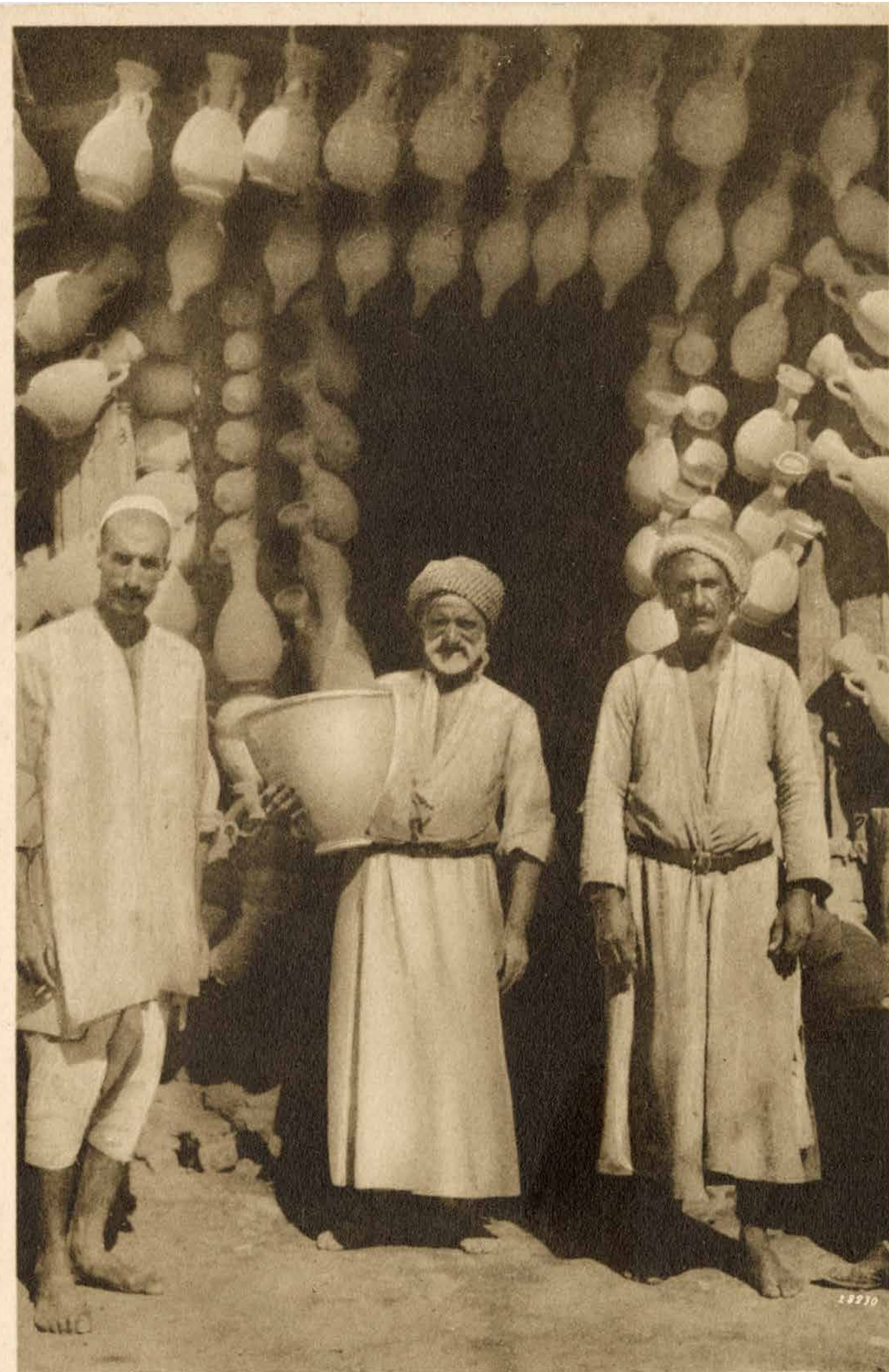
جسر الجنرال مود 1918 اصبغ فيما بعد بجسر الاحرار
مجموعة بدر الحاج.





Tea Seller. Baghdad.





No. 53 - Earthenware water jars shop, Baghdad



Tarkefians, Cloth washer at Baghdad.
Lavandières a Bagdad

المحترفين هناك التالي: مكتبات دار الحكمة، محمد صادق، مكتبة المنصور لصاحبها م. مناشي، كورونا Coronet، وناشر مجهول اكتفي بذكر ج. م. الحرف الاول من اسمه واسم عائلته وايضا وانطون سمجيري، وغيرهم. تطل علينا اليوم بغداد بعد اكثر من مئة عام على نشر والتقاط هذه البطاقات المصورة التي تتحدث عن ماض جميل وبسيط اندثر نهائيا. بغداد اليوم عاد الاحتلال اليها مجددا، قتل وشرذ الكثير من اهلها ومن العراقيين. انها مدينة الألم المزمّن لكن لن يفقد العراقيون ثقّتهم بالأمل والمستقبل مهما تكالب المحتلون.

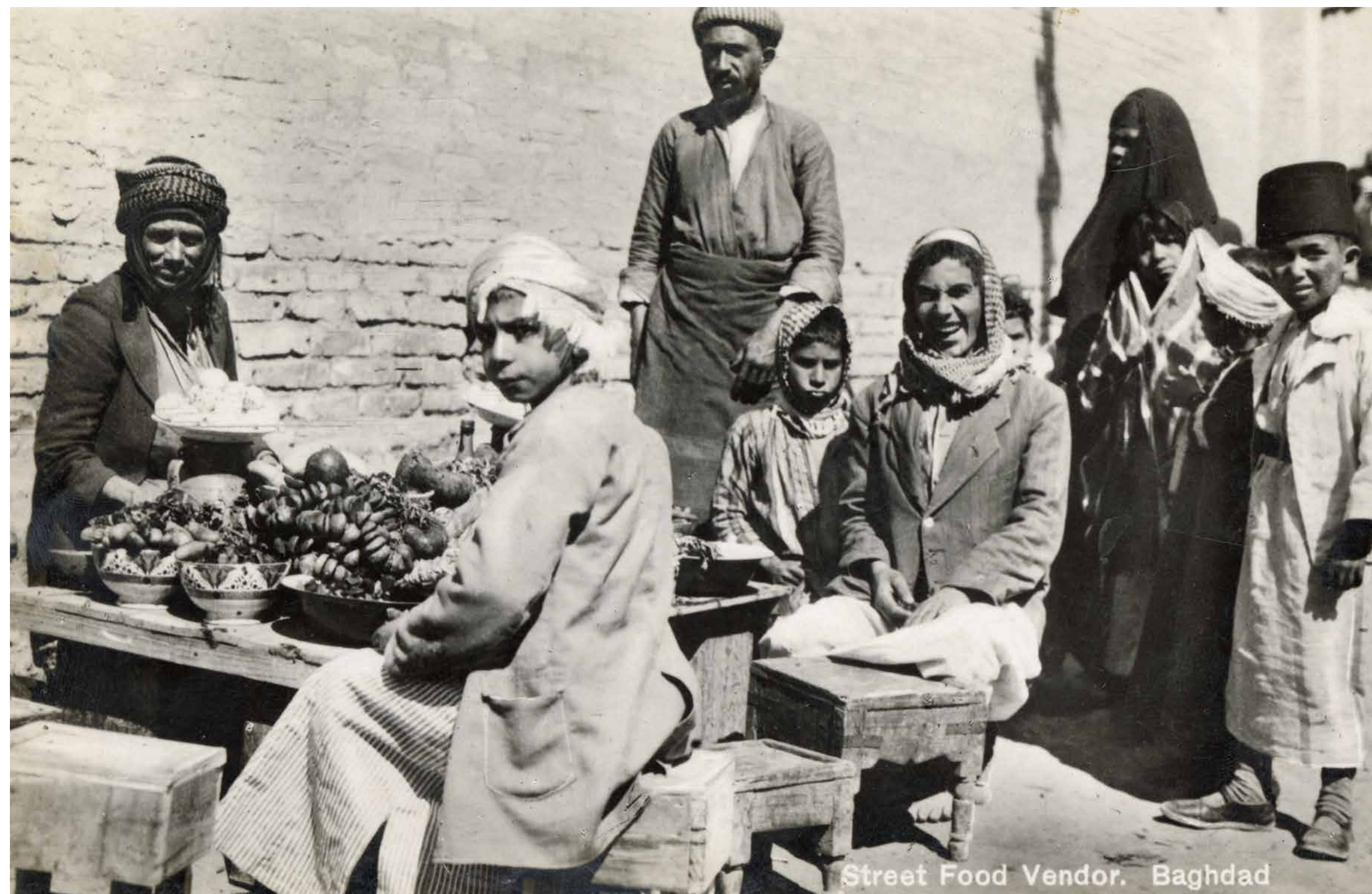
عبد الكريم بوشهر، واستديو دفتريان اخوان، استديو الدورادو، استديو بزاز، استديو حسو اخوان، استديو ج. س. حوري، استديو الكس سفوبودا وغيرهم. وبرز من الناشرين العراقيين والأجانب للبطاقات البغدادية كل من التالي: م. فيكتور المصور الرسمي للجيش البريطاني، اتحاد البريد العالمي، س. بوده بارس، سلفريدج في لندن، اورينت مركور في كولونيا (المانيا)، تايمز برس في بومباي وغيرهم. اما الناشرون العراقيون اضافة إلى المصورين

كانت تدر عليه مبلغا جيدا خلال تصويره العسكريين البريطانيين. تعلم من ذلك المصور المهنة وعندما وصل بغداد بدأ بممارستها في بداية العام 1920. وكان البغداديون يطلقون على آلة التصوير اسم « ام الدقيقة ». اما عن آلة التصوير التي استعملها فيقول نجله ان الصندوق الخشبي صنعه نجار بغدادي مشهور يدعى أسطا نجم العواد وكان عارف اول مصور من أصول عراقية يدخل آلة تصوير إلى العراق. في البدء باشر العمل بالقرب من سراي الحكومة، وبعد ان ترك استعمال الصندوق الخشبي للتصوير افتتح استديو في رأس سوق الهرج اسماء المصور الوطني، إلا ان السلطات البريطانية اعترضت على التسمية فاضطر إلى تسميته «المصور الأهلي» وورث بعده شقيقه كامل وجمال زوج اخته المهنة. يعتبر عبد الرحمن عارف من اوائل المصورين العراقيين، تنقل في آلة التصوير في أنحاء العراق وبصورة خاصة بغداد. عايش التطورات السياسية وصور أحداثها في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي. ومن الاحداث التي عاصرها وسجل مجرياتها في شباط سنة 1928 زيارة الداعية الصهيوني الفرد كوند إلى بغداد. اندلعت المظاهرات احتجاجاً على المظاهرة وقام بتصويرها فما كان من شرطة الاحتلال إلا ان قامت بمطاردته بهدف مصادرة آلة التصوير منه، إلا انه هرب بعد ان التقط مجموعة من الصور. توفي هذا المصور الرائد في 17 تموز 1960 بعد مرض اقصاه عن العمل مدة تزيد عن السنتين. وترك ارشيفا ضخما من الصور الفوتوغرافية والبطاقات البريدية يعتبر تاريخاً مصورا للمحات من الحياة العراقية.

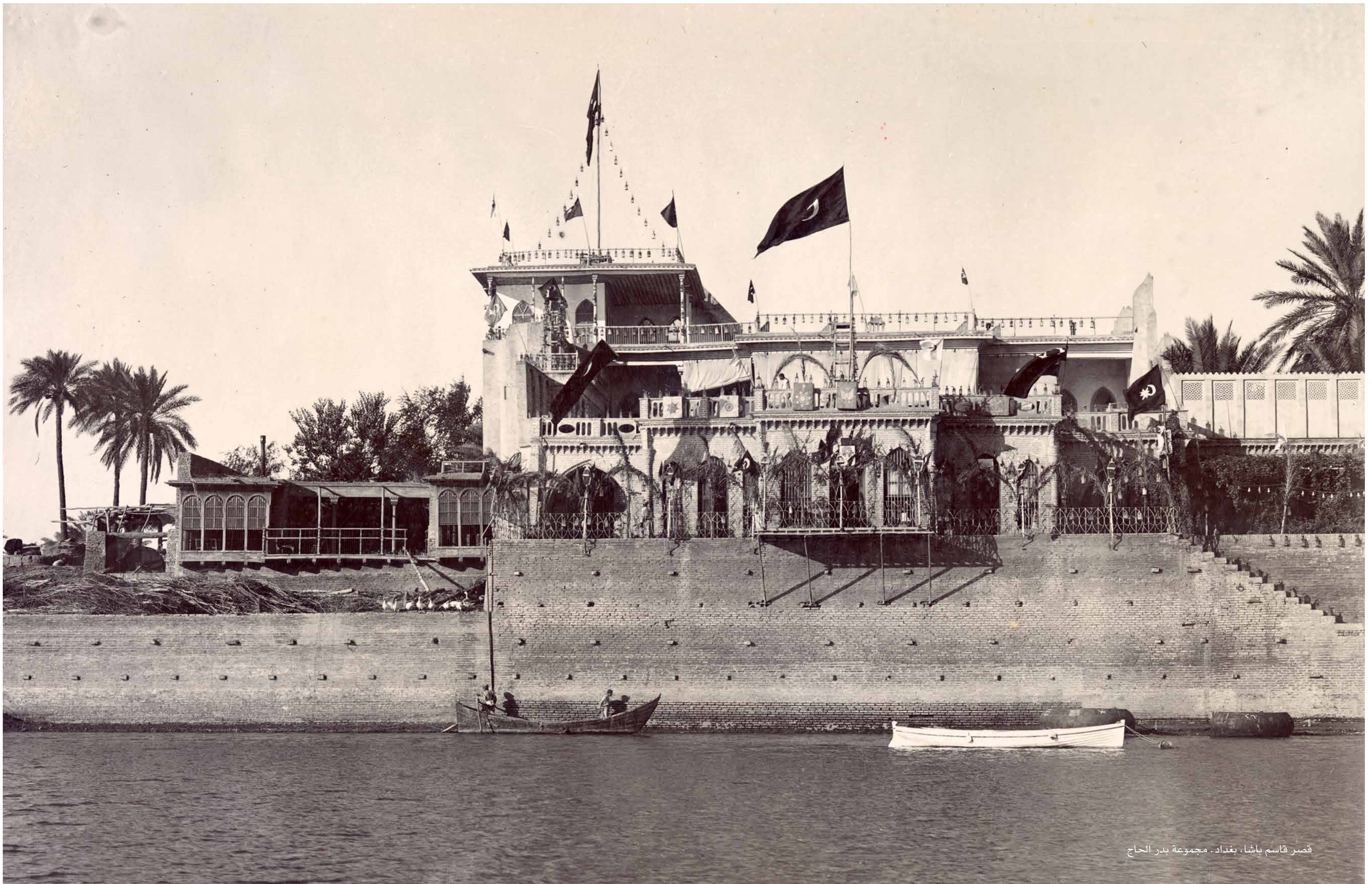
لم يكن محمد عارف المصور الوحيد في بغداد، بل كان هناك مصورون اخرون من العراقيين والأجانب. امثال التالية اسماءهم: دنوسيان وهو مصور ارمني من اسطنبول، ويزنجر مصور نمساوي، وداود غزالة سوري من حلب. انتشرت استديوهات التصوير في بغداد وتنافس فيها بينما نذكر منها على سبيل المثال التالي: عبد العلي، استديو أرشاك وكان صاحبه المصور الرسمي للقصر الملكي وللمناسبات الرسمية، استديو دانيال لصاحبه دانيال موسى، استديو نعيم رحيم، واستديو

صور مختلفة لمهن تقليدية من الثلاثينات. مجموعة بدر الحاج

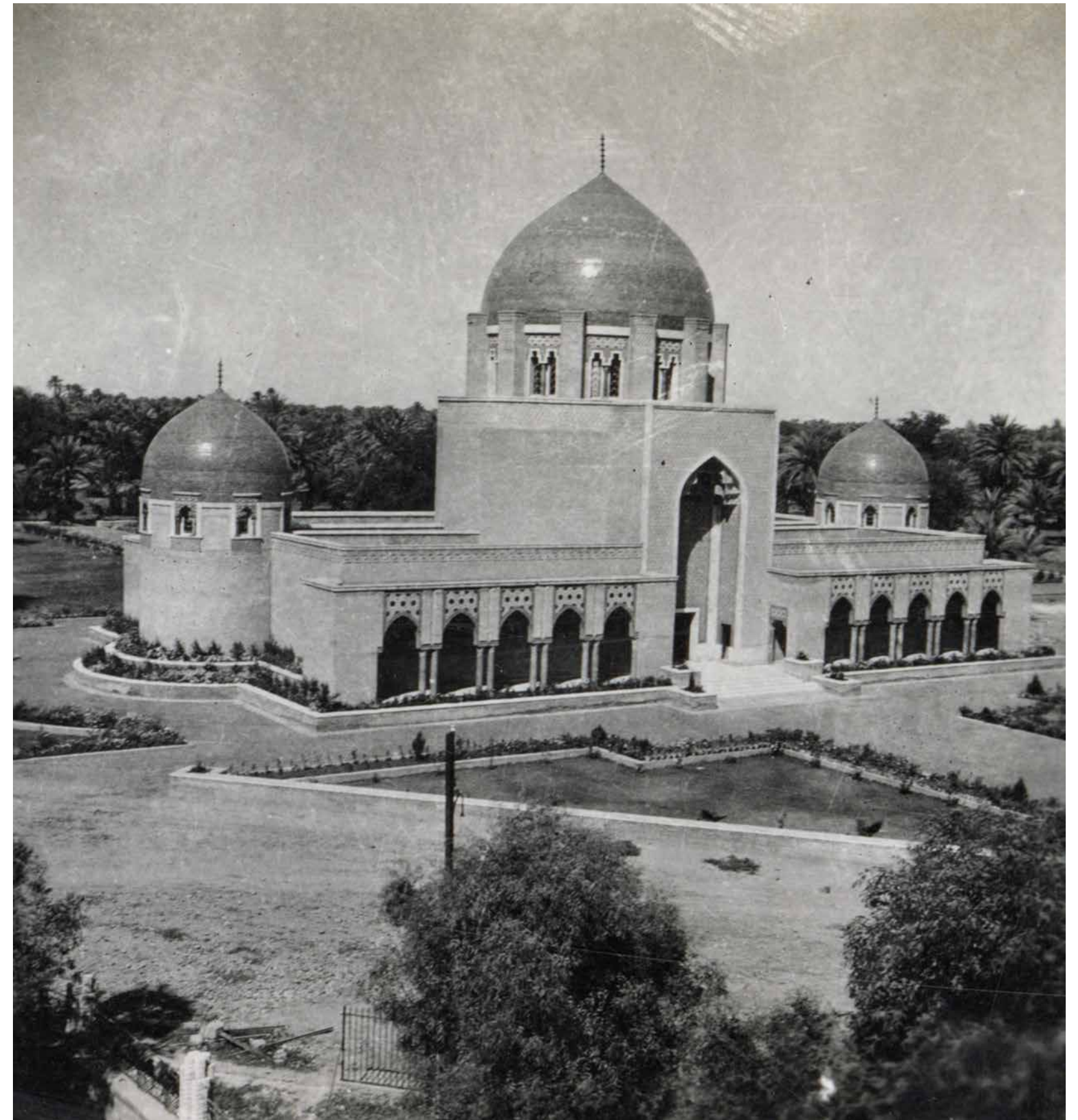




صور مختلفة لمهن تقليدية من الثلاثينات.
مجموعة بدر الحاج.



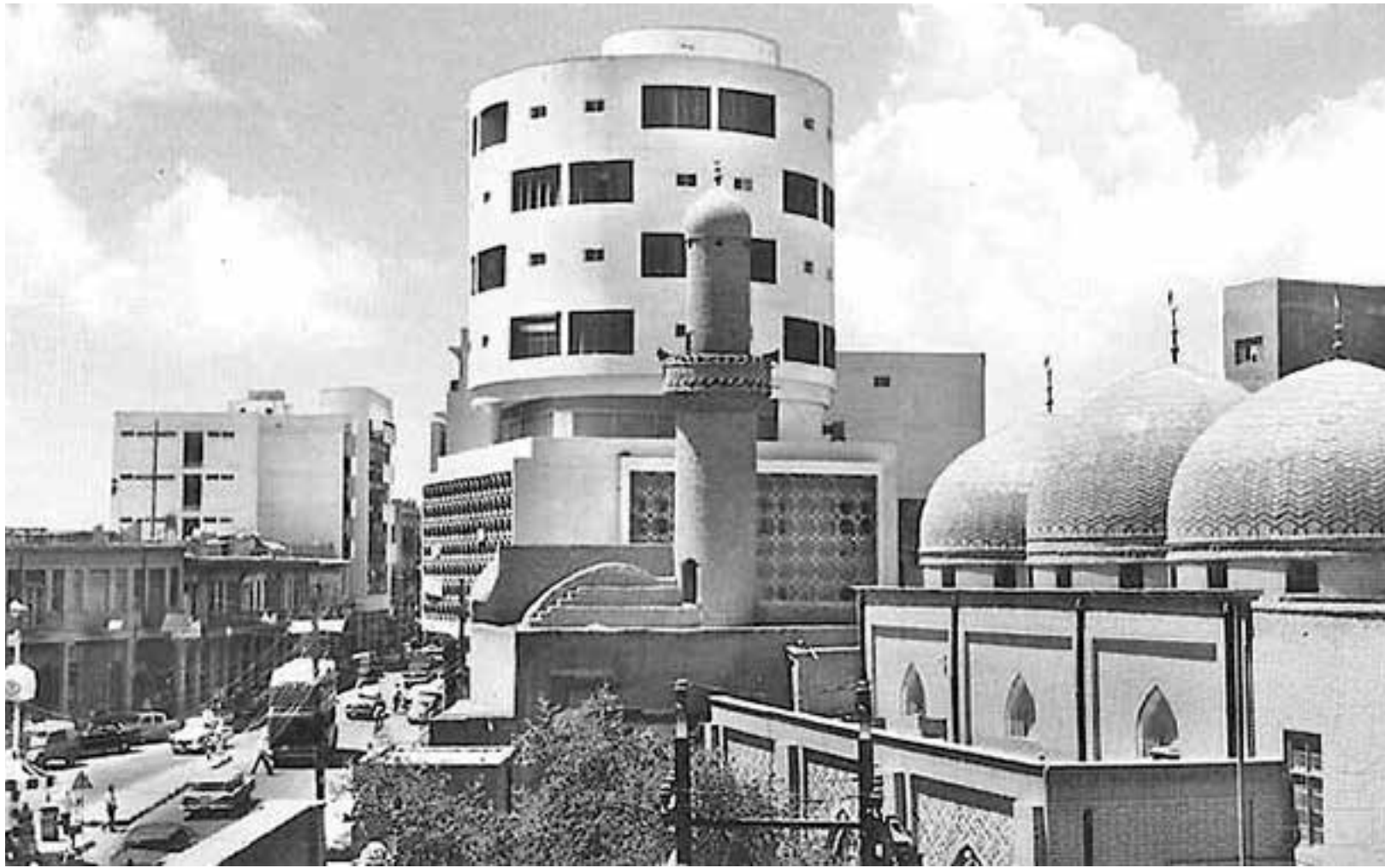
قصر قاسم باشا، بغداد. مجموعة بدر الحاج



المقبرة الملكية في الاعظمية.
مطار بغداد
القصر الملكي، الاربعينات. مجموعة بدر الحاج



منارة جامع الغزل، الاربعينات
منظر عام لبغداد 1914
منظر عام لبغداد 1940



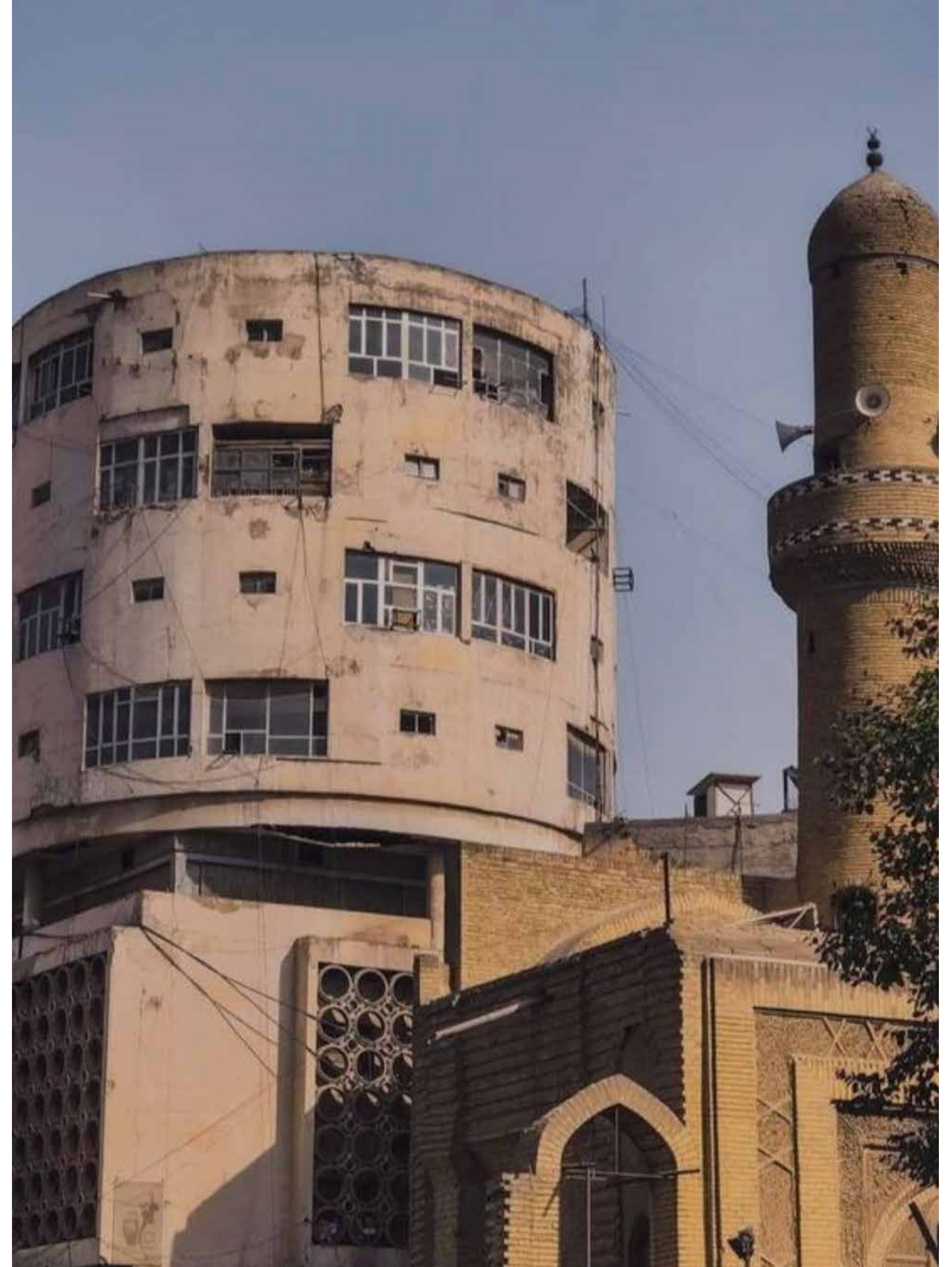
عمارة عبود، سوق الشورجة

عمارة عبود من تصميم عبد الله إحسان كامل وبمشاركة رفعة الجادرجي في المتحف البريطاني!

في شهر مارس 2021 دخلت صورة عمارة عبود كمادة للبحث الأكاديمي في عالم هندسة العمارة وتأثيرها بوصفها سابقةً لزمناها في التطور الحضاري لبلد يملك أصلاً إرثاً حضارياً ومعماريًا هائلاً. المقصود هنا التصميم المبتكرة في العمارة الحديثة خلال مرحلتين: السيطرة الاستعمارية ومرحلة الاستقلال. وللخزين التراثي الهائل للعراق قبل وبعد الانتهاء من مرحلة الاستعمار البريطاني وحصوله على استقلاله ، لم يتردد منظمو ندوة عقدت في أهم متحف في لندن العاصمة البريطانية من اختيار عمارة عبود في شارع الرشيد في منطقة الشورجة وسط بغداد، كعلامة بارزة على التطور الحضاري والتقدم العلمي في هندسة الحداثة بالعمارة في وقت تشييدها بالخمسينات وتأثيرها على هندسة العمارة في العاصمة العراقية بغداد. أقامت الندوة هيئة تجمع للمعماريين العالميين

في شهر مارس 2021 دخلت صورة عمارة عبود كمادة للبحث الأكاديمي في عالم هندسة العمارة وتأثيرها بوصفها سابقةً لزمناها في التطور الحضاري لبلد يملك أصلاً إرثاً حضارياً ومعماريًا هائلاً. المقصود هنا التصميم المبتكرة في العمارة الحديثة خلال مرحلتين: السيطرة الاستعمارية ومرحلة الاستقلال. وللخزين التراثي الهائل للعراق قبل وبعد الانتهاء من مرحلة الاستعمار البريطاني وحصوله على استقلاله ، لم يتردد منظمو ندوة عقدت في أهم متحف في لندن العاصمة البريطانية من اختيار عمارة عبود في شارع الرشيد في منطقة الشورجة وسط بغداد، كعلامة بارزة على التطور الحضاري والتقدم العلمي في هندسة الحداثة بالعمارة في وقت تشييدها بالخمسينات وتأثيرها على هندسة العمارة في العاصمة العراقية بغداد. أقامت الندوة هيئة تجمع للمعماريين العالميين

في شهر مارس 2021 دخلت صورة عمارة عبود كمادة للبحث الأكاديمي في عالم هندسة العمارة وتأثيرها بوصفها سابقةً لزمناها في التطور الحضاري لبلد يملك أصلاً إرثاً حضارياً ومعماريًا هائلاً. المقصود هنا التصميم المبتكرة في العمارة الحديثة خلال مرحلتين: السيطرة الاستعمارية ومرحلة الاستقلال. وللخزين التراثي الهائل للعراق قبل وبعد الانتهاء من مرحلة الاستعمار البريطاني وحصوله على استقلاله ، لم يتردد منظمو ندوة عقدت في أهم متحف في لندن العاصمة البريطانية من اختيار عمارة عبود في شارع الرشيد في منطقة الشورجة وسط بغداد، كعلامة بارزة على التطور الحضاري والتقدم العلمي في هندسة الحداثة بالعمارة في وقت تشييدها بالخمسينات وتأثيرها على هندسة العمارة في العاصمة العراقية بغداد. أقامت الندوة هيئة تجمع للمعماريين العالميين





عمارة عبود . تصوير هادي النجار 2019



Cubicles, Vectors, Catalysts
Envisioning the Modern city

مؤكدین علی أن استخدامات الأشكال الهندسية مثل الأشكال الأسطوانية والمستطيلات والمكعبات في بناء العمارة في تلك الفترة دليل على تقدم ذلك البلد وعلى عمق إرثه الحضاري. وتوصل المنظمون إلى اختيار عمارة عبود كمثال بارز يدعم فكرتهم الأساسية، فيما أعد المحاضرون في الندوة من جانبهم أن العمارة تمثل نقلة نوعية في بناء العمارة في تلكم البلدان بالخمسينات وخاصة لدولة مثل العراق. وذهب المديح والإطراء كله في مداخلات من حضروا الندوتين من خبراء ومتابعين ومهندسين إلى براعة المهندس المعماري الراحل رفعة الجادرجي لكونه ترك إرثاً هائلاً لعدة عمارات سكنية وتجارية والعديد من البيوت التي صممها ولا تزال شاخصة حتى أيامنا هذه، وكانت في وقت تشييدها تمثل نظرة مستقبلية للتصميم الهندسي والمعماري عما هو سائد في تلك الحقبة الزمنية من الخمسينات والتي رسمت واقع الحداثة في العمارة من بغداد .

سعدون الجنابي
من كتابه رحلة في ذاكرة شارع الرشيد

تحدث عن الحداثة في المدن خاصة في موزمبيق وغرب باكستان. وتم تخصيص قسم من الندوة لدراسة التداخل والمزاوجة والتعشيق بين الفن والبناء المعماري الهندسي في دول مثل المغرب والهند والعراق. وألقى مداخلة العراق السيد أمين السادن وهو باحث معماري مستقل أفاض في الحديث عن دور رفعة الجادرجي كمهندس معماري وفنان مبدع في إشاعة الحداثة في البناء في العاصمة العراقية بغداد .

وبعد أسبوع يوم 9 آذار 2021 عقدت ندوة ثانية مشابهة للأولى في فرع متحف التيت شمال إنكلترا في مدينة ليفربول.. Tate Museum. Liverpool

كانت نتائج البحثين في الندوتين لصالح عمارة عبود في شارع الرشيد وسط بغداد، لما تمثله من حضارة عمرانية وتقدم معماري في العاصمة بغداد بالخمسينات مقارنة مع تصاميم أخرى





عن تأسيس أول مكتبة عامة في بغداد .. وماذا عن مكتبة مكنزي في شارع الرشيد ؟

سعدون الجنابي

من كتابه رحلة في ذاكرة شارع الرشيد

عندما دخلت القوات البريطانية بغداد عام 1917 لم تجد مدينة جرداء خالية من الاهتمامات الثقافية والانتاج الثقافي، بل وجدت جماعات أدب وشعر تتواصل عن طريق اللقاءات والجلسات الأدبية، كما كانت هناك حركة تأليف نشطة ومجالس الثقافة تولاهما رجال أعمال من الميسورين وسياسيين ودبلوماسيين ورجال دين مسيحيين ويهود ومسلمين وصابئة، تعمل بمواعيد ثابتة أسبوعية وشهرية. ولم يقتصر الأمر على الرجال بل تعداه إلى مجالس نسائية أدبية وثقافة وفنية وموسيقية. وهناك لقاءات خاصة بالنساء تسمى بـ (قبول) في بيوتات

لعوائل بغدادية ميسورة عادة. ووجد الإنكليز كذلك حركة إصدار صحف بالعربية والتركية والسريانية بقيادة رجال دين ومتقنين. والحال إن النخب الثقافية في تلك الظروف كانت متفقة على إنشاء دار للكتب كمكتبة عامة لإعمام الفائدة للطلبة والدارسين. وهنا لعب القدر لعبته الإيجابية مع العراق حيث كان من ضمن القوات البريطانية التي دخلت بغداد امرأة متعددة المواهب سياسياً واستخبارياً ودبلوماسياً وذات اهتمام بالآثار، وهي المستشارة الشرقية للمندوب السامي البريطاني بالعراق واسمها جيرترود بيل Gertrude Bell المعروفة باسم مس بيل: اشتهرت بأنها ملكة الصحراء وصانعة الملوك وعاشقة للأدب ومنقبة آثارية وقارئة نهمة. ويعزى لها أنها من شجعت التقيب عن آثار العراق كونها خريجة قسم التاريخ لا بل إنها أول امرأة تتخرج من قسم التاريخ من جامعة

أكسفورد العريقة، وقد نجحت في تنصيب الملك فيصل الأول ملكاً على العراق، ولجهداتها أطلق عليها البغادة «خاتون بغداد». غطت المجالس الثقافية خارطة محلات بغداد وكان أبرزها مقر الأب أنستاس ماري الكرمللي في كنيسة ودير رأس القرية. كان يحضرها عليّة القوم في بغداد من مثقفين ولغويين ومترجمين وشعراء وأدباء ورجال دين وسياسيين وأساتذة جامعة. وكانت مس بيل زائرة دائماً للمجالس هذه، ومن الأسماء التي كانت تحضر مجلس الكرمللي الثقافي:

د مصطفى جواد، و جلال الحنفي، وحسين أمين، وسالم الألوسي، ومحمود شكري الألوسي وتلميذه الحاج عبدالرحمن الشихلي، و يوسف غنيمه، وعارف السويدي، وكاظم الدجيلي والكثير غيرهم من أعلام بغداد ورجال الدين المسيحيين واليهود والمسلمين. كان لمس بيل دور

مزدوج، فمن جهة تدعم الحضور بالأفكار ومن جهة تنقل كل ما يدور بين الحضور لعناية جلالة الملك فيصل الأول والدوائر البريطانية. في عام 1922 اتفق الحضور على التبرع بمؤلفاتهم وكتبهم كنواة لتأسيس مكتبة، فجمعوا تقريباً 800 كتاب، واتفقوا على أن تكون برعاية الأب الكرمللي، وفي ركن صغير من كنيسة السريان اللاتين في رأس القرية حصراً. اتفقوا كذلك على أن يكون اسم المكتبة دار السلام على اسم بغداد دار السلام. ولم تتوقف هدايا الكتب للمكتبة بل أخذت بالازدياد المطرد. واتفق الحضور في لقاء آخر على التبرع بالأموال لرشد المكتبة بكتب اللغة الانكليزية وباللغات الأخرى التي ليست بحوزتهم، وذلك عن طريق شراءها من مكتبة أوروزدي باك أو مكتبة مكنزي أو من أي مصدر آخر. واتفق الحضور على إصدار مجلة فصلية خاصة بالمكتبة وأخبارها وعناوين

كتبها وتهتم بنشر عروض كتب المكتبة ونقدها. وأطلقوا على المجلة اسم الخزانة The Library وذلك في نيسان (1923) واهتمت المجلة بعرض ونقد الكتب التي أهديت لها فضلاً عن تفاصيل عن ميزانيتها وأسماء الشخصيات التي تبرعت لها ومعلومات أخرى متعلقة بالمكتبة وتولى رئاسة تحريرها الأب الكرمللي. ويذكر الأستاذ قصي الفرضي في كتابه المهم (محلات بغداد في مائة عام)... أن هذا النشاط كان البداية الأولى لنواة مكتبة عامة بدأت تكبر يوماً وتضافت جهود وتطلعات صفوة من المثقفين العراقيين وجهود مس بيل، وأهم من كل هؤلاء جهود الملك فيصل الأول وتطلعات الراحل الكبير الأب أنستاس ماري الكرمللي، فأعلن عن تأسيس مكتبة وطنية عامة بشارع الرشيد في مكان واسع بمنطقة باب الاغا بدلا من موقعها الصغير في رأس القرية.



عندما دخلت القوات البريطانية بغداد عام 1917 لم تجد مدينة جرداء خالية من الاهتمامات الثقافية والانتاج الثقافى، بل وجدت جماعات أدب وشعر تتواصل عن طريق اللقاءات والجلسات الأدبية، كما كانت هناك حركة تأليف نشطة ومجالس الثقافة تولاهـا رجال أعمال من الميسورين وسياسيين ودبلوماسيين ورجال دين مسيحيين ويهود ومسلمين وصابئة، تعمل بمواعيد ثابتة أسبوعية وشهرية. ولم يقتصر الأمر على الرجال بل تعداه إلى مجالس نسائية أدبية وثقافة وفنية وموسيقية. وهناك لقاءات خاصة بالنساء تسمى بـ (قبول) في بيوتات

لعوائل بغدادية ميسورة عادة. ووجد الإنكليز كذلك حركة إصدار صحف بالعربية والتركية والسريانية بقيادة رجال دين ومثقفين. والحال إن النخب الثقافية في تلك الظروف كانت متفقة على إنشاء دار للكتب كمكتبة عامة لإعـمـام الفائدة للطلبة والدارسين. وهنا لعب القدر لعبته الإيجابية مع العراق حيث كان من ضمن القوات البريطانية التي دخلت بغداد امرأة متعددة المواهب سياسياً واستخبارياً ودبلوماسياً وذات اهتمام بالآثار، وهي المستشارة الشرقية للمندوب السامي البريطاني بالعراق واسمها جيرترود بيل Gertrude Bell المعروفه باسم

مس بيل: اشتهرت بأنها ملكة الصحراء وصانعة الملوك وعاشقة للأدب ومنقبة آثارية وقارئة نهمة. ويعزى لها أنها من شجعت التتقيب عن آثار العراق كونها خريجة قسم التاريخ لا بل إنها أول امرأة تتخرج من قسم التاريخ من جامعة أكسفورد العريقة، وقد نجحت في تنصيب الملك فيصل الأول ملكاً على العراق، ولجهودها أطلق عليها البغادة «خاتون بغداد».

غطت المجالس الثقافية خارطة محلات بغداد وكان أبرزها مقر الأب أنستاس ماري الكرملي في كنيسة ودير رأس ألقرية. كان يحضرها عليه القوم في بغداد من مثقفين ولغويين ومترجمين

وشعراء وأدباء ورجال دين وسياسيين وأساتذة جامعة. وكانت مس بيل زائراً دائماً للمجالس هذه، ومن الأسماء التي كانت تحضر مجلس الكرملي الثقافى:

د مصطفى جواد، و جلال الحنفي، وحسين أمين، وسالم الألوسي، ومحمود شكري الألوسي وتلميذه الحاج عبدالرحمن الشихلي، و يوسف غنيمه، وعارف السويدي، وكاظم الدجيلي والكثير غيرهم من أعلام بغداد ورجال الدين المسيحيين واليهود والمسلمين. كان لمس بيل دور مزدوج، فمن جهة تدعم الحضور بالأفكار ومن جهة تنقل كل ما يدور بين الحضور لعناية جلالة الملك فيصل الأول والدوائر البريطانية.

في عام 1922 اتفق الحضور على التبرع بمؤلفاتهم وكتبهم كنواة لتأسيس مكتبة، فجمعوا تقريبا 800 كتاب، واتفقوا على أن تكون برعاية الأب الكرملي، وفي ركن صغير من كنيسة السريان اللاتين في رأس القرية حصراً. اتفقوا كذلك على أن يكون اسم المكتبة دار السلام على اسم بغداد دار السلام. ولم تتوقف هدايا الكتب للمكتبة بل أخذت بالازدياد المطرد. واتفق الحضور في لقاء آخر على التبرع بالأموال لرفد المكتبة بكتب اللغة الانكليزية وباللغات الأخرى التي ليست بحوزتهم ، وذلك عن طريق شراءها من مكتبة أوروزدي باك أو مكتبة مكنزي أو من أي مصدر آخر. واتفق الحضور على إصدار مجلة فصلية خاصة بالمكتبة وأخبارها وعناوين كتبها وتهتم بنشر عروض كتب المكتبة ونقدها. وأطلقوا على المجلة اسم الخزانة The Library وذلك في نيسان (1923) واهتمت المجلة بعرض ونقد الكتب التي أهديت لها فضلاً عن تفاصيل عن ميزانيتها وأسماء الشخصيات التي تبرعت لها ومعلومات أخرى متعلقة بالمكتبة وتولى رئاسة تحريرها الأب الكرملي.

ويذكر الأستاذ قصي الفرضي في كتابه المهم (محلات بغداد في مائة عام)...أن هذا النشاط كان البداية الأولى لنواة مكتبة عامة بدأت تكبر يومياً وتضافرت جهود وتطلعات صفوة من المثقفين العراقيين وجهود مس بيل، وأهم من كل هؤلاء جهود الملك فيصل الأول وتطلعات الراحل

الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي، فأعلن عن تأسيس مكتبة وطنية عامة بشارع الرشيد في مكان واسع بمنطقة باب الاغا بدلا من موقعها الصغير في رأس القرية.

وقام الملك الراحل فيصل الاول بافتتاح المكتبة عام 1928 في منطقة باب الاغا مجاور ما يعرف اليوم عمارة الرصافي في بناية بالطابق الثاني، وكان ركنها المطل على الساحة وشارع الرشيد سينما رويال. وهذا الموقع يقابل بناية مركز الاستعلامات الاميركي. وأطلق أولا على المكتبة مكتبة الأوقاف القديمة ثم استقر على تسميتها المكتبة الوطنية. وفتحت المكتبة أبوابها في مقرها الجديد،

ومن ثم ، بعد التوسع في عملها استلمت إدارتها وزارة المعارف وخصصتها للعامة وللطلبة وللدارسين وللمثقفين. وللتوسع في موجوداتها ووفاة الاب الكرملي بعد ذلك تم نقلها إلى باب المعظم، في البناية التي شغلتها لسنين قبل إزالتها لتوسعة الشارع.

تم اختيار شارع الرشيد موقعاً للمكتبة العامة فيه نظرا لأهميته. ومعروف أن من أهداف المكتبة العامة هو حفظ التراث والنتاج الفكري الوطني والقومي للبلاد والعناية به، ومساعدة الدارسين والباحثين في الحصول على المراجع والمصادر التي تعينهم في بحثوهم. وأصبحت المكتبة تستند على (تعليمات وزارية) لكوادرها ونظام عملها وأصبحت تابعة المكتبة الى وزارة المعارف، وانتقلت إلى مكتبة الأوقاف في باب المعظم. وبلغت محتوياتها آنذاك(4283) كتابا منها (1427) باللغة العربية (2350) باللغة الانكليزية (341) باللغة الفرنسية و(165) باللغة التركية.

و أضيفت مجموعة مكتبة نظارة المعارف فضلاً عن محتويات مكتبة جمعية الشبان المسيحيين بعد أن أمر الملك فيصل الأول أن تتوحد هذه المكتبات لتصبح المكتبة الرسمية للبلاد، كما نقلت محتوياتها البالغة(9298) كتاباً إلى بناية في شارع الرشيد قرب باب الاغا وبقيت هناك في الطابق الثاني لمدة عامين.وقد أعيد تنظيمها وترتيبها لفتح أبوابها للجمهور من جديد،

ويرجع الفضل في هذا التطور إلى وزير المعارف محمد رضا الشيببي وزير المعارف آنذاك.

وتم نقل المكتبة العامة إلى مكتبة الأوقاف في باب المعظم لتضم جناحها الأيسر وأصبح اسم البناية المكتبة العامة، وأخذ يتردد عليها كثير من طلبة الكليات والمدارس.

و بلغت محتوياتها آنذاك حوالي ثلاثين ألف مجلداً، وظلت في مكانها حتى انتقلت إلى البناية الحالية مقابل وزارة الدفاع. وذلك لأن افتتاح شارع الجمهورية عام1957 أزال البناية لتوسيع ساحة باب المعظم.

المكتبات الخاصة

زخر شارع الرشيد من باب المعظم وحتى نهايته قرب ساحة التحرير، بتواجد العديد من المكتبات الخاصة والمتخصصة امثال مكتبة مكنزي في بناية بيت لنج في منطقة العمار سبع ابكار، ومكتبة الكتاب المقدس، ومكتبة اوروزدي باك .

ومكتبة مكنزي وحدها لها قصة نود ذكرها .

لقد تأسست هذه المكتبة في بدايات العقود الأولى من القرن العشرين واستمر حضورها الثقافى حتى أواسط تسعينات القرن المذكور، إذ كاد نشاطها يتوقف بفعل ظروف الحصار المفروض على العراق وتراجع الوضع الاقتصادي وضعف إدارتها، غير أنها لم تغلق أبوابها نهائياً، على أمل أن تتحسن الظروف لتعود إلى نشاطها، لكن الاحتلال الأميركي – الإيراني، وما نتج عنه من دمار وما عرفت فيه بغداد من تخریب، أنهى كل أمل بعودتها، فتحولت أخيرا إلى مخزن بائس للبضائع.

وقد ظهرت كتابات كثيرة، تذكر بها وبتاريخها ودورها الثقافى وتدعو إلى عودتها، لكن من يقرأ هذه الكتابات، ومن يستجيب لما تدعو إليه؟! وقبل ذلك وردت في مذكرات وكتابات عدد من الرموز الثقافية، وأذكر هنا على سبيل المثال ما كتبه الأستاذ جبرا إبراهيم جبرا في كتابه” شارع الأميرات”، ومن الطبيعي أن مثقفاً مثل جبرا الذي كانت الترجمة من بين نشاطاته الثقافية، لا بد أن يكون ذا علاقة وثيقة بمكتبة توفر له ما يحتاجه من كتب ودوريات باللغة الإنكليزية.

أما اسمها فقد اقترن باسم مؤسسها الأول "كينيث مكنزي"، وهو مواطن اسكتلندي، أحب بغداد وتوفي فيها في العام 1928، ويقول الباحث عبد الجبار العتابي "إن بغداد التي تعرفه جيداً وربما عدته واحداً من أبنائها، واعترافاً بفضلها، شيعت جنازته بحضور عدد كبير من العراقيين والبريطانيين، ودفن في المقبرة البريطانية في الباب الشرقي، وورث إدارة المكتبة "دونالد مكنزي" حتى العام 1946، حيث أدارها بعد ذلك أحد العراقيين واسمه كريم، غير أنه اشتهر باسم "كريم مكنزي" وكان الأكثر نشاطاً والأوسع علاقات مع الكتاب والباحثين والأكاديميين والطلبة الجامعيين. ويذكر بعض الذين كتبوا عن مكتبة مكنزي أسماء آخرين توالوا على إدارتها إلى حين إغلاقها، وستبقى هذه المكتبة حاضرة في تاريخ بغداد الثقافية والاجتماعي، كما سيبقى غيابها يمثل حالة وجع تضاف إلى أوجاع المثقفين العراقيين في ظل كل هذا الخراب والتخريب.

وحسب مقالة نشرت في جريدة المدى البغدادية أن المكتبة إنطلقت بنجاح كبير وكانت تفتح أبوابها يومياً من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الثانية عشر ظهراً في أيام الصيف ومن التاسعة وحتى الواحدة بعد الظهر في أيام الشتاء، وفي أيام الاثنين والأربعاء والجمعة من كل إسبوع تفتح في المساء أيضاً من الخامسة وحتى السابعة والنصف في الصيف، ومن الرابعة وحتى السادسة والنصف في الشتاء.

إضافة إلى الكتب المدرسية والتعليمية العلمية والأدبية كانت المكتبة توفر جميع الكتب الإنكليزية المختصة بالعالم العربي والإسلامي من كتب الرحلات والتاريخ والتراث القديمة والحديثة، ناهيك عن العديد من النشرات والدوريات الرصينة. يقول ريتشارد كوك، صاحب كتاب «بغداد مدينة السلام»، في مقالة له في إحدى الدوريات البريطانية إن مكتبة مكنزي أصبحت أفضل مكتبة متخصصة في الإسلاميات



والتراث والرحلات إلى العالم العربي، ليس في العراق والشرق الأوسط فحسب بل في العالم أجمع، حيث كانت طرود الكتب ترسل من المكتبة إلى زبائن في مختلف البلدان من الولايات المتحدة وحتى اليابان، إضافة إلى طرود بريدية أسبوعية إلى بلاد فارس. وفي إعلان للمكتبة نشر في الدليل التجاري المطبوع في بغداد سنة 1924، يقول الإعلان إن المكتبة مستعدة للبحث وتوفير أي كتاب أو مصدر من جميع أنحاء العالم، وموضحاً أن المكتبة تستلم شحنات من الكتب أسبوعياً من دور النشر في بريطانيا والولايات المتحدة. وفي إحد رسائلها إلى زوجة أبيها في سنة 1923 ذكرت المس غيروتروود بيل أن مكنزي طلب منها إعادة طباعة كتابها عن العراق «مراد إلى مراد» المطبوع في لندن سنة 1911 وفيه وصف لمدينة بغداد عند زيارتها لها سنة 1909. قال لها هناك طلبات عديدة على هذا الكتاب النافذ وإنه مستعد لشراء 200 نسخة من الكتاب. وبالفعل صدر الكتاب بطبعته الثانية سنة 1924. وقام مكنزي بطبع

بعد تتصيب فيصل ملكاً على العراق، وحافظت «مكتبة الحكومة» التي يديرها مكنزي على إستقلاليتها الإدارية والمالية، إلا أن الحكومة رأت في سنة 1925 أن للمكتبة وضعاً شاذاً، فهي تابعة للحكومة وتشغل موقعا في سراي الحكومة بدون أي سلطة للحكومة عليها فقررت إنهاء إرتباط المكتبة بها وبيعها في مزاد، ولم يكن المستفيد سوى كينيث مكنزي الذي سارع بنقل المكتبة إلى بناية النادي البريطاني في الشارع الجديد (الرشيد فيما بعد) في جوار جامع السيد سلطان علي، من جهة السنك، وأصبح اسمها «المكتبة "The Bookshop، بعد رفع كلمة الحكومة، وتحتها لأصحابها مكنزي ومكنزي (Mackenzie & Mackenzie Proprietors). وأصبحت المكتبة تفتح يومياً بنفس الأوقات السابقة، ومساء كل يوم بدلاً من ثلاثة أيام كما في السابق. بعد عدة سنوات انتقلت المكتبة إلى أحد محلات بناية لينج في شارع الرشيد وأصبحت تعرف بمكتبة مكنزي (Mackenzie Bookshop). وفي مساء يوم السبت 21 من شهر كانون الثاني سنة 1928، وحين كان يعمل في المكتبة سقط كينيث مكنزي مغنياً عليه بعدما أصيب بالجلطة، نقل على عجل إلى المستشفى وفارق الحياة بعد ساعتين. شيعت بغداد بعد ظهيرة اليوم التالي جنازة كينيث مكنزي بحضور كبير من العراقيين والبريطانيين ودفن في المقبرة البريطانية في الباب الشرقي. وأعلن محفل بغداد الماسوني العزاء له، فكان مكنزي عضواً فاعلاً فيه.

استلم دونالد مكنزي، شقيق زوجته، إدارة المكتبة واستمر على نهجها بنجاح كبير. ويذكر طارق إسماعيل أستاذ العلوم السياسية في كندا في كتابه عن الحزب الشيوعي العراقي المطبوع باللغة الإنكليزية سنة 2008، بأن دونالد مكنزي كان اشتراكي النزعة وأنه أسهم من خلال المكتبة بنشر الأفكار الاشتراكية واليسارية في العراق. ويشير أيضاً أن مكنزي استمر يعمل في المكتبة حتى وفاته عام 1926. ومن المعروف أن المكتبة انتقلت ملكيتها فيما بعد إلى عراقي كان

يشتغل في المكتبة.

كانت المكتبة تزدهم على الدوام بأساتذة الجامعات والباحثين وطلبة الماجستير والدكتوراه واللغات، وضمت المكتبة معظم كتب الرّجّالة الذين زاروا العراق، ووفرت لمن يطلب كتباً مستوردة من أميركا والصين واليابان والهند وبريطانيا وفرنسا وألمانيا ومصر ولبنان، بالإضافة الى قيامها بطبع كتب نادرة وأطالس وموسوعات وقواميس ومذكرات.

مكتبات أخرى

- ومن المكتبات المتخصصة، مكتبة الكتاب المقدس في رأس القرية. وكانت مختصة في بيع الكتاب المقدس لأخوتنا المسيحيين ولقربها من عكد النصارى والأديرة ومدرسة الراهبات التقدمة.

- ولكي لا ننسى كان لأول مول في الشرق الاوسط (اوروزدي باك) مكتبة مختصة للكتب العلمية للطلبة والدارسين، وكانت تقوم بتوصيل الكتب إلى بيوت المشترين.

- ومن أهم المكتبات الخاصة مكتبة الكتب القديمة في المربعة مقابل سينما الزوراء وصاحبها مسيحي مهتم بالثقافة ، وكانت تزخر بألاف الكتب الأدبية والروايات بالعربية والإنكليزية.

- إضافة إلى عشرات المكتبات الخاصة المنتشرة على طول شارع الرشيد والمئات من باعة الصحف والمجلات.

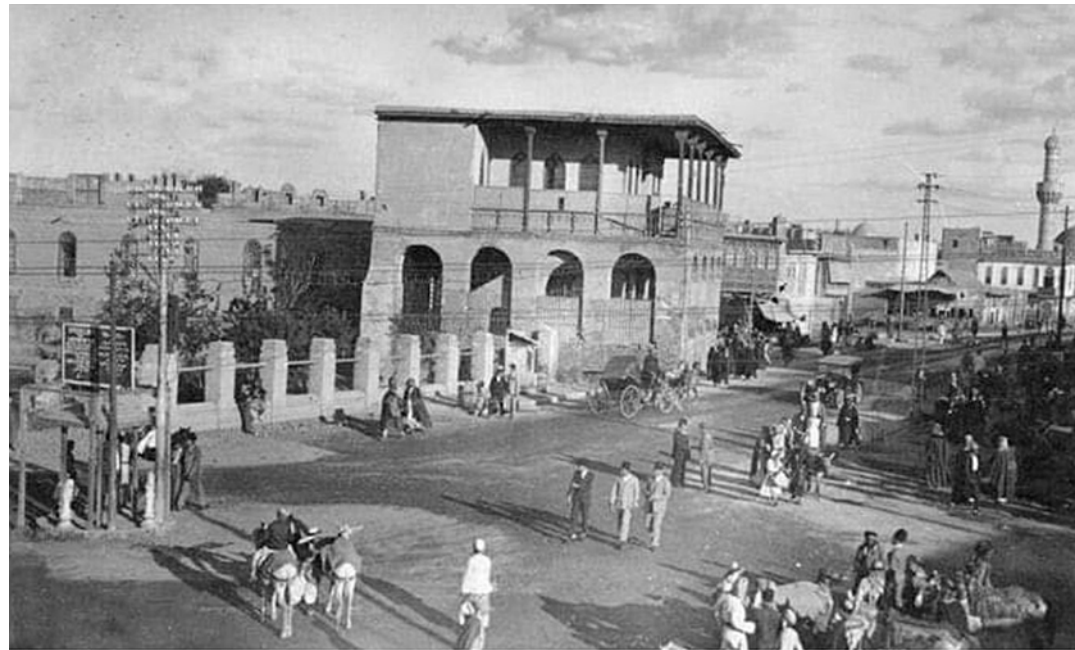
ولن ننسى هنا شارع المتنبّي وهو شارع المكتبات الخاصة الأهلية ومطابع طبع الكتب وحرفيي تجليد الكتب ولا يزال هذا المكان خالدا منذ العثمانيين والإنكليز ولحد الآن.

- وتجدر الإشارة إلى أن مكتبة مهمة لا تبعد كثيرا عن شارع الرشيد، وتقع في منطقة السنك، افتتحت في جامع الخلائي عام 1945 بمبادرة من العلامة السيد محمد الحيدري حين تبرع بمكتبته الخاصة والغنية بعيون الكتب والمصادر والمراجع، مما دفع آخرين بالتبرع بالكتب والمال. ووصل عدد الكتب في المكتبة إلى 25 ألف كتاب.

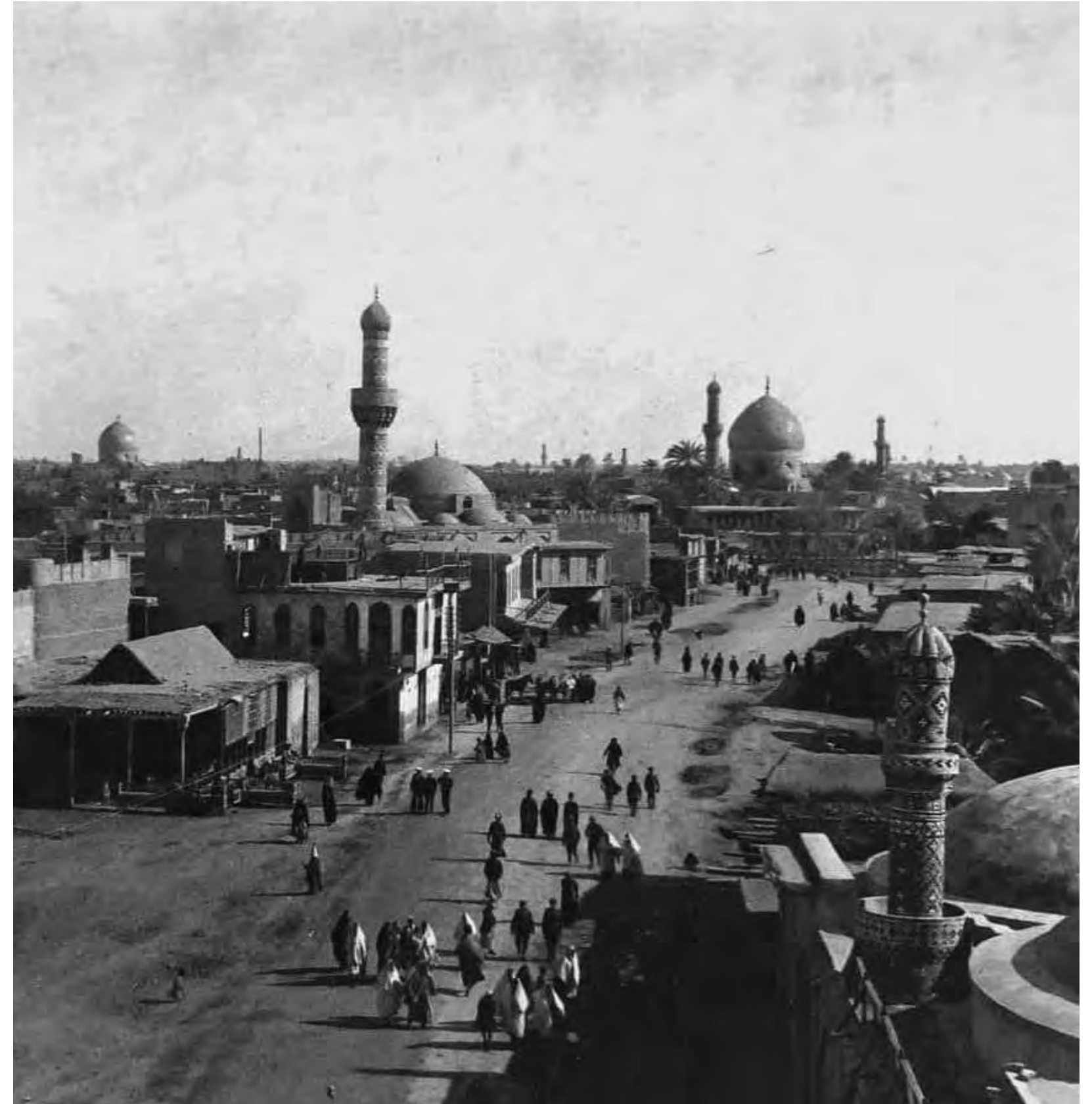
سعدون الجنابي – من كتابه رحلة في ذاكرة شارع الرشيد



بغداد كصورة : متابعة تاريخية

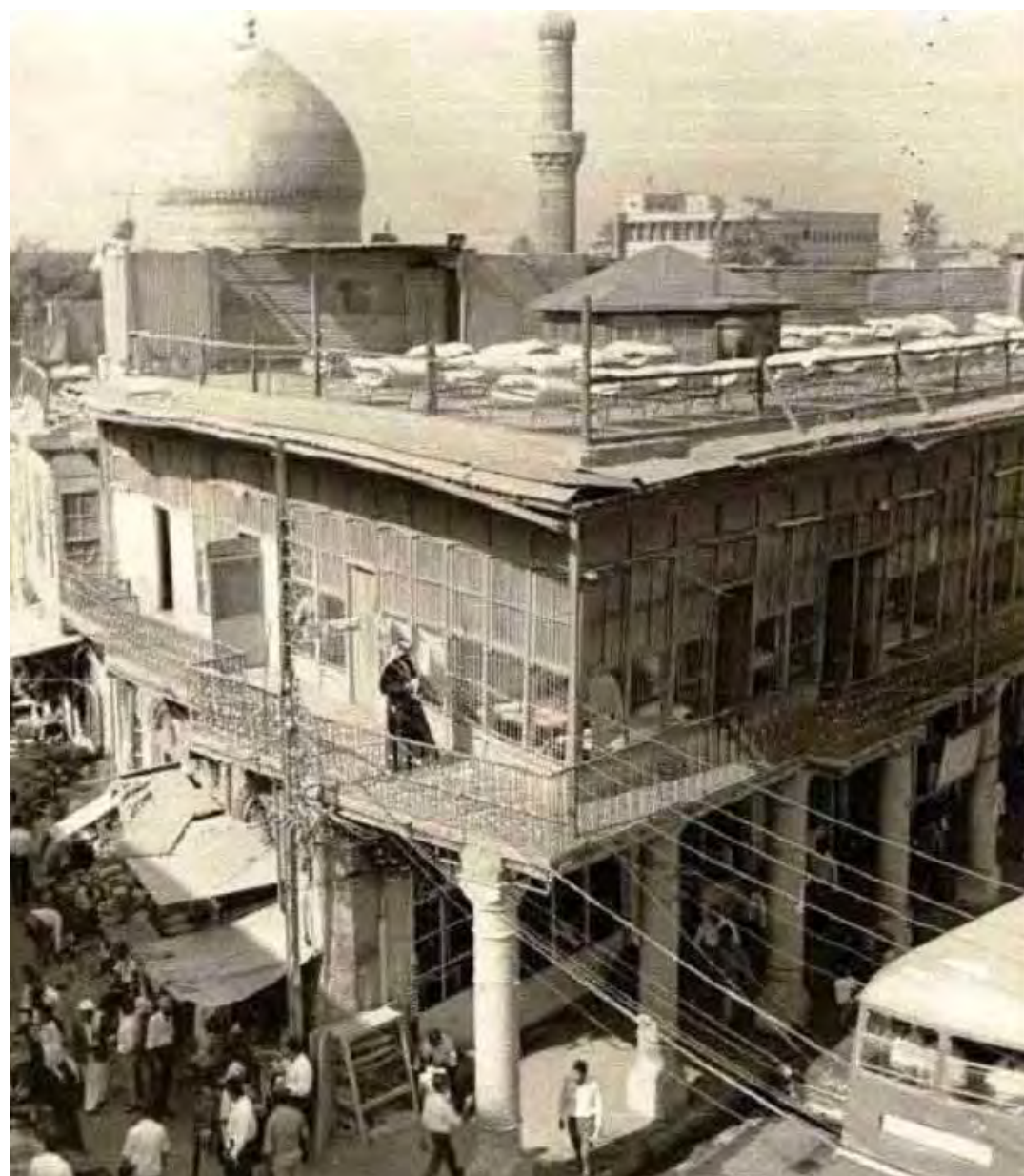


شارع الرشيد - الباب الشرقي





ساحة الميدان وجامع الاحمدي 1917
باب المعظم 1955
ساحة الميدان 1956
ساحة الميدان 1969





شارع الرشيد 1916
 شارع الرشيد 1917
 ساحة وجامع السراي 1918

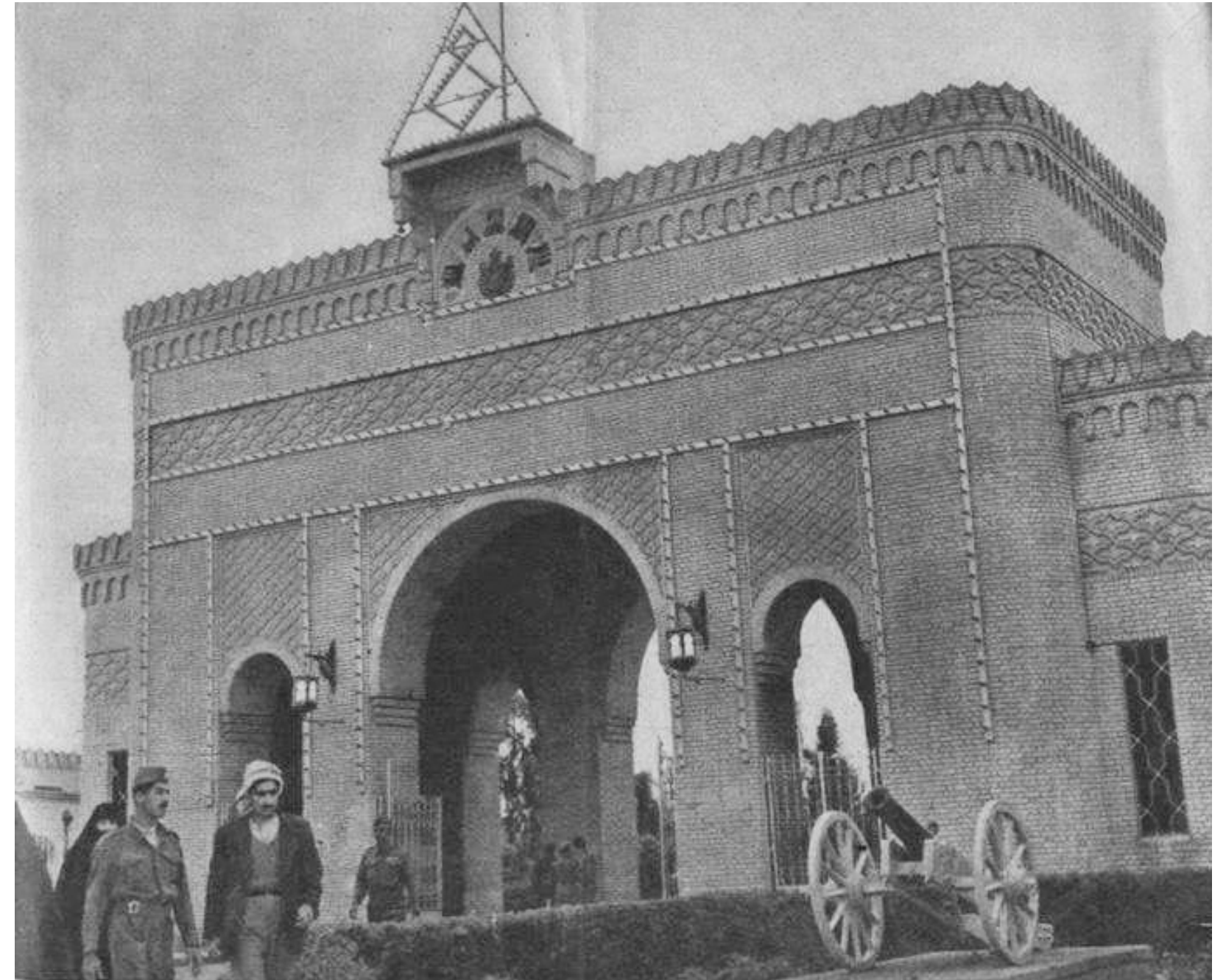


شارع الرشيد، العشرينات
مجموعة بدر الحاج



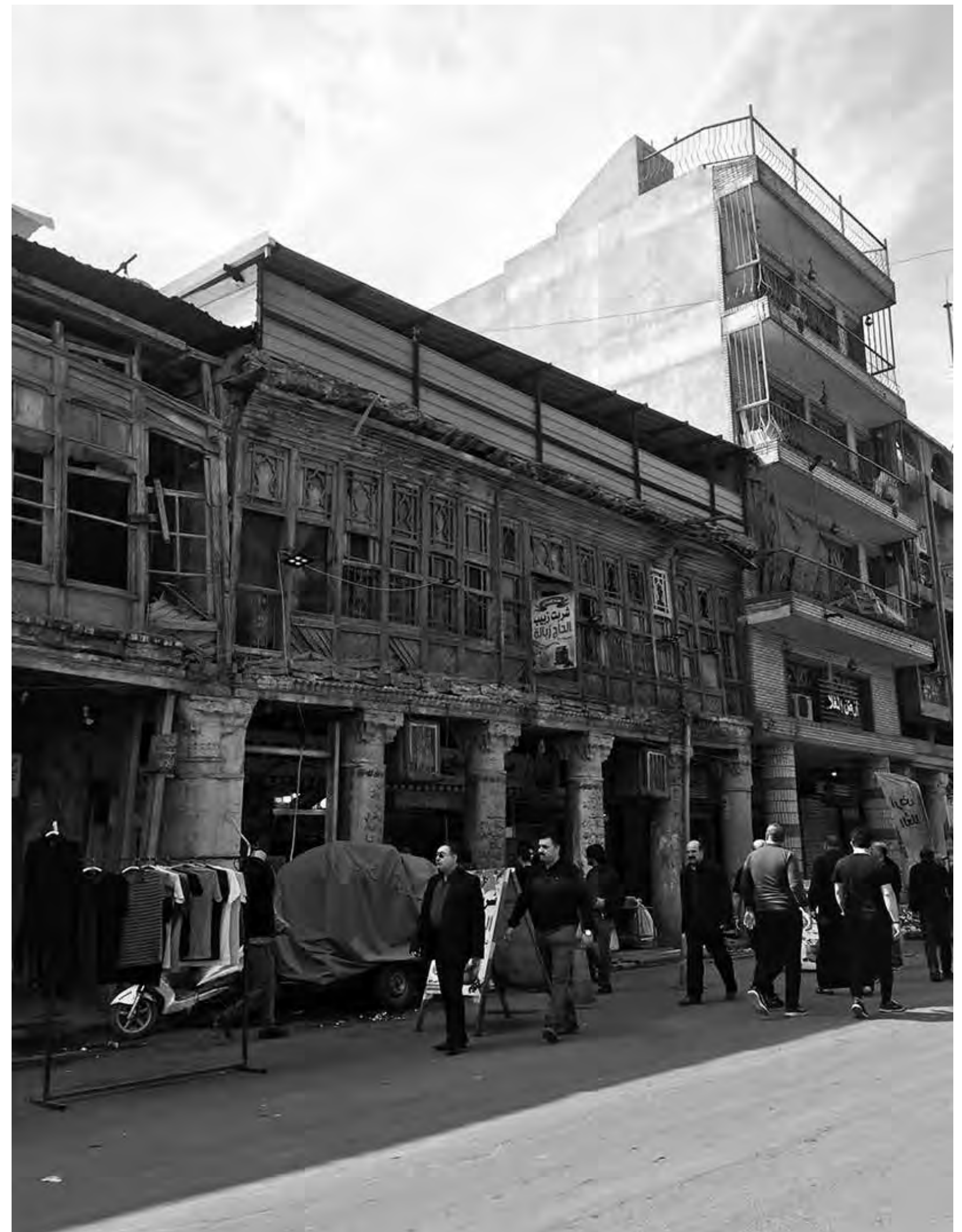


وزارة الدفاع
شارع الرشيد 1920
شارع الرشيد، ساحة الميدان، العشرينات





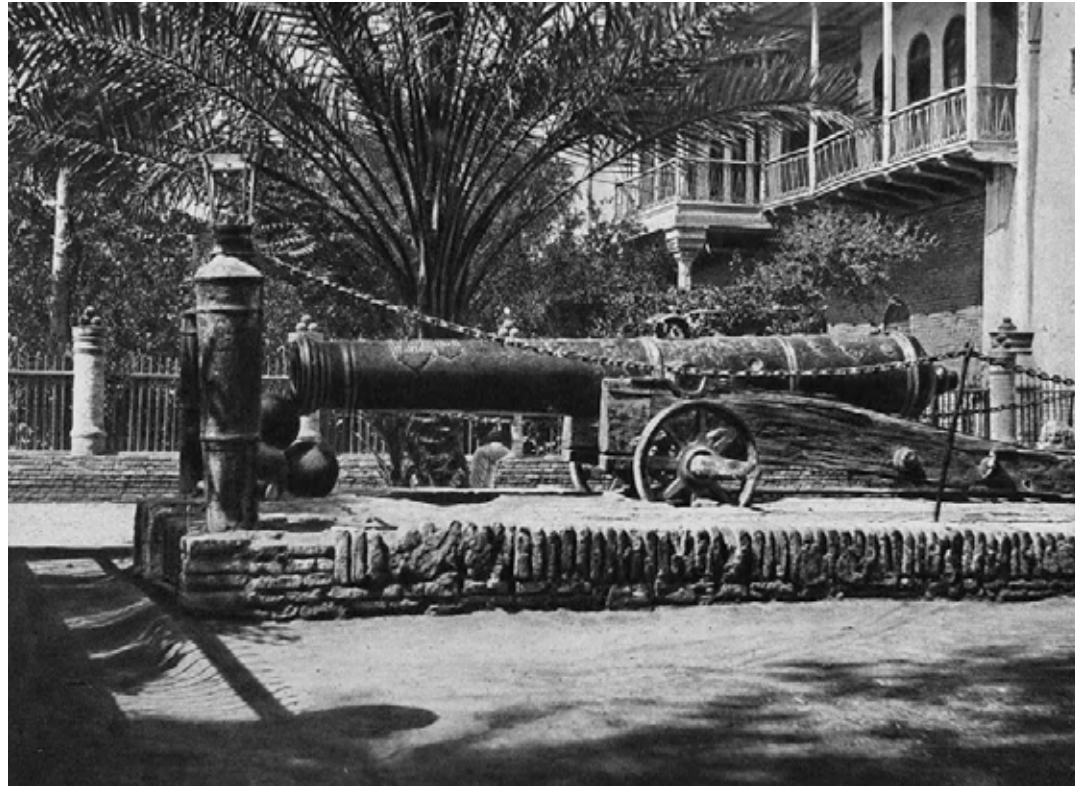
شارع الرشيد، جامع الحيدرخانه 1918

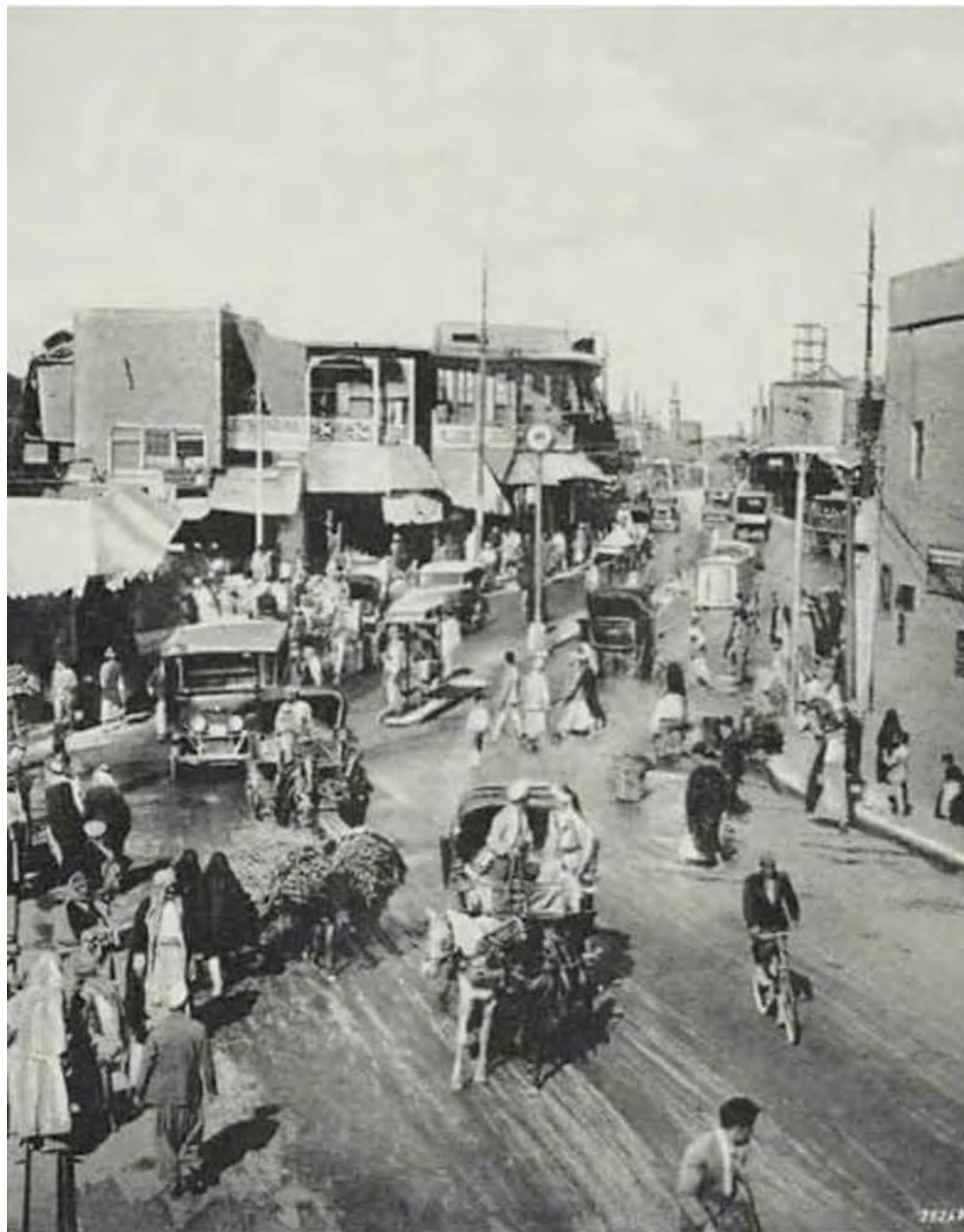


شارع الرشيد، شریت زیالة

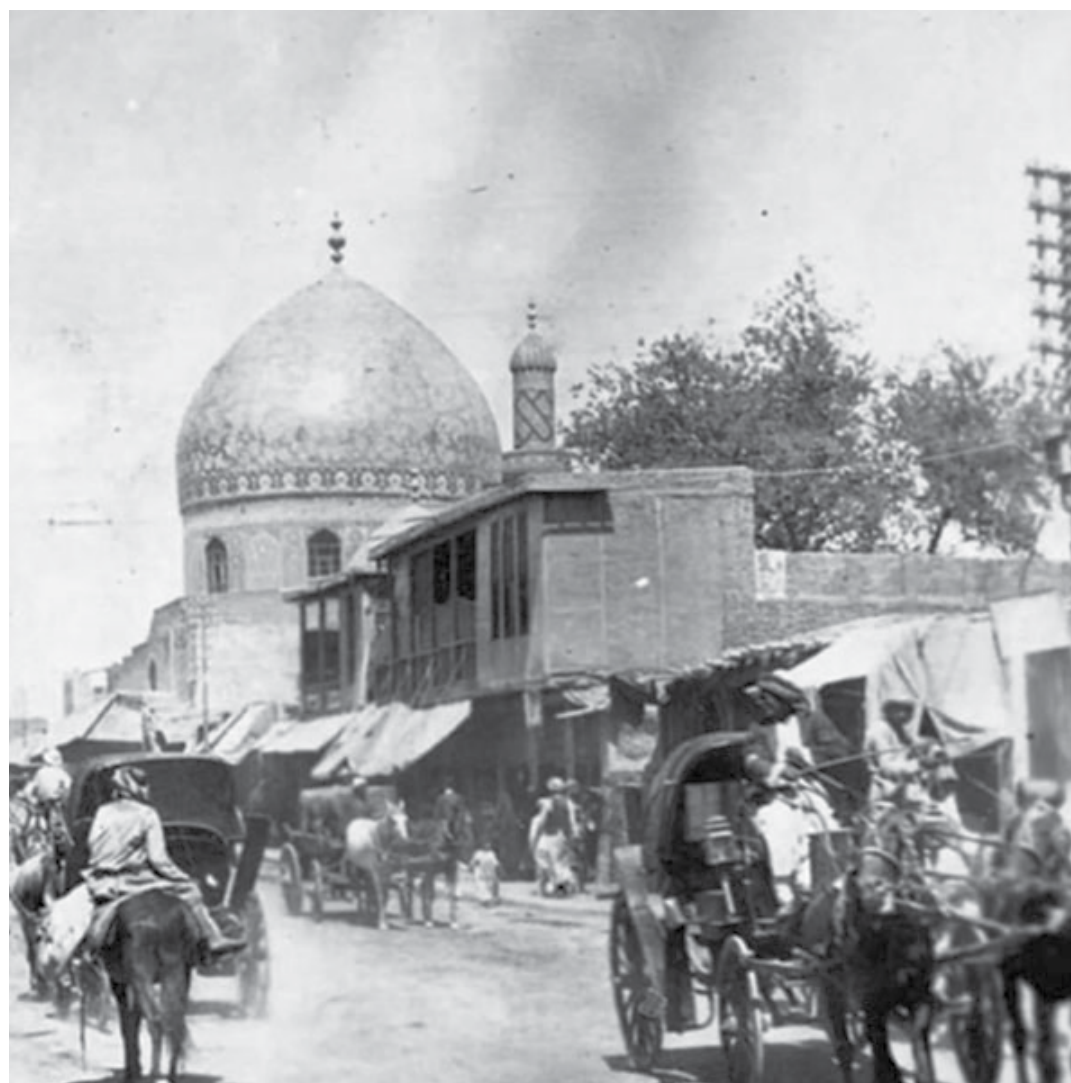


جامع الميدان 1932
شارع الرشيد ، الثلاثينات
طوب ابو خزيمة، ساحة الميدان





شارع الرشيد 1921
شارع الرشيد 1925
شارع الرشيد 1928



شارع الرشيد 1928
 شارع الرشيد 1928
 شارع الرشيد، منطقة الحيدر خانه
 شارع الرشيد 1928



شارع الرشيد، الثلاثينات
شارع الرشيد 1935
شارع الرشيد 1938





شارع الرشيد، الثلاثينات
 شارع الرشيد 1937
 اروع الرشيد، منطقة باب الاغا 1937
 شارع الرشيد، الثلاثينات







شارع الرشيد ، 1946
 شارع الرشيد 1942
 شارع الرشيد 1946



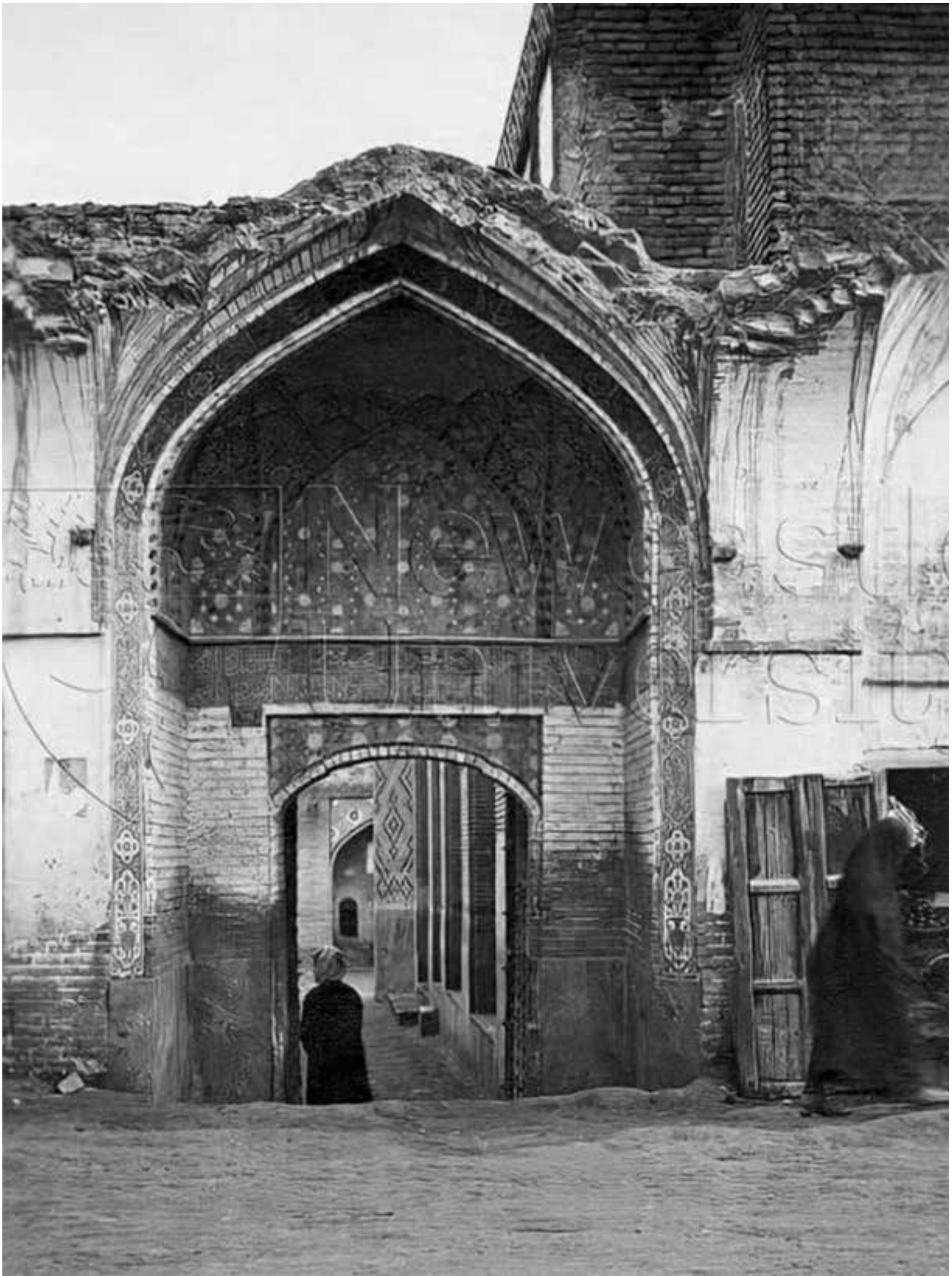
شارع الرشيد 1940
 شارع الرشيد 1942
 شارع الرشيد 1944



شارع الرشيد، الاربعينات
مجموعة بدر الحاج

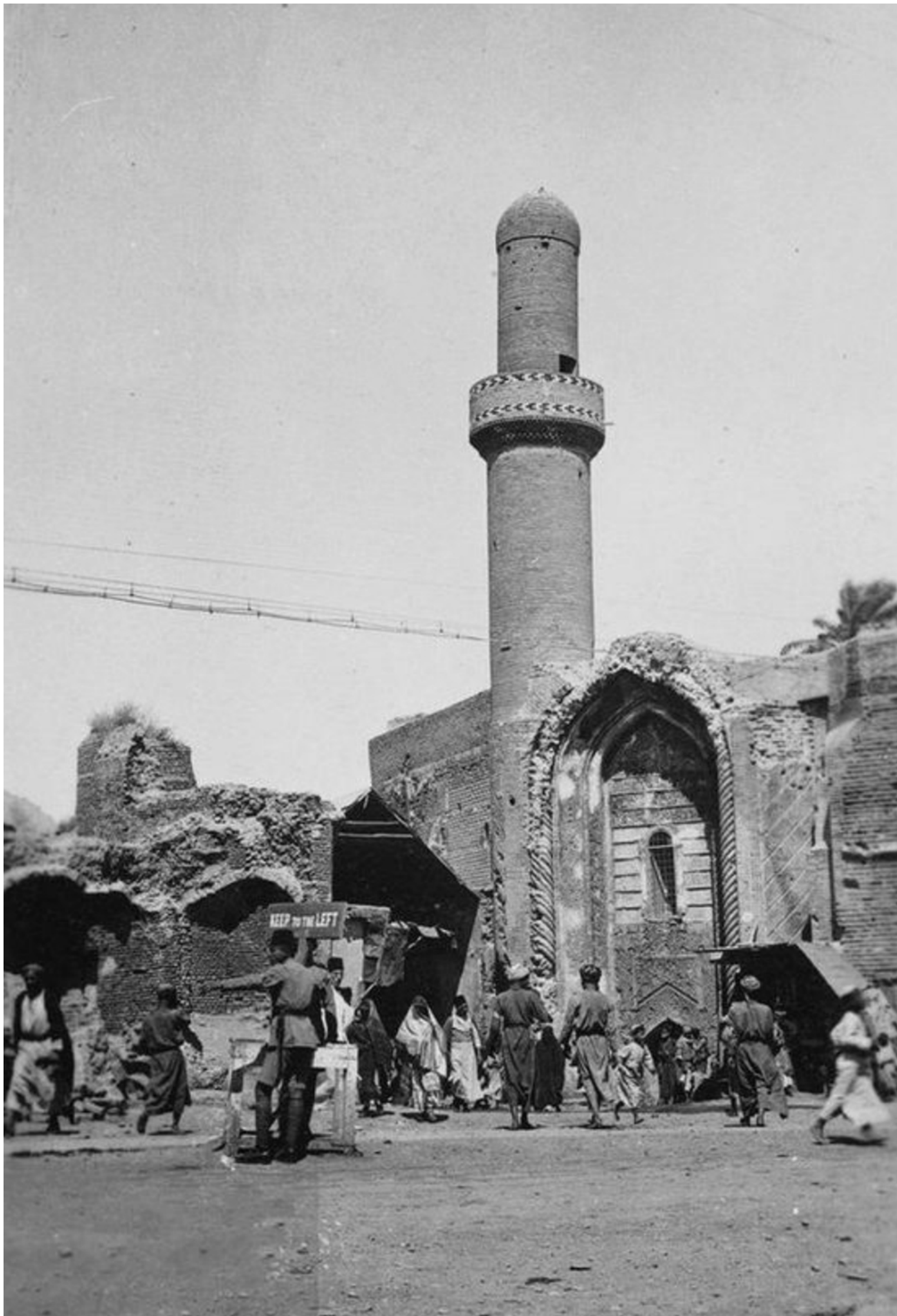


شارع الرشيد ، الحيدرخانه. 1918
 شارع الرشيد 1958
 شارع الرشيد 1956





شارع المتنبي 2020
شارع المتنبي 1991



شارع الرشيد، محلات ابن كنو
شارع الرشيد، جامع مرجان 1910

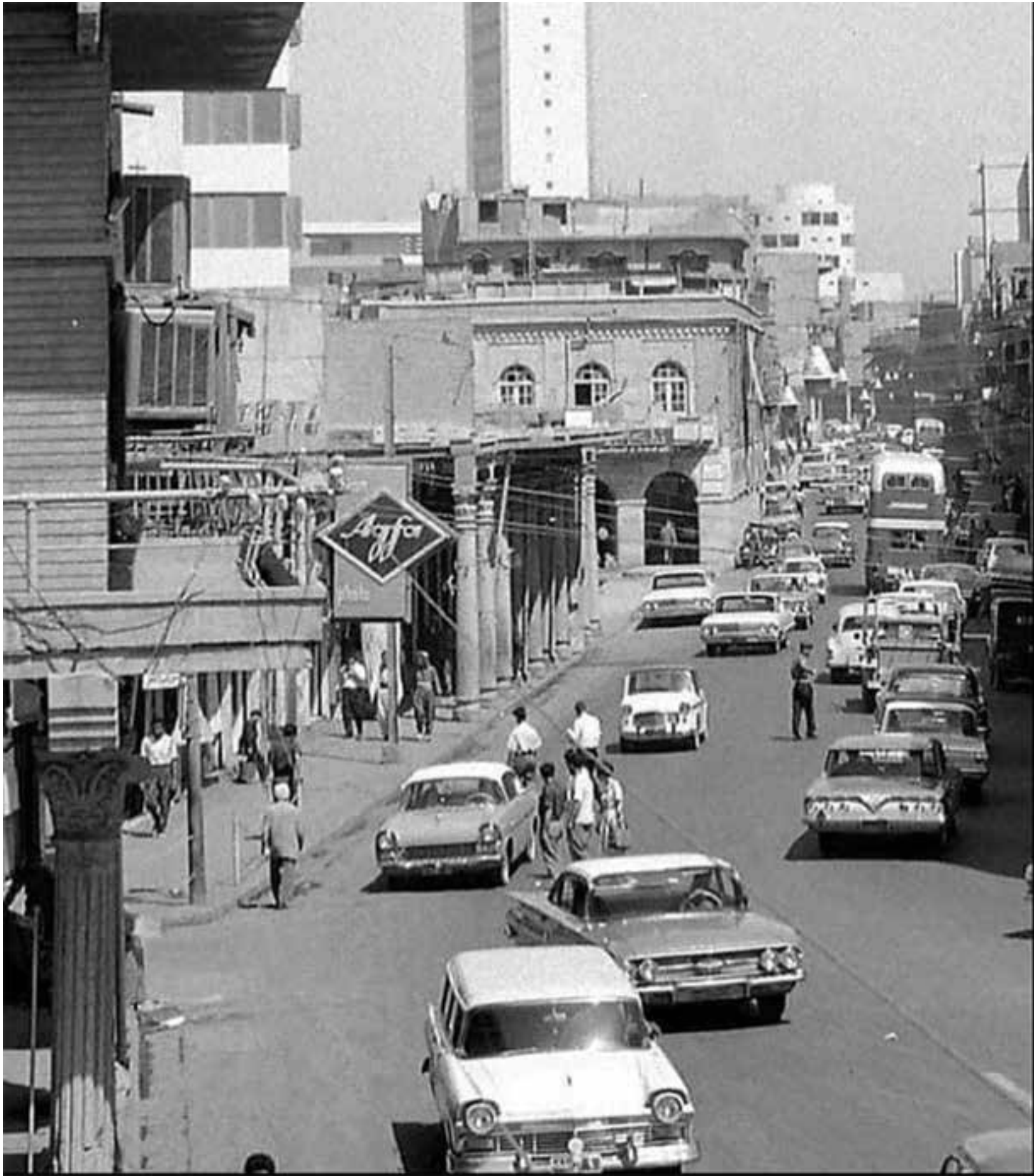


1957 شارع الرشيد
1957 شارع الرشيد
1959 شارع الرشيد، سوق الشورجة





شارع الرشيد، منطقة الشورجة 1957
شارع الرشيد، الخمسينات



ساحة الرصايف، ساحة الامين سابقا 1952

ساحة الرصايف، 2016

شارع الرشيد منطقة حافظ القاضي، 1957



شارع الرشيد 1960
شارع الرشيد 1966





ساحة القاضي، الستينات
ساحة القاضي، السبعينات
محلات اورزدي باك









فندق ريجنت بالاس . الخمسينات

شركة حسو اخوان، شارع الرشيد





ساحة الفردوس





شارع السعدون 1957
شارع السعدون 1957





شارع السعدون عام 1956
سينما الملك غازي، الباب الشرقي 1930







شارع السعدون 1961
شارع السعدون 1961
شارع السعدون 1970





شارع السعدون 1964
المطعم التركي 1984





شارع السعدون 1950
الباب الشرق 1957



عشوائية الاعلان

تعكس لوحات الإعلانات العامة والشخصية الذائقة ذات العلاقة بعمران المدينة وطبيعة العلاقات المهنية التي تتحكم بحركة الناس والقدرة على تلبية حاجتهم الضرورية، ان عقلية التزاحم على جذب الجمهور يرسم لنا عينات من القبح والفضوى البصرية.

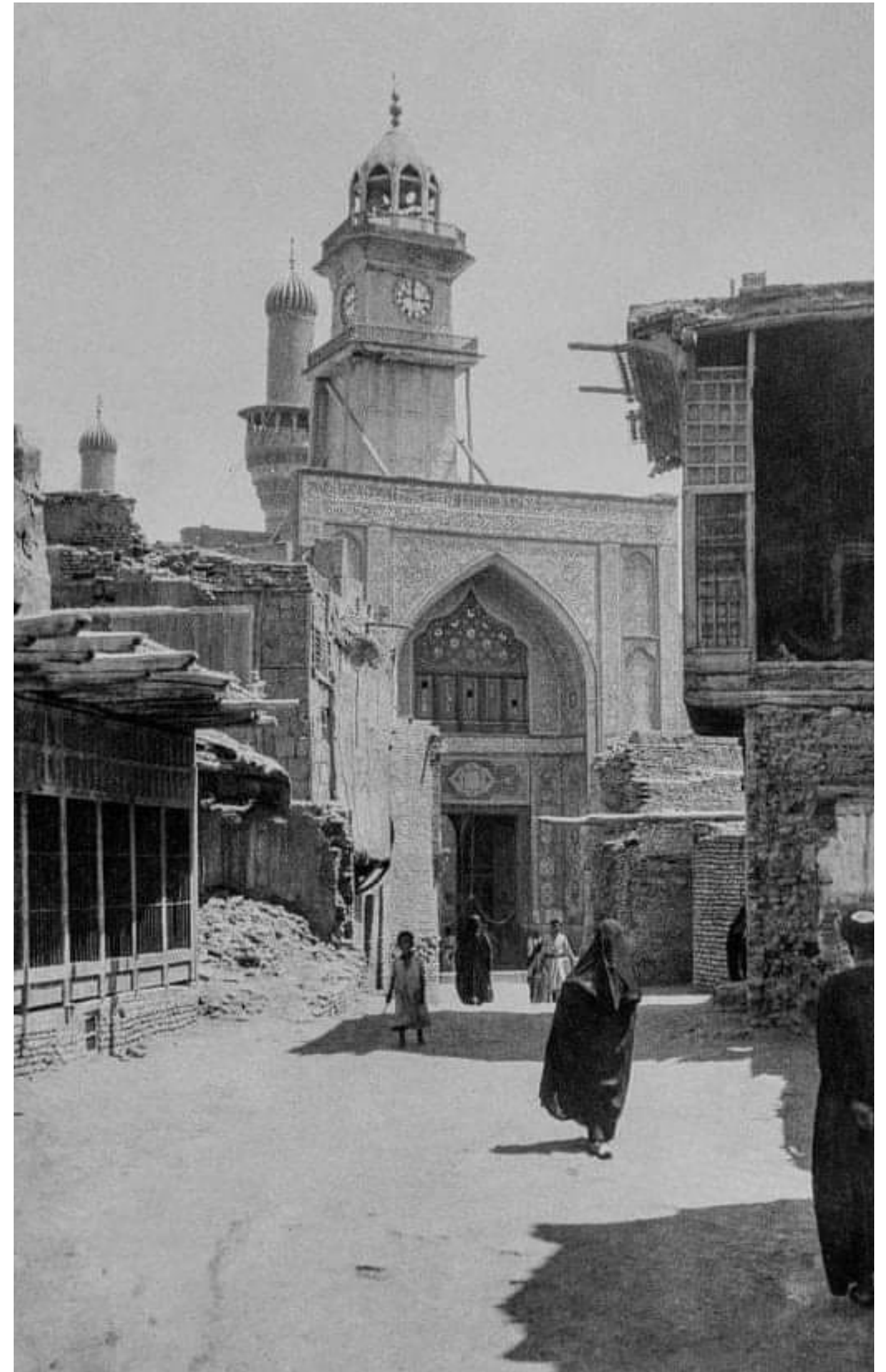
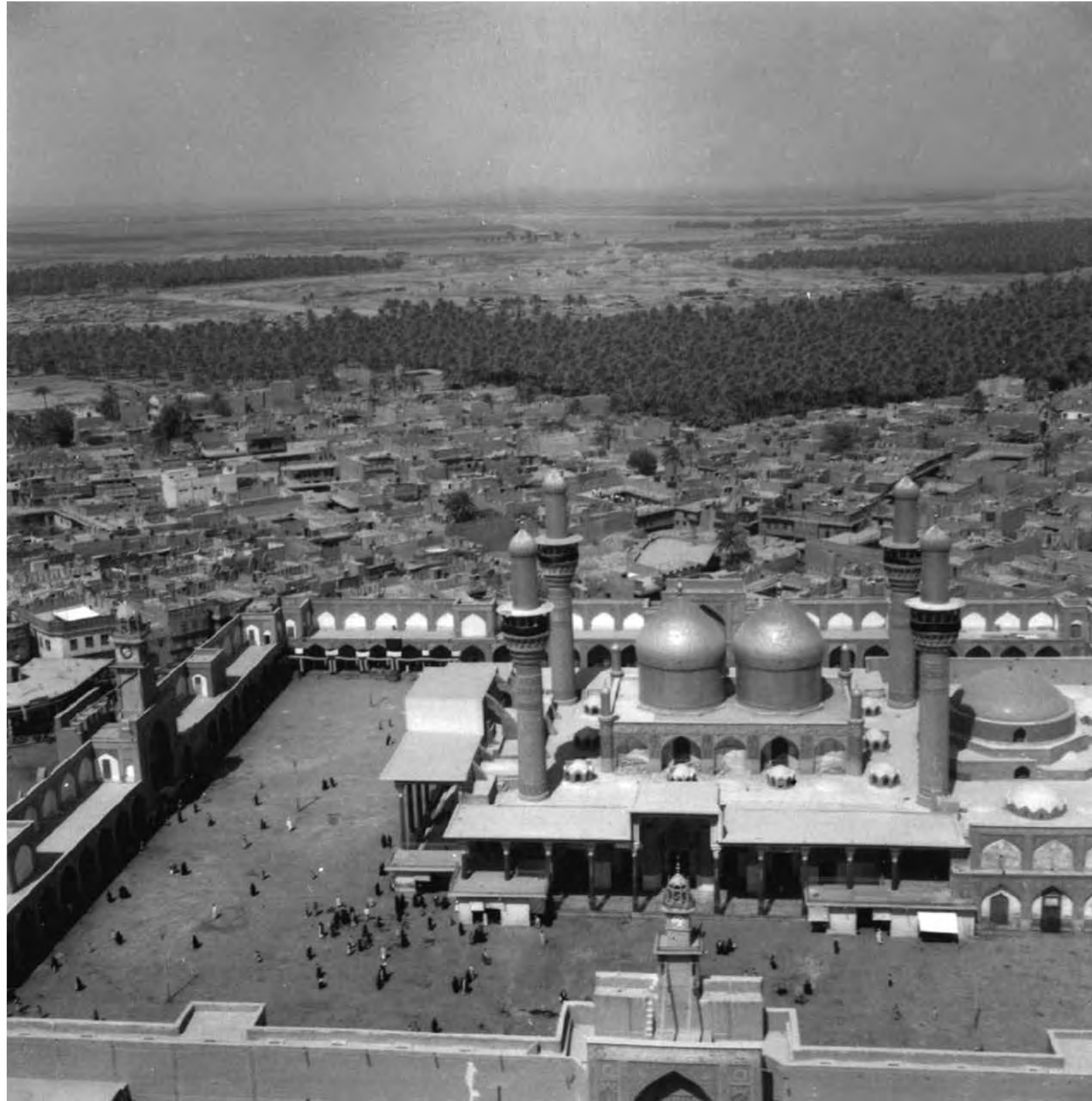






مدينة الكاظمية

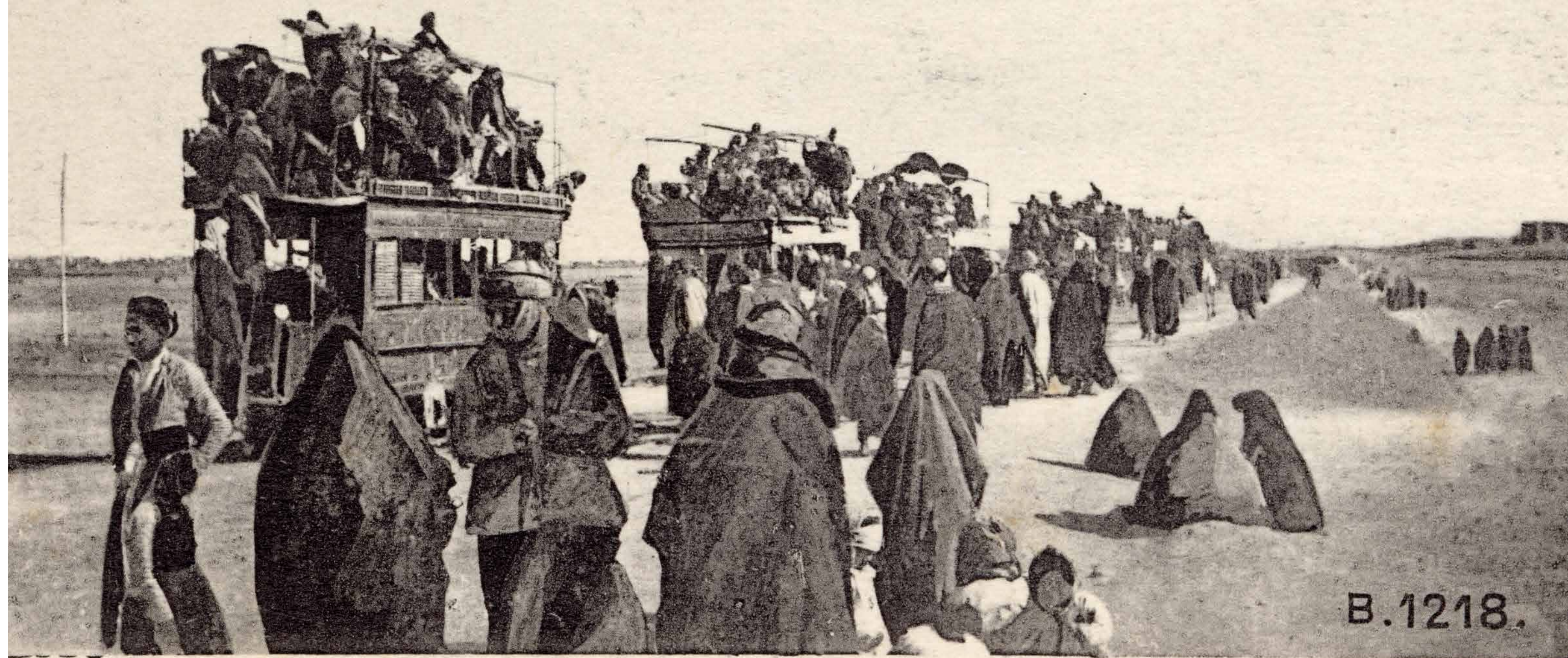
جامع موسى الكاظم 1910
جامع موسى الكاظم، تصوير لطيف العاني







جامع الامام موسى الكاظم
ساحة باب الدروازه. 1955



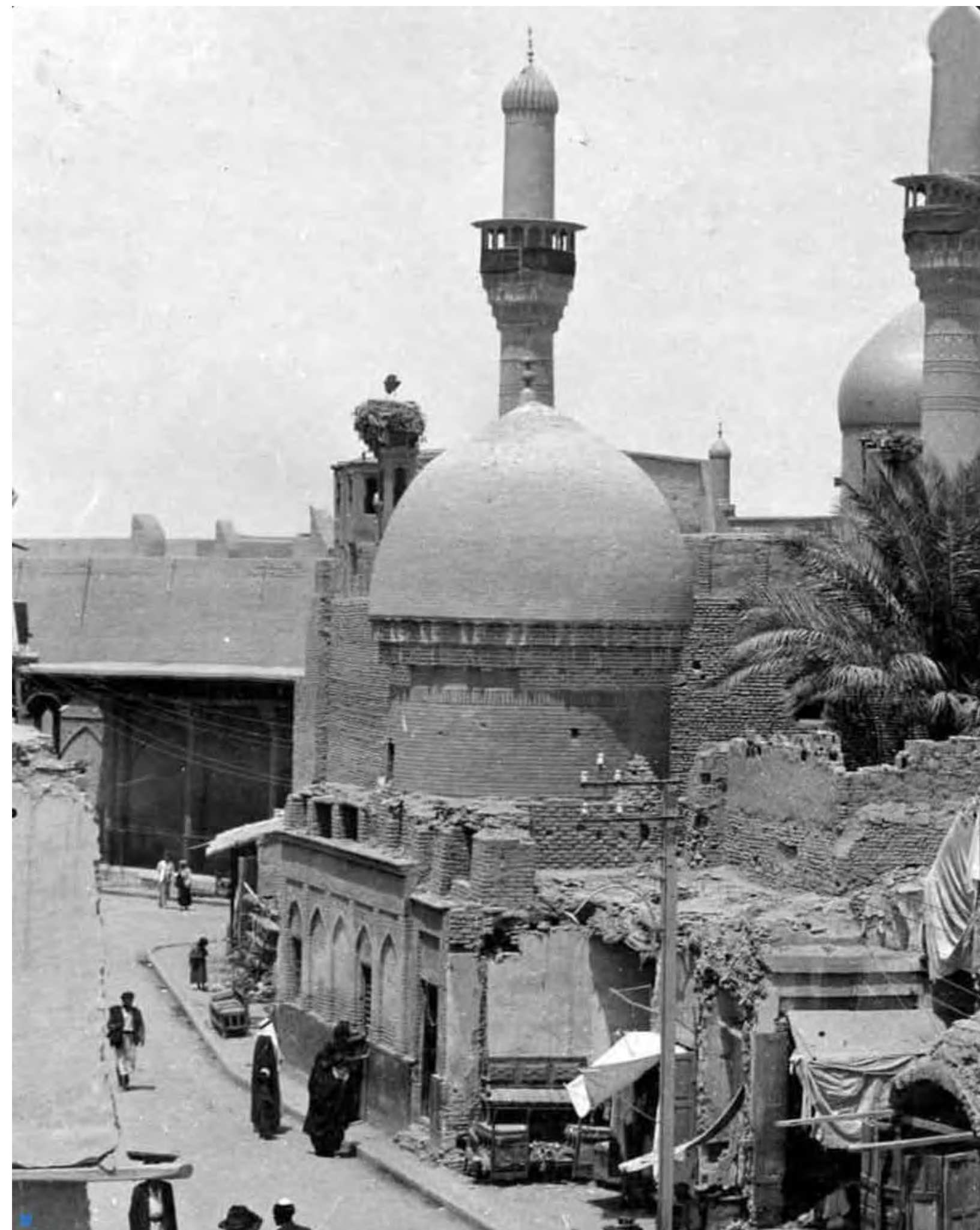
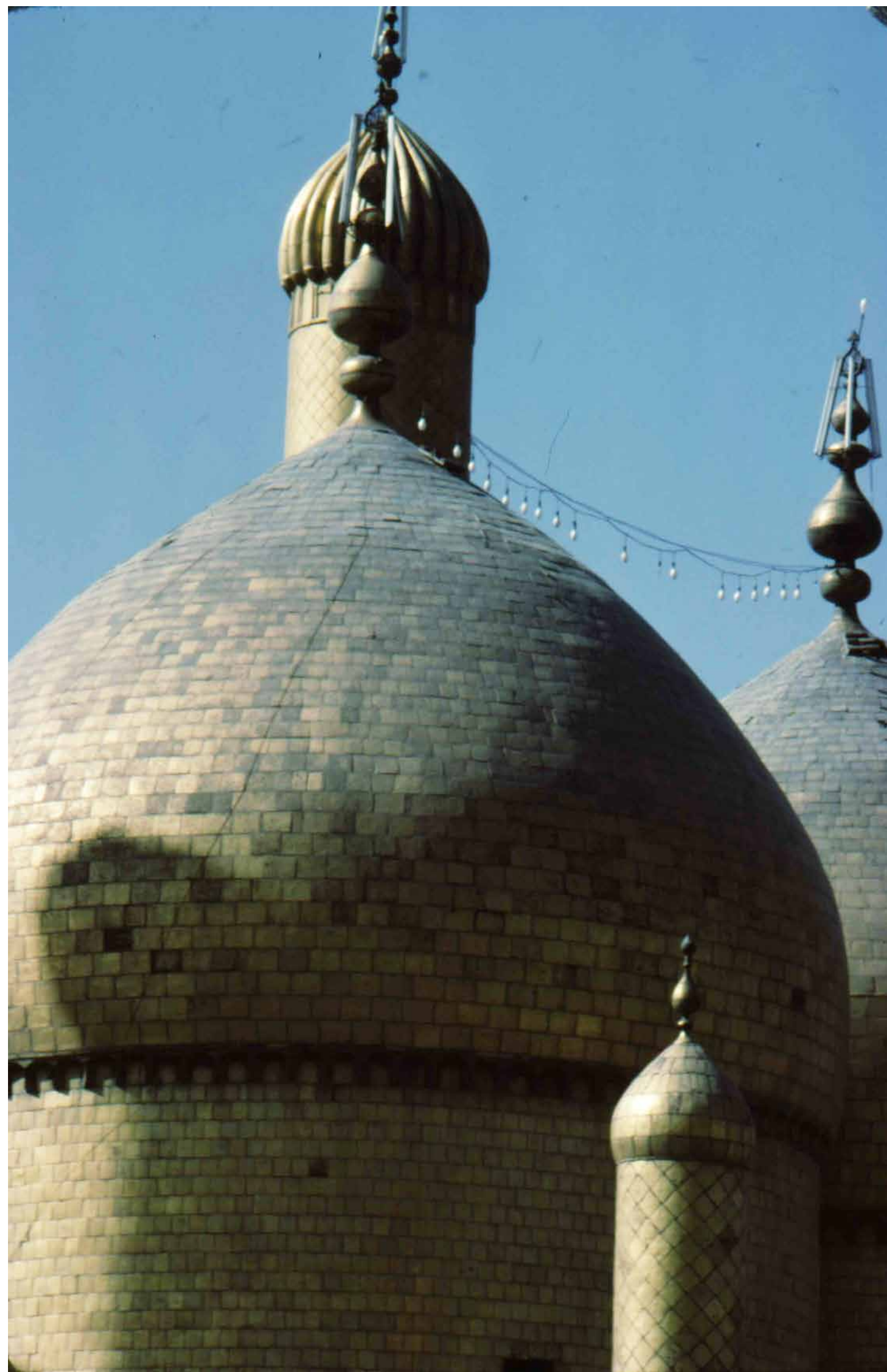
B.1218.



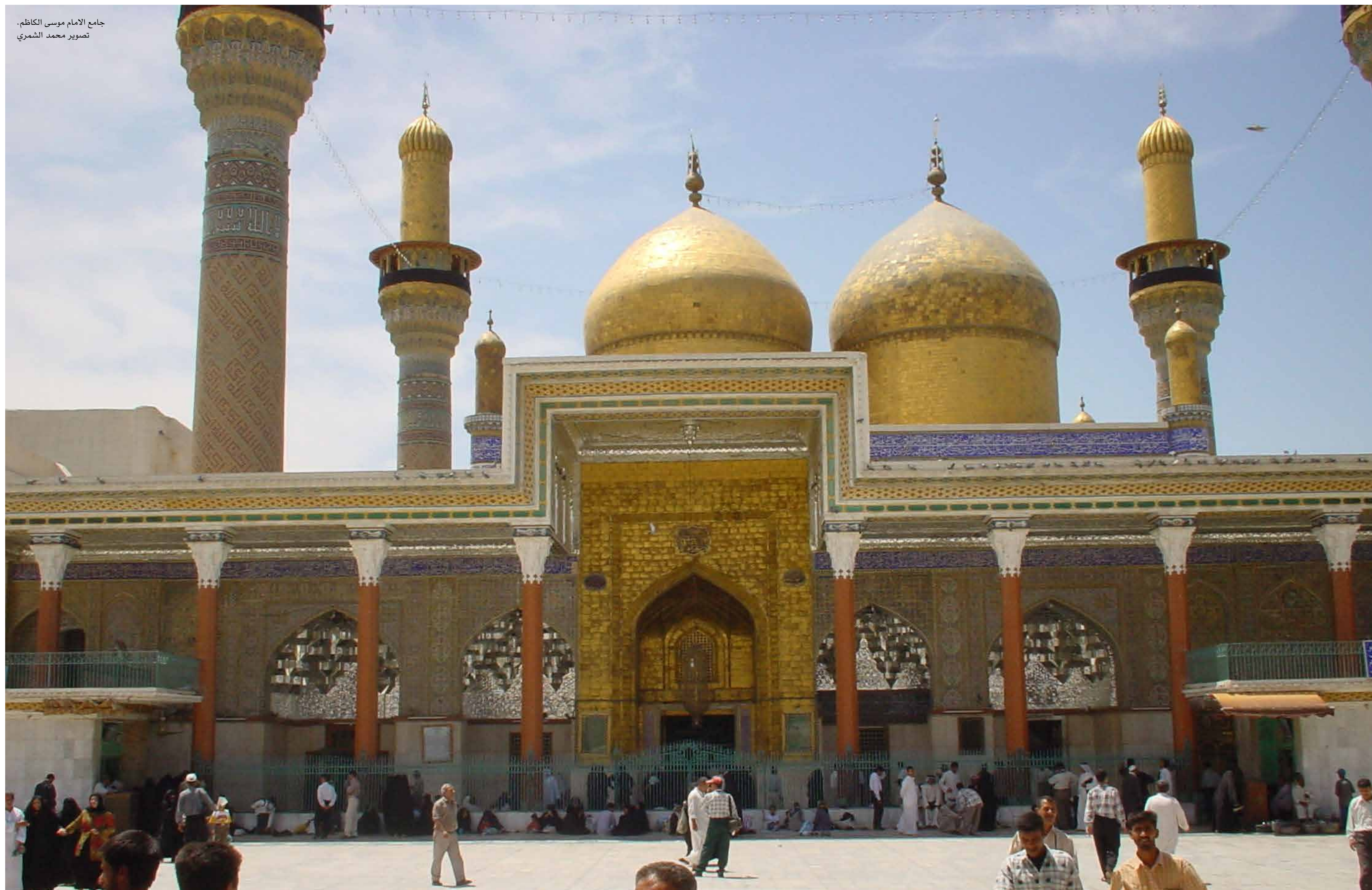
نخيل مدينة لكاظمية شارع السعدون 1961. تصوير لطيف العاني



الكاظمية . جامع الامام موسى الكاظم . تصوير لطيف العاني



مدينة الامام موسى الكاظم 1920







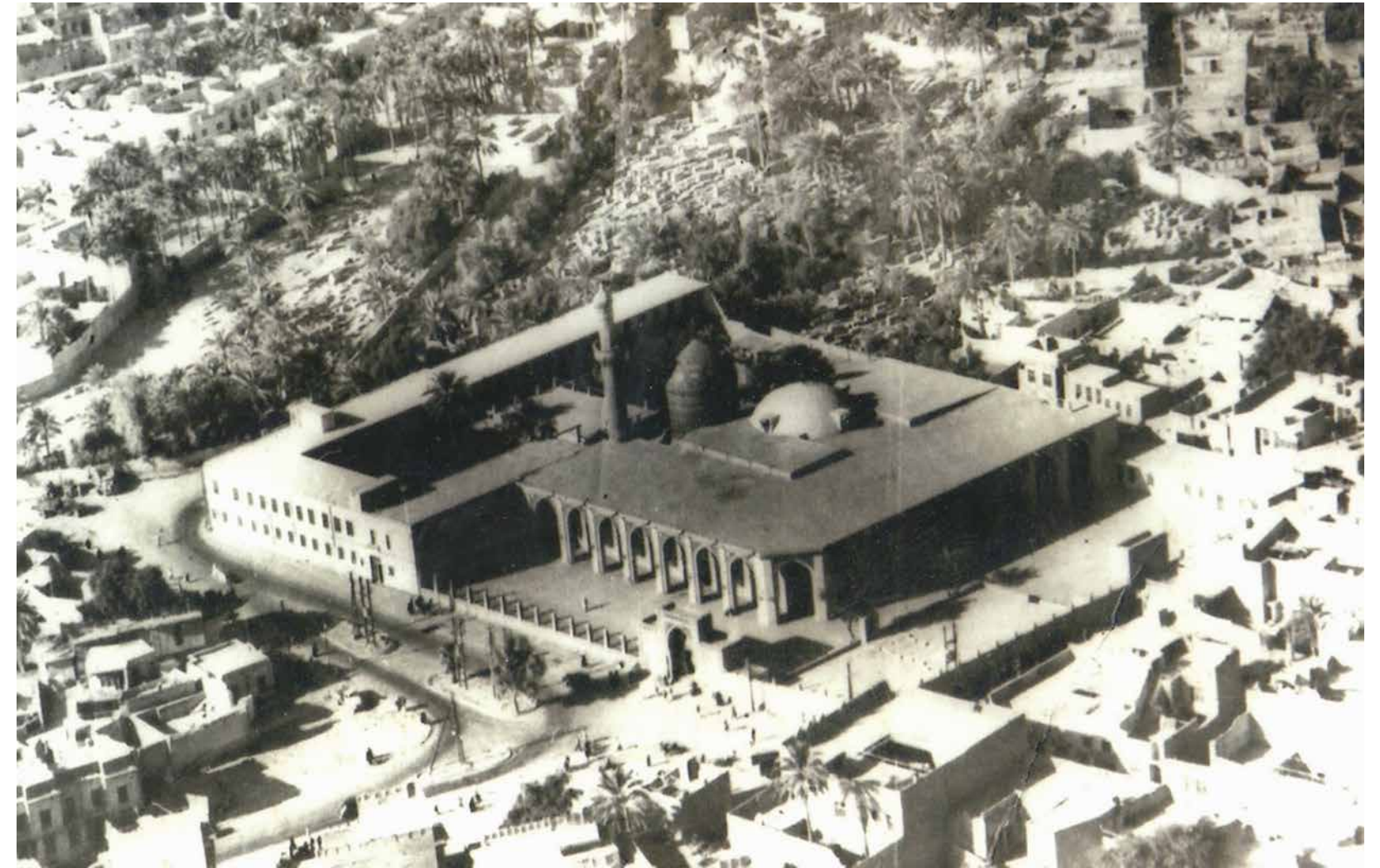
محطة كاري الكاظمية 1909

محطة كاري الكاظمية 1935



محطة كاري الكاظمية 1918

مدينة الأعظمية

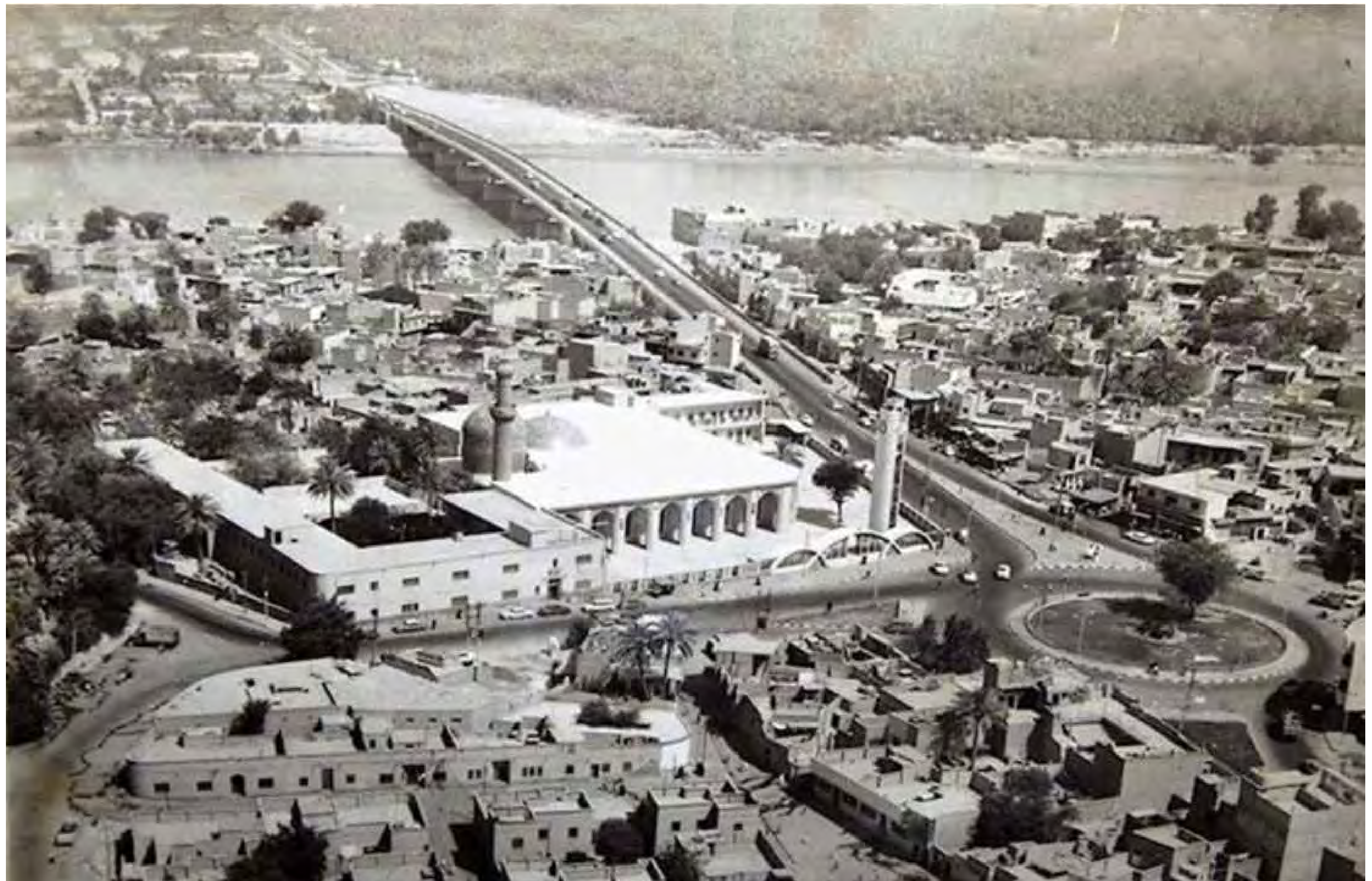


الامام ابي حنيفة النعمان

الامام ابي حنيفة النعمان 1909

الامام ابي حنيفة النعمان ، العشرينات





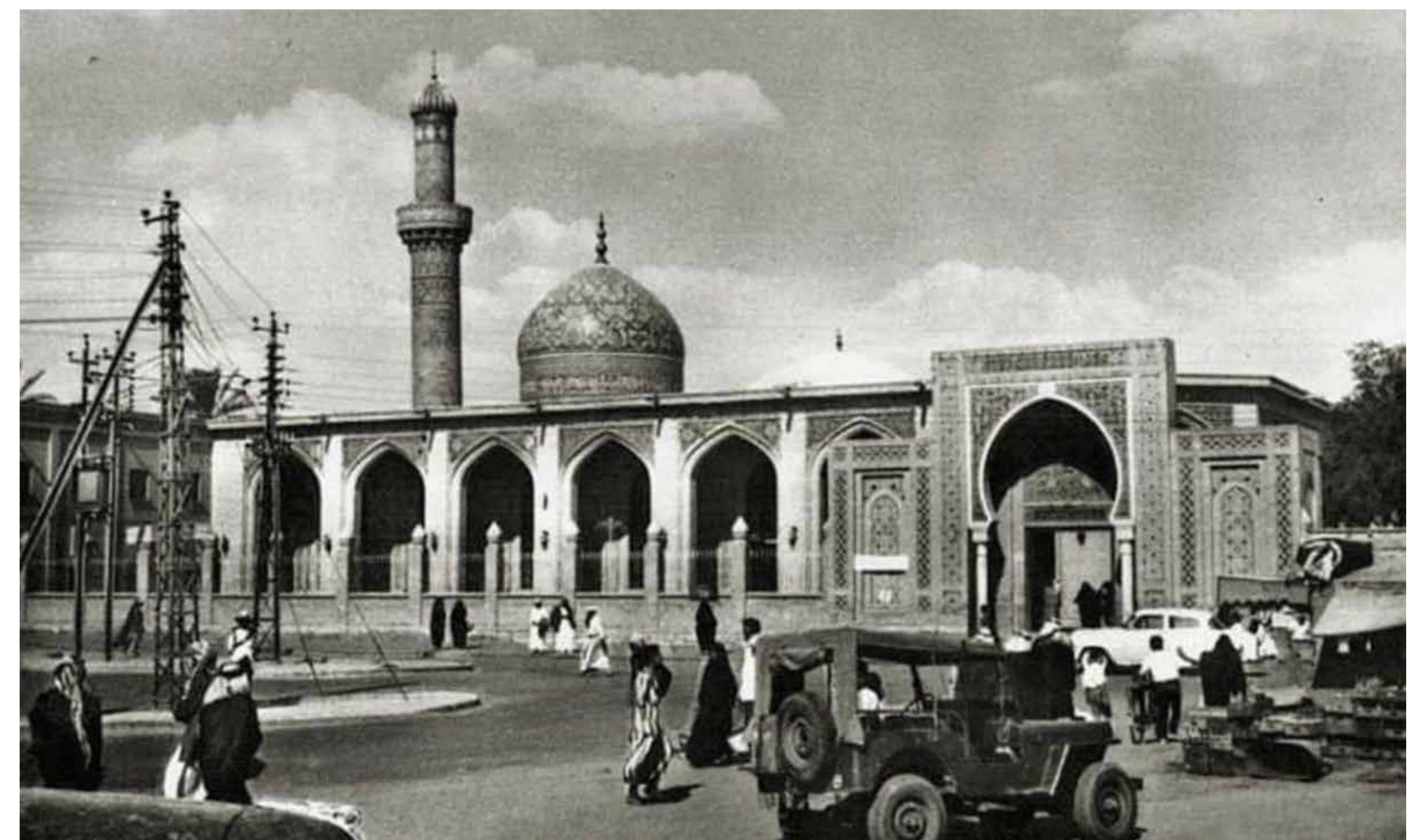
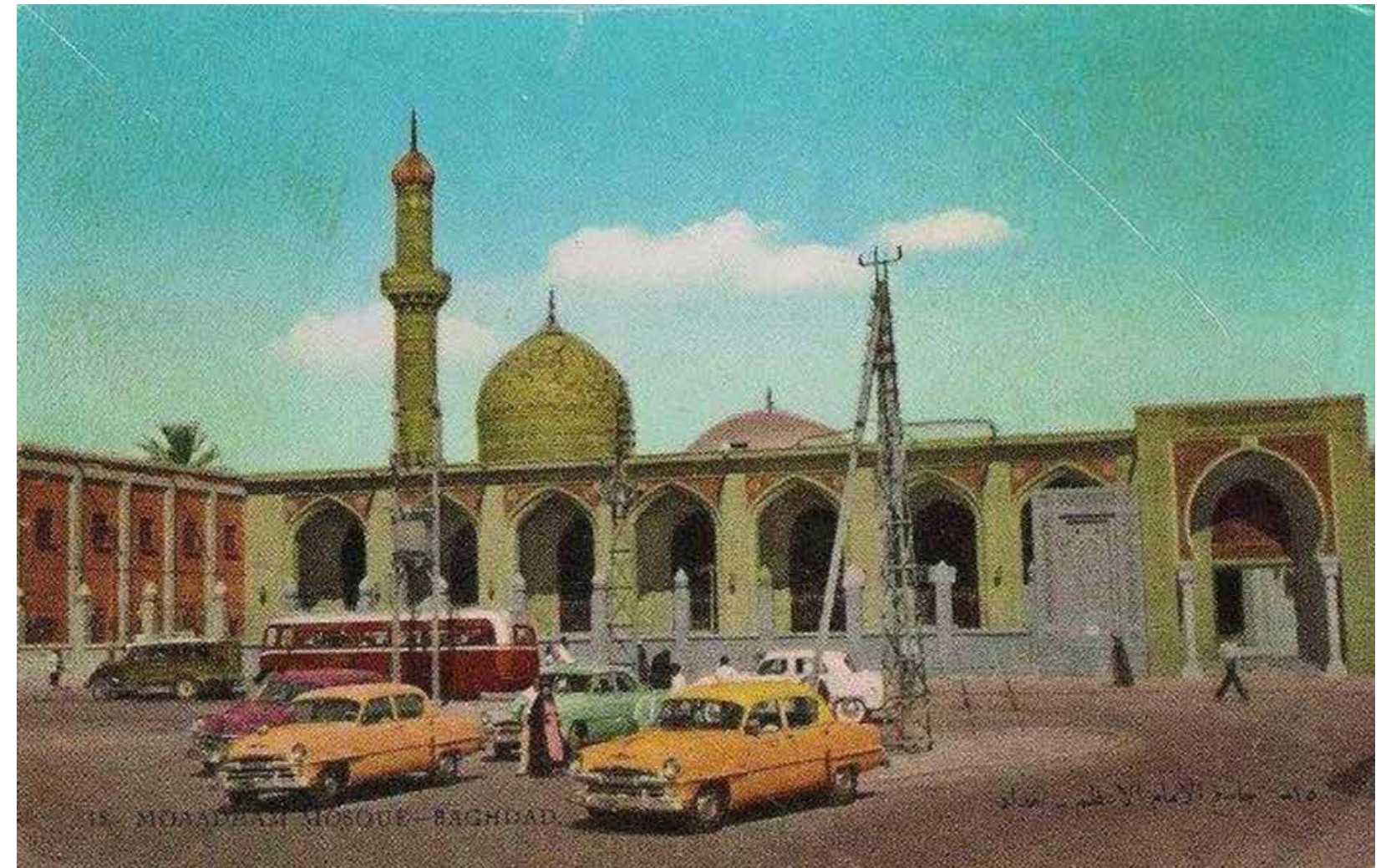


الامام ابي حنيفة النعمان

الامام ابي حنيفة النعمان 1954

شارع عمر بن عبد العزيز 1959

المقبرة الملكية. الاعظمية

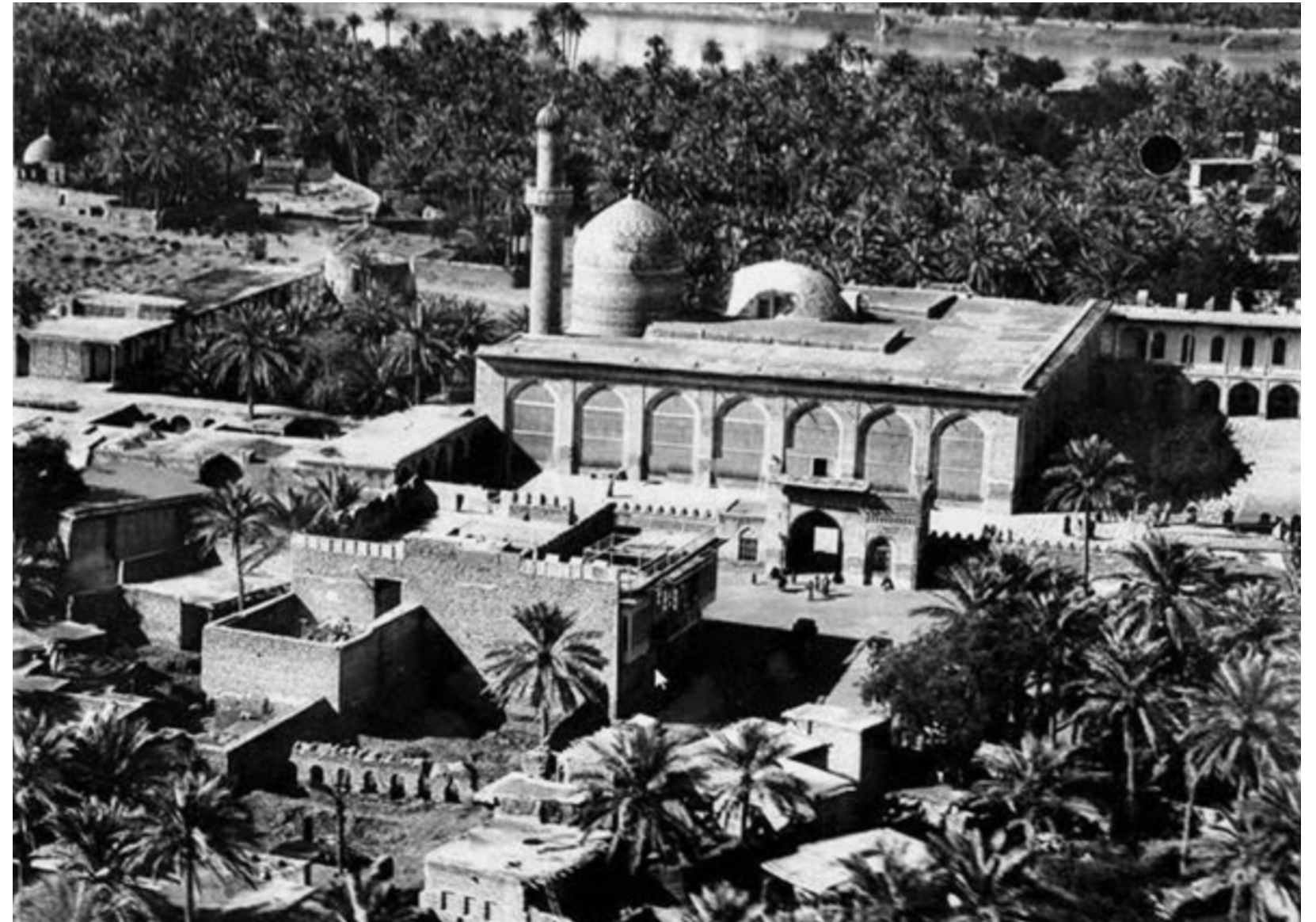




جامع الامام ابي حنيفة
وما حوله من مقبرة الخيزران

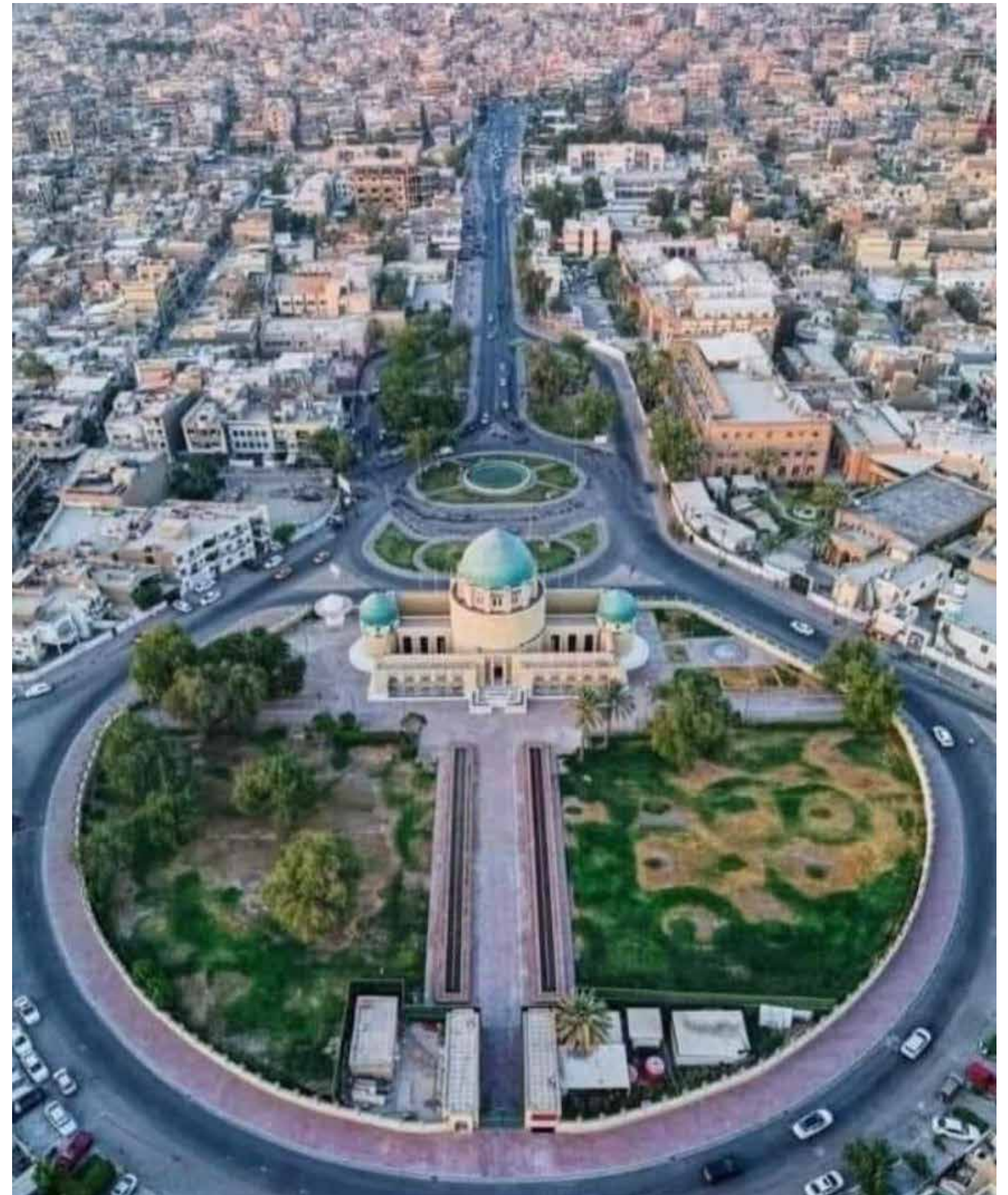
ضفاف دجلة، الاعظمية، 1920

الامام ابي حنيفة النعمان
تصوير لطيف العاني



مشهد عام لمدينة الاعظمية
جامع الامام ابي حنيفة 1935



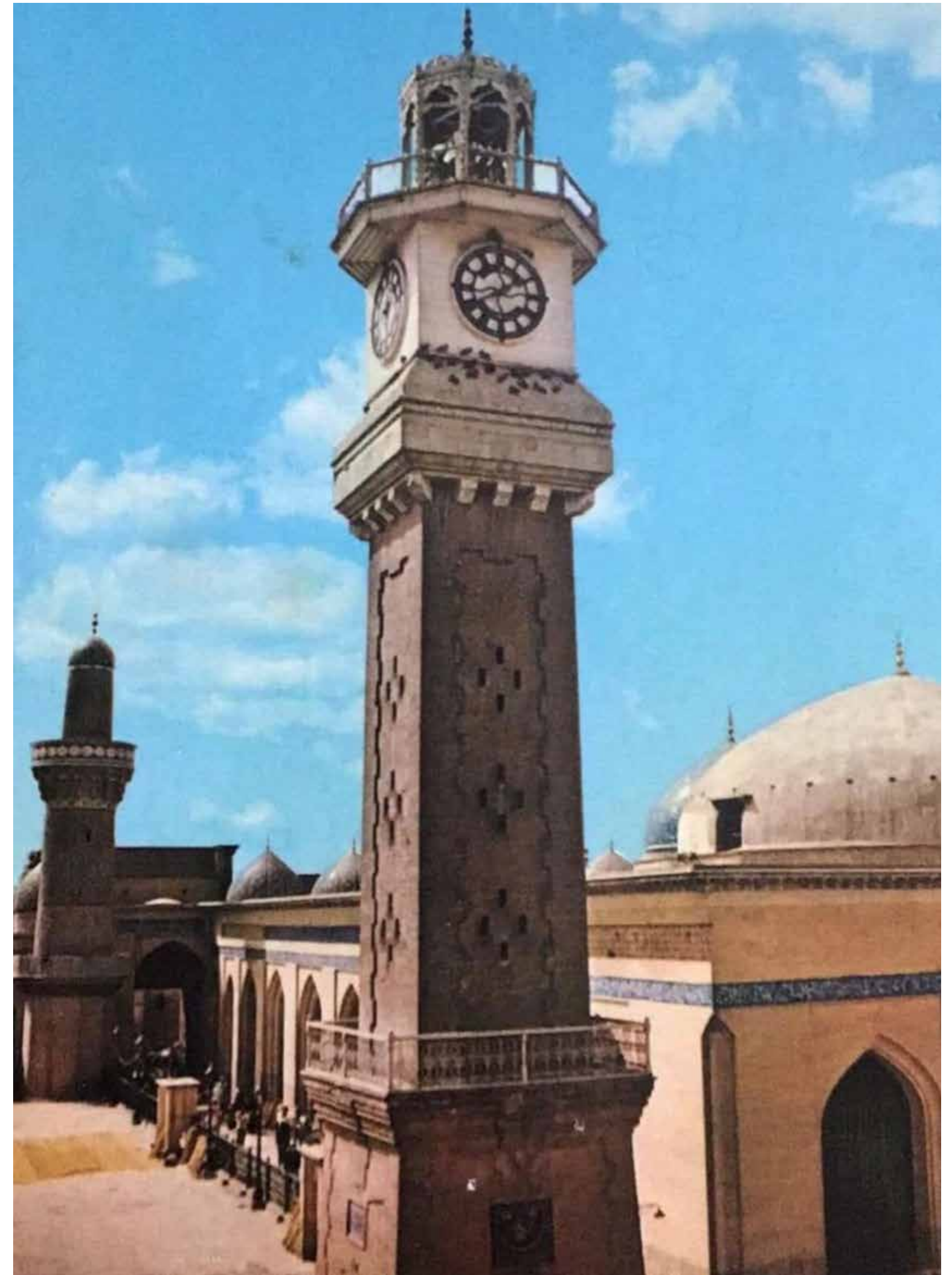
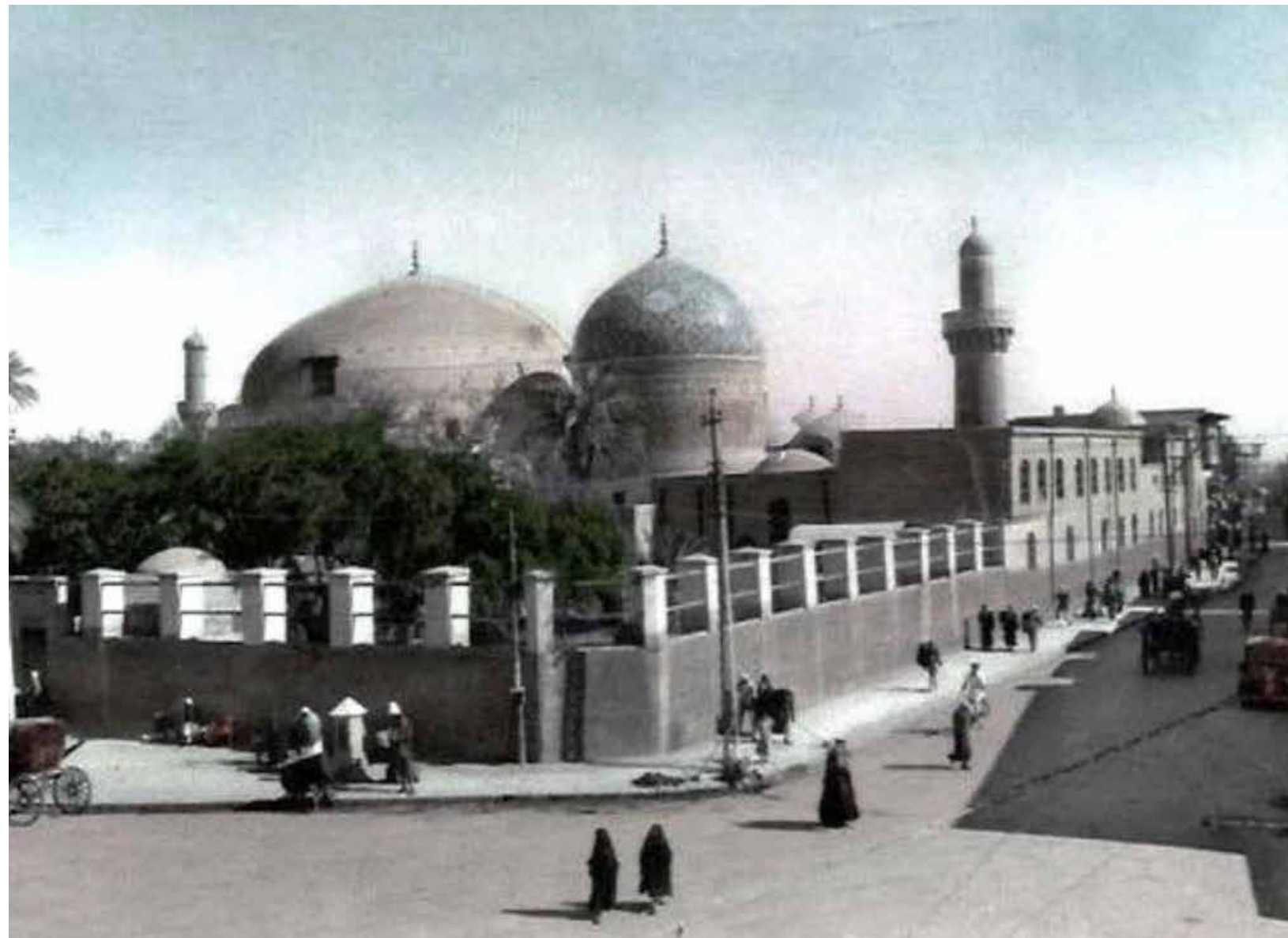


منظر جوي لمدينة الاعظمية.

عبد القادر الكيلاني

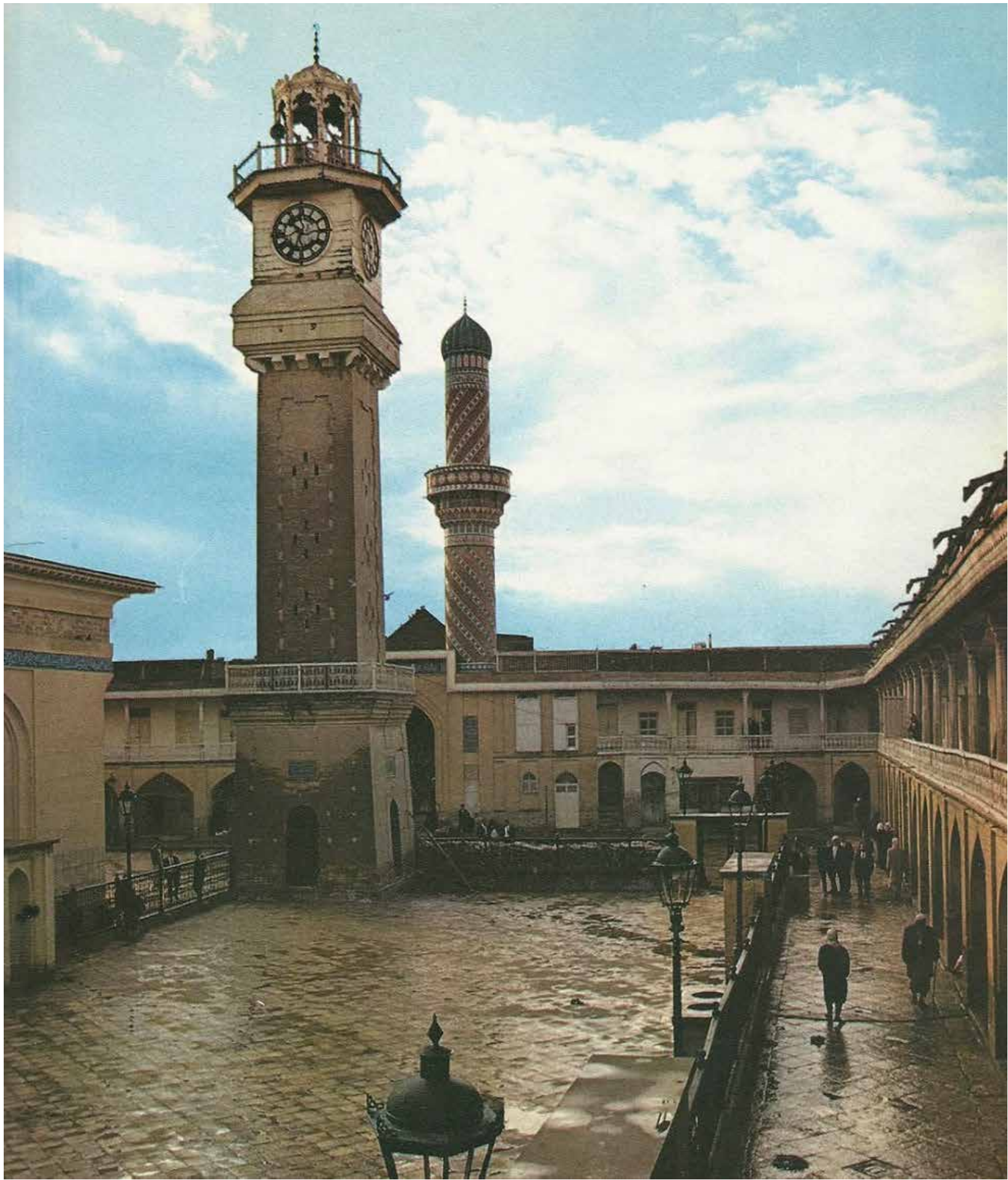


ساعة ضريح الامام عبد القادر الكيلاني
جامع الامام عبد القادر الكيلاني





ضريح الامام عبد القادر الكيلاني



ضريح الامام عبد القادر الكيلاني

شواهد تاريخية

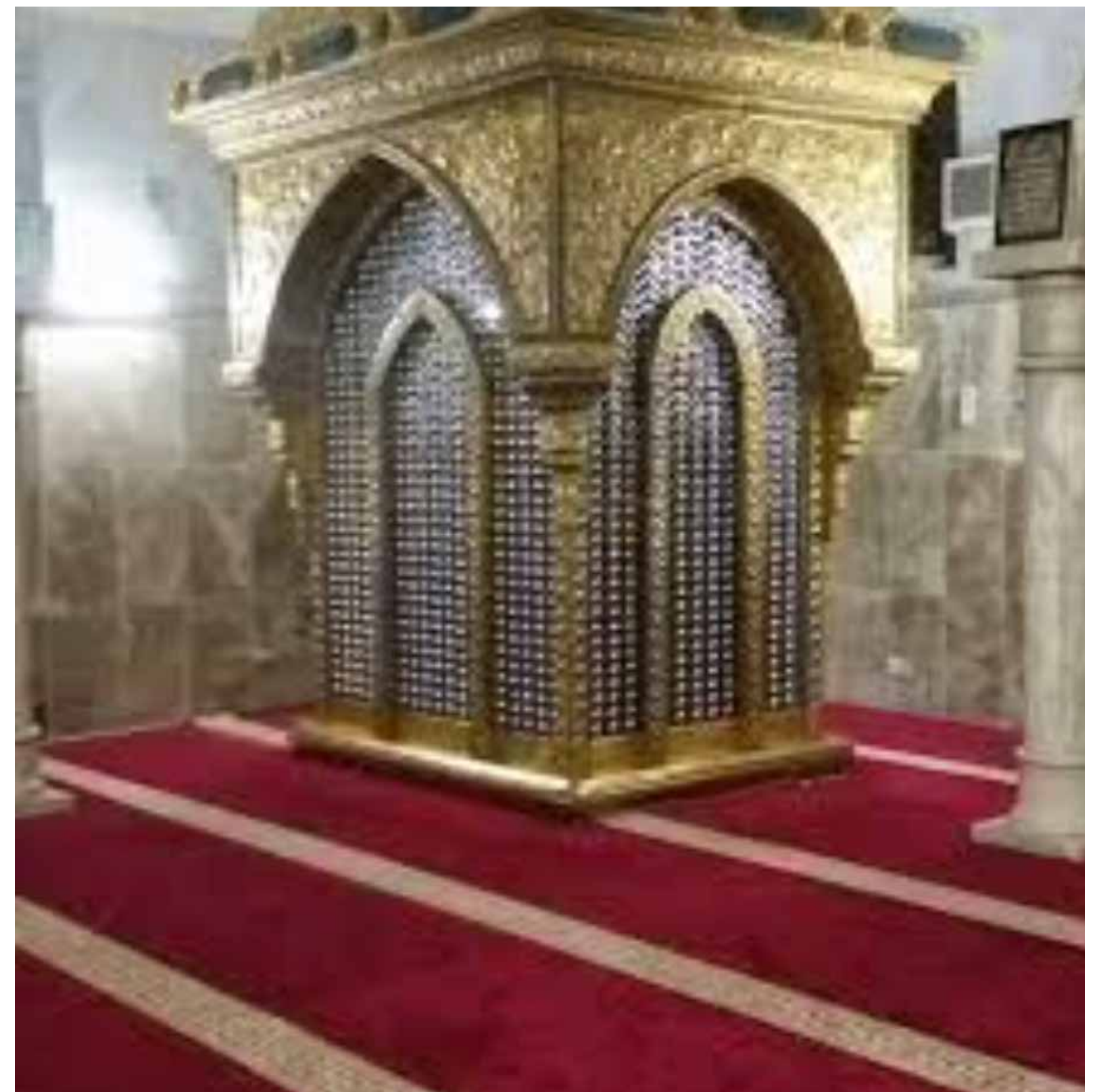
قبر زمرد خاتون 1841 . تصوير 1932
مرقد جنيد البغدادي . تصوير محمد الشمري





مرقد عمر السهروردي.
تصوير محمد الشمري
ضريح المتصوف الحلاج، بغداد





ضريح الشيخ معروف الكرخي. بغداد

كنيسة سوروب اسدوازين الارمنية. بغداد
تصوير محمد الشمري

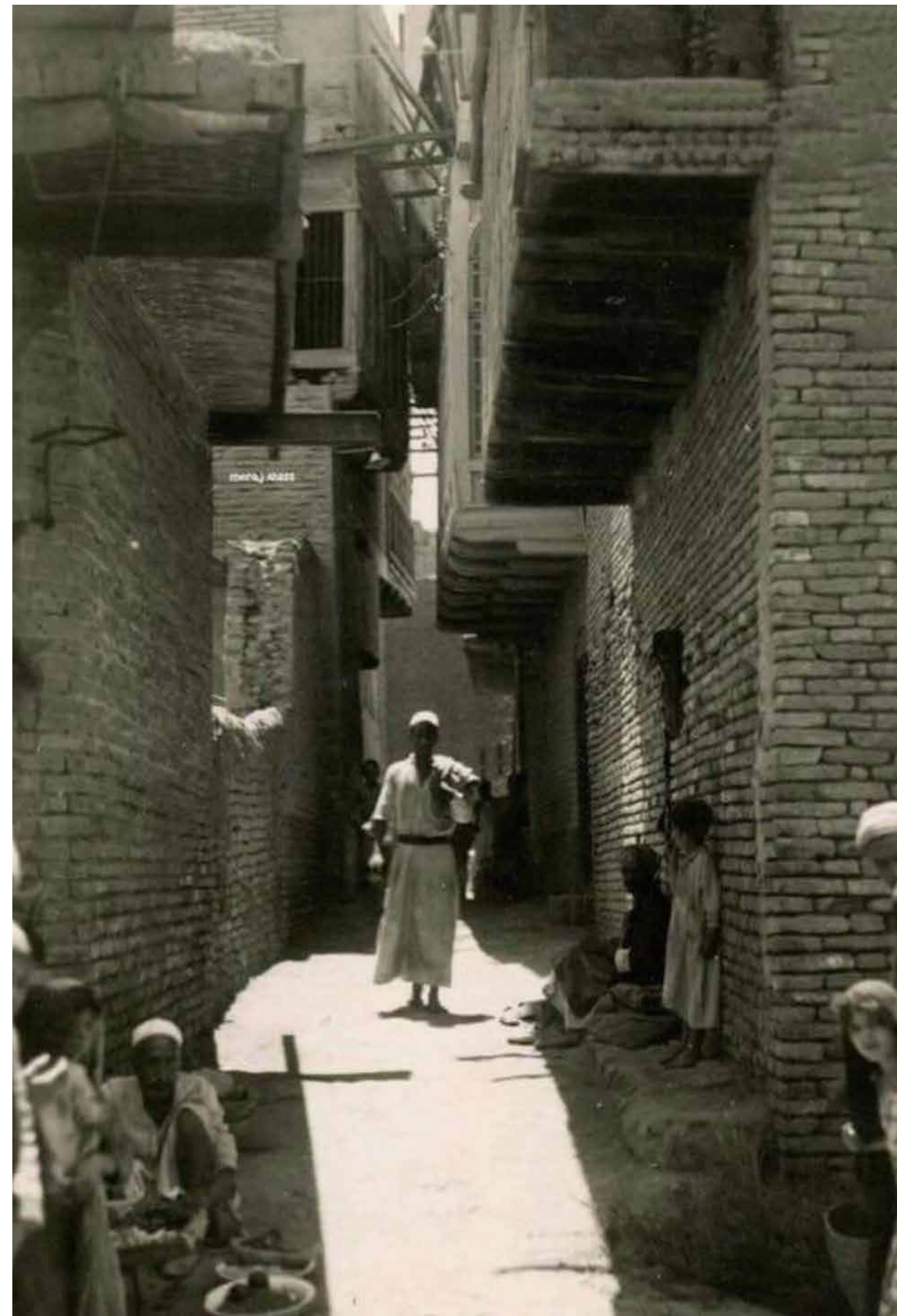
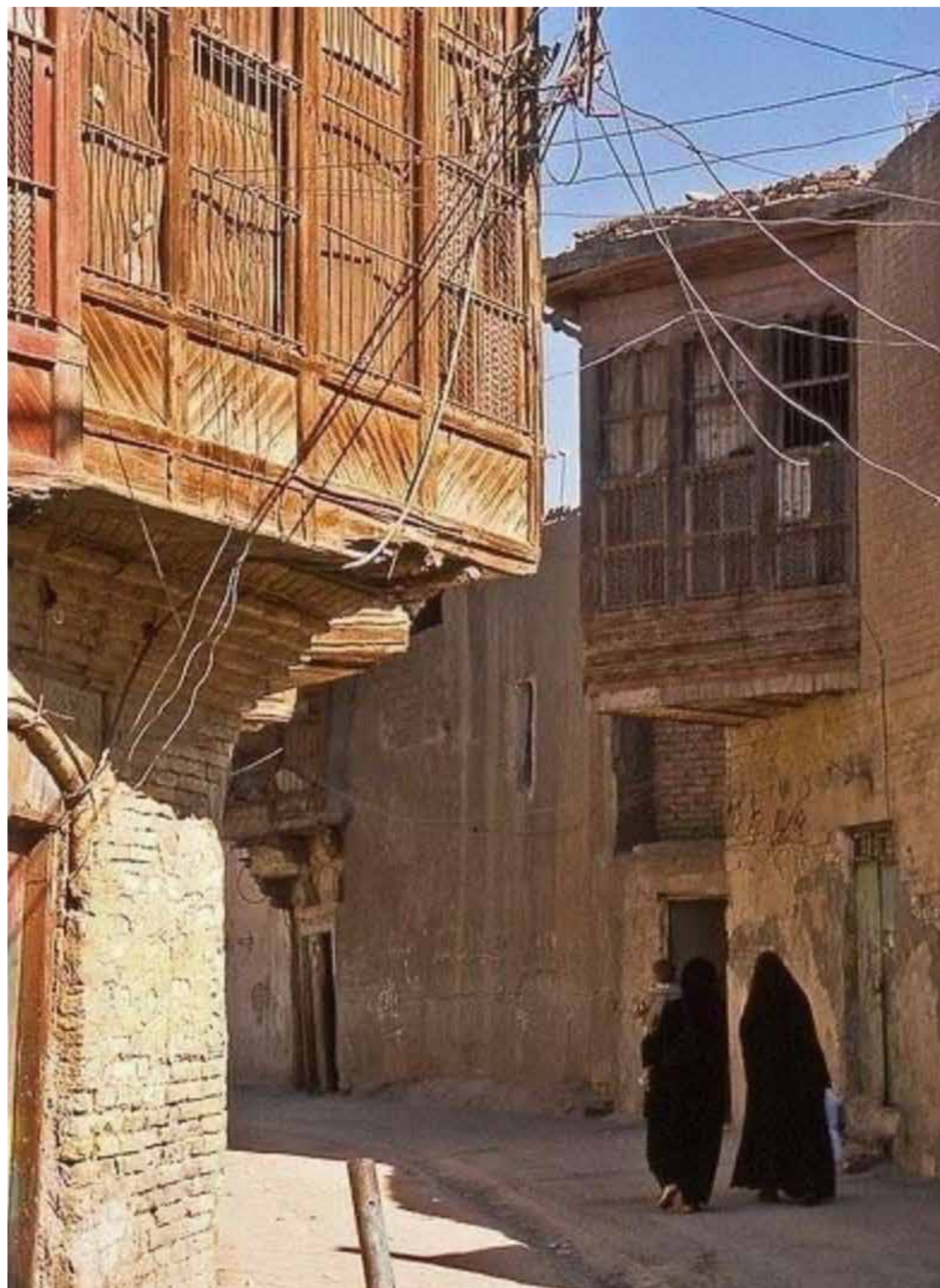


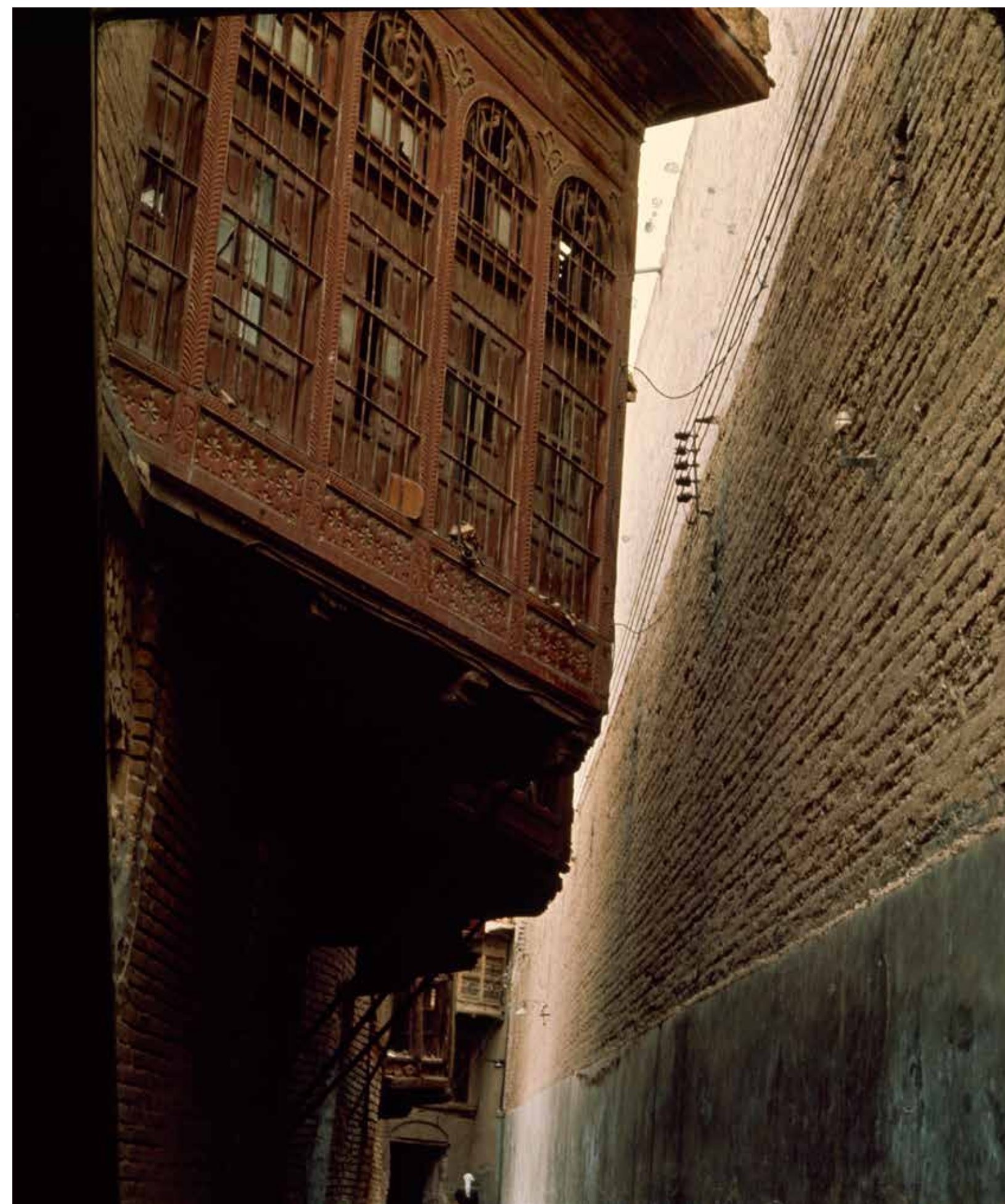
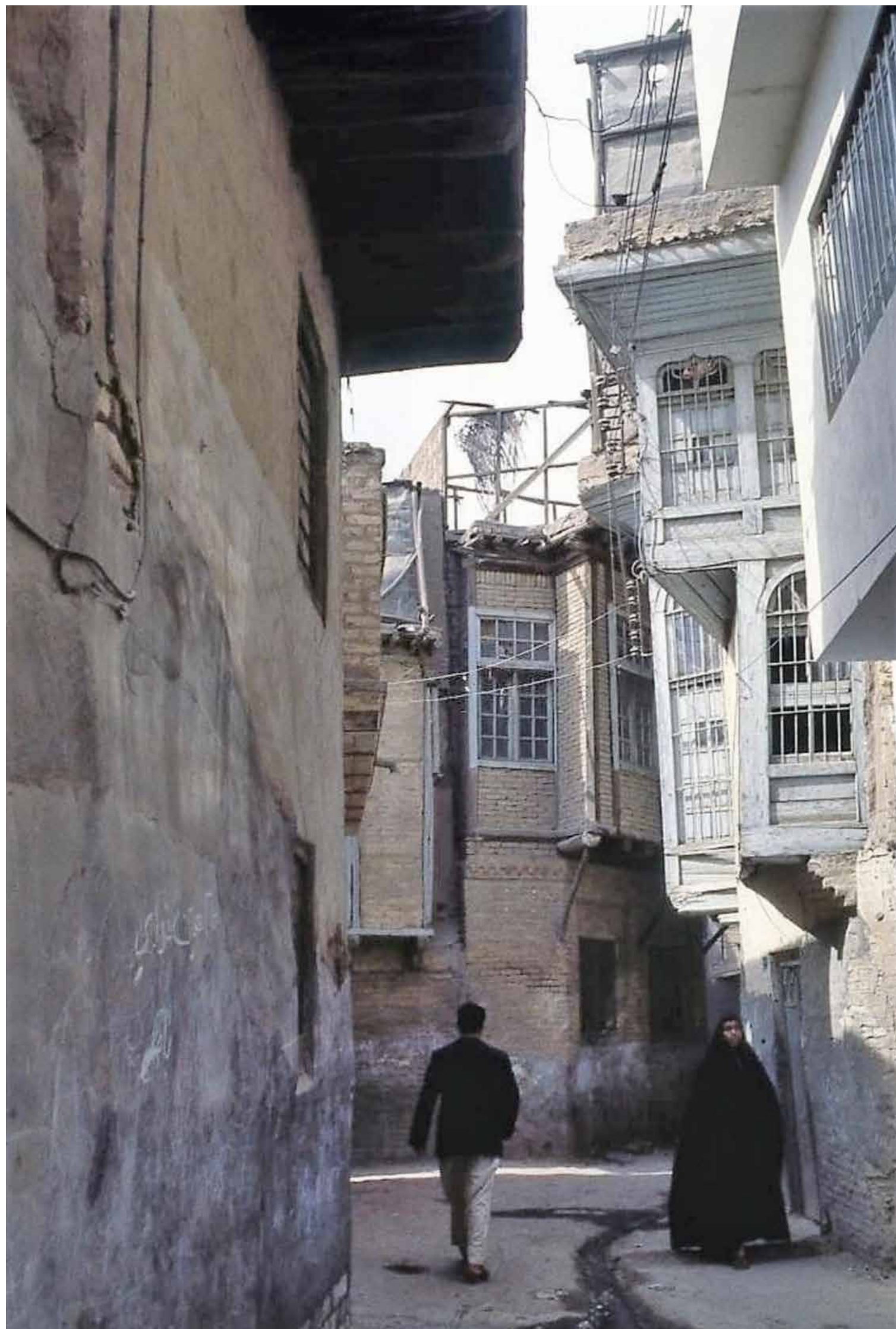
كنيسة كلية بغداد . رغبة خاتون . تصوير محمد الشمري

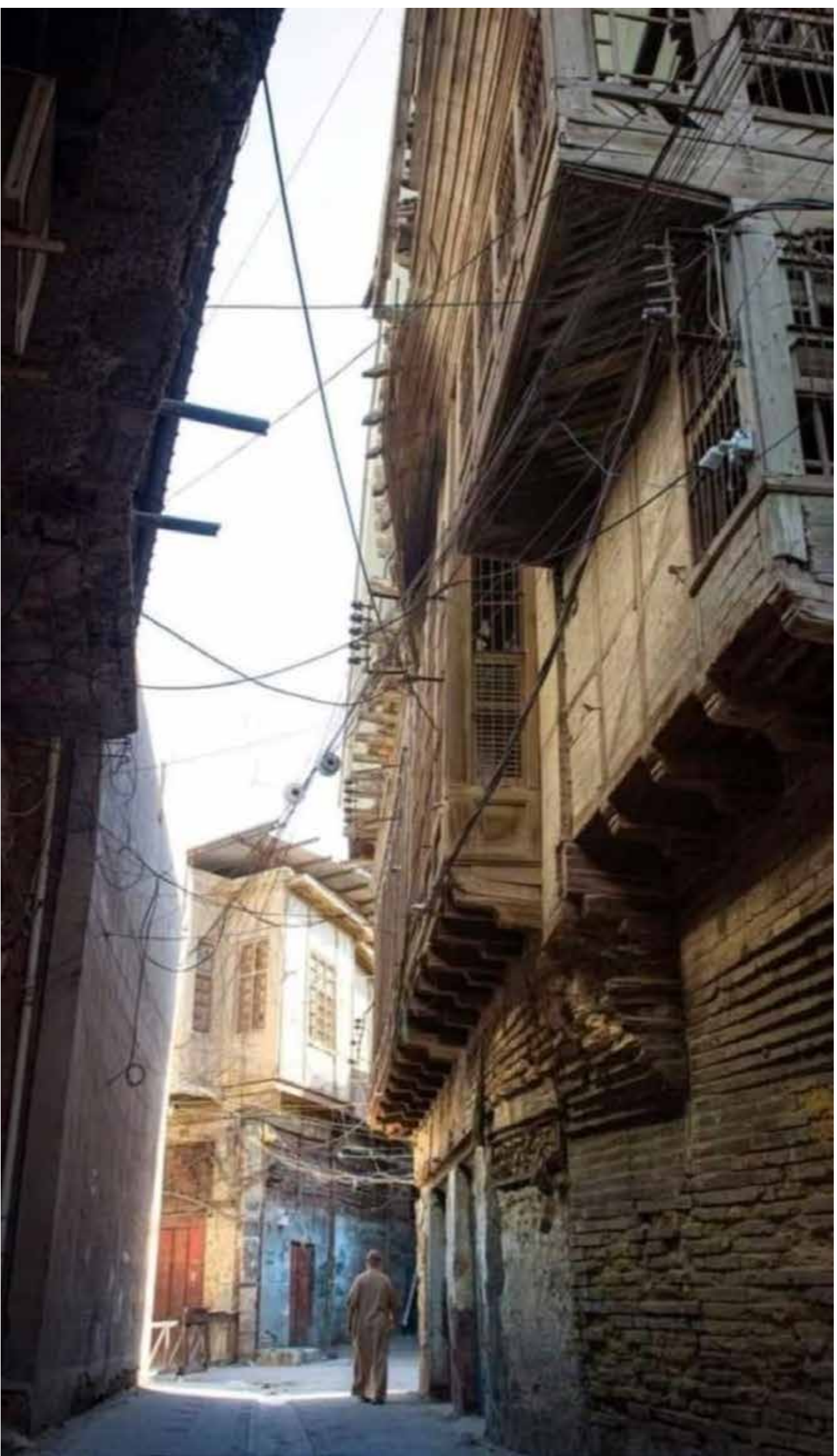
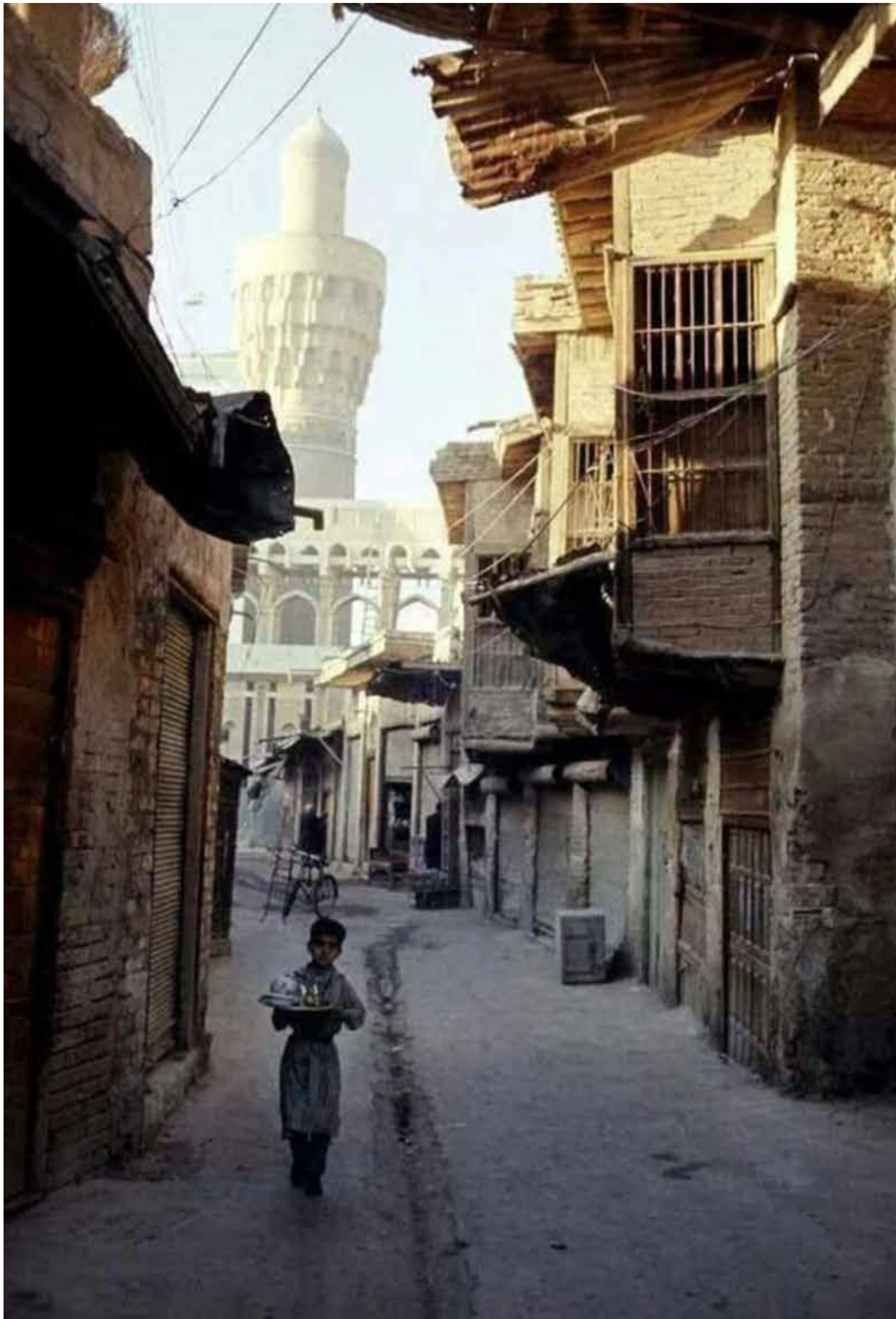


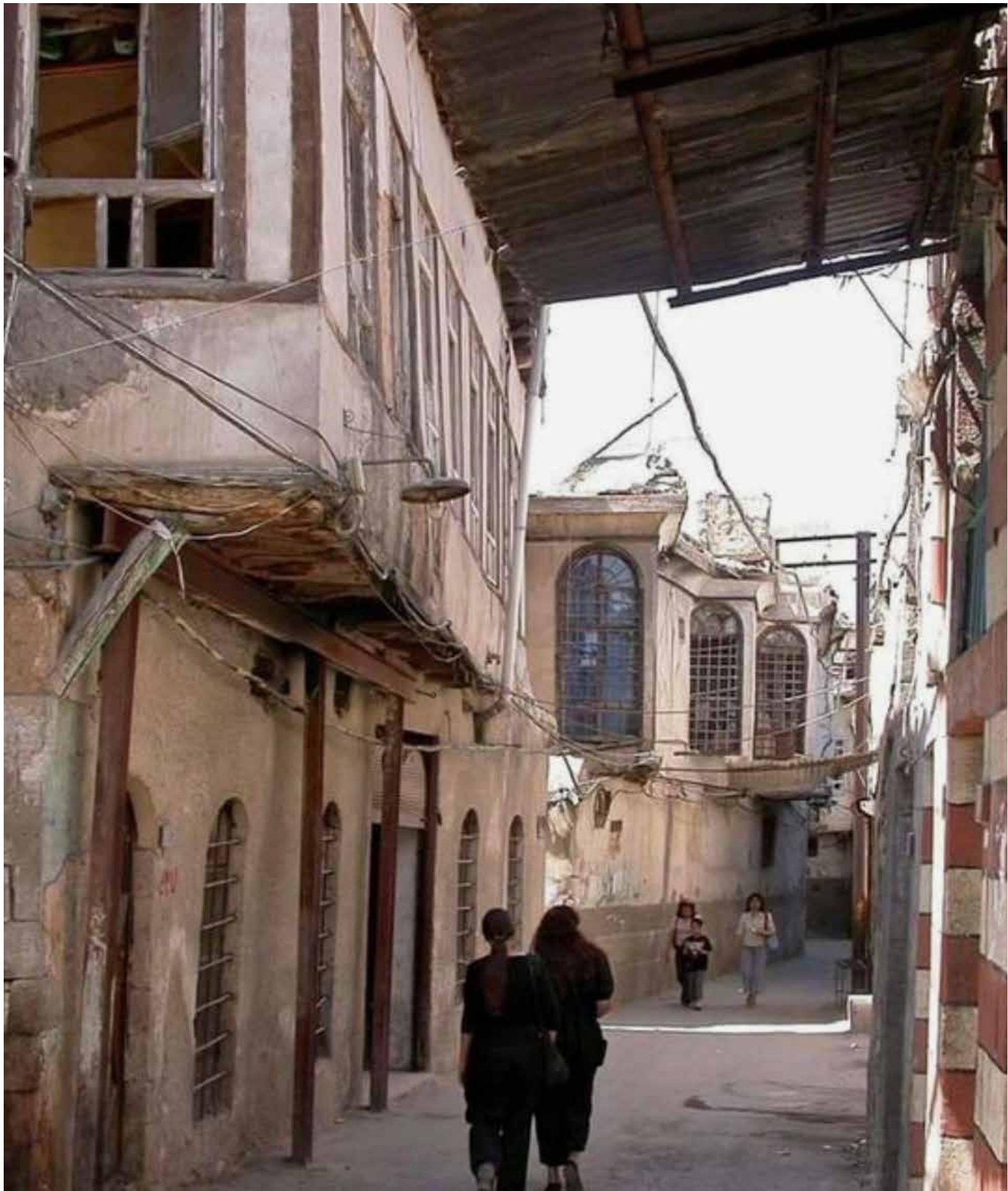
محلات قديمة







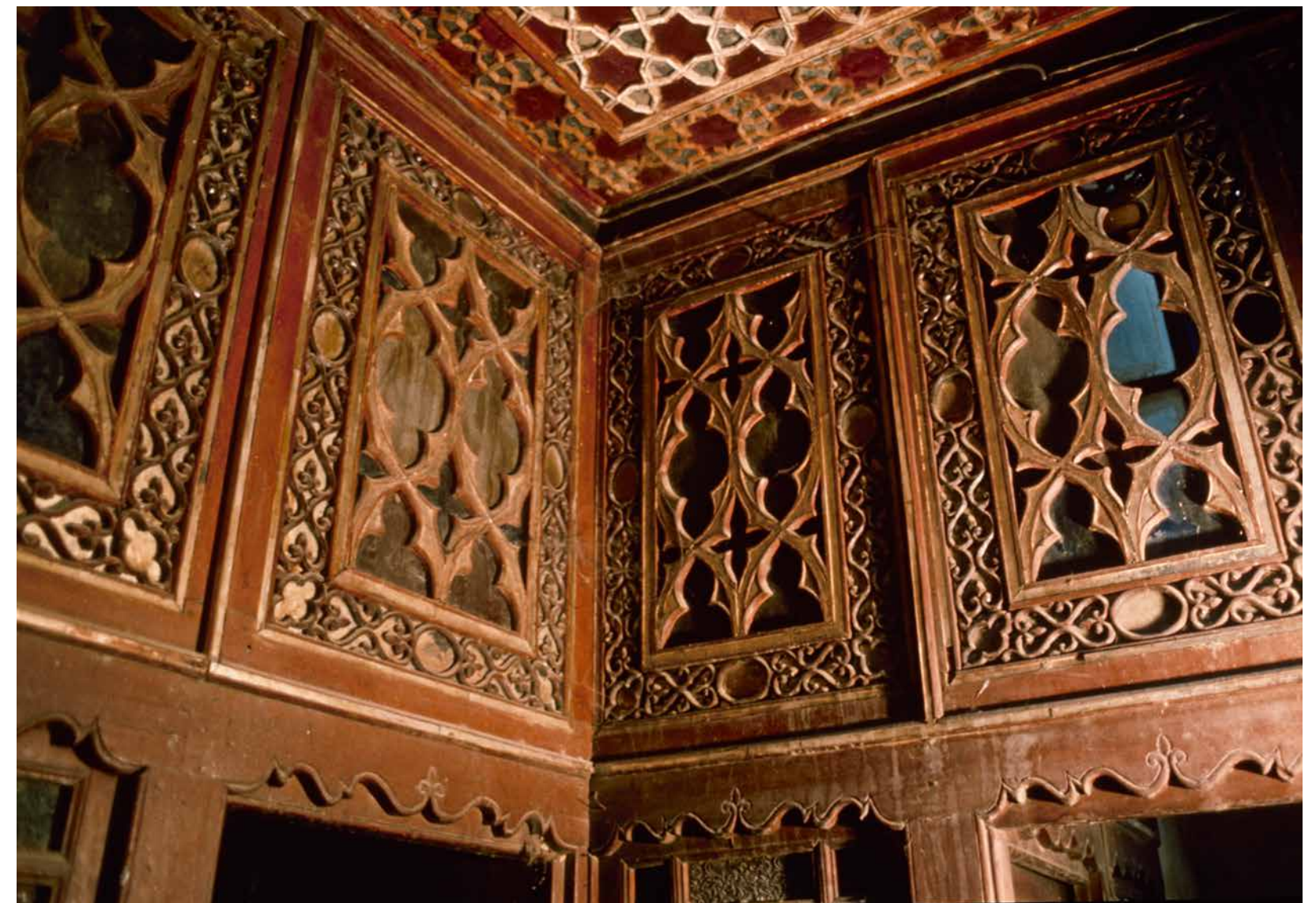
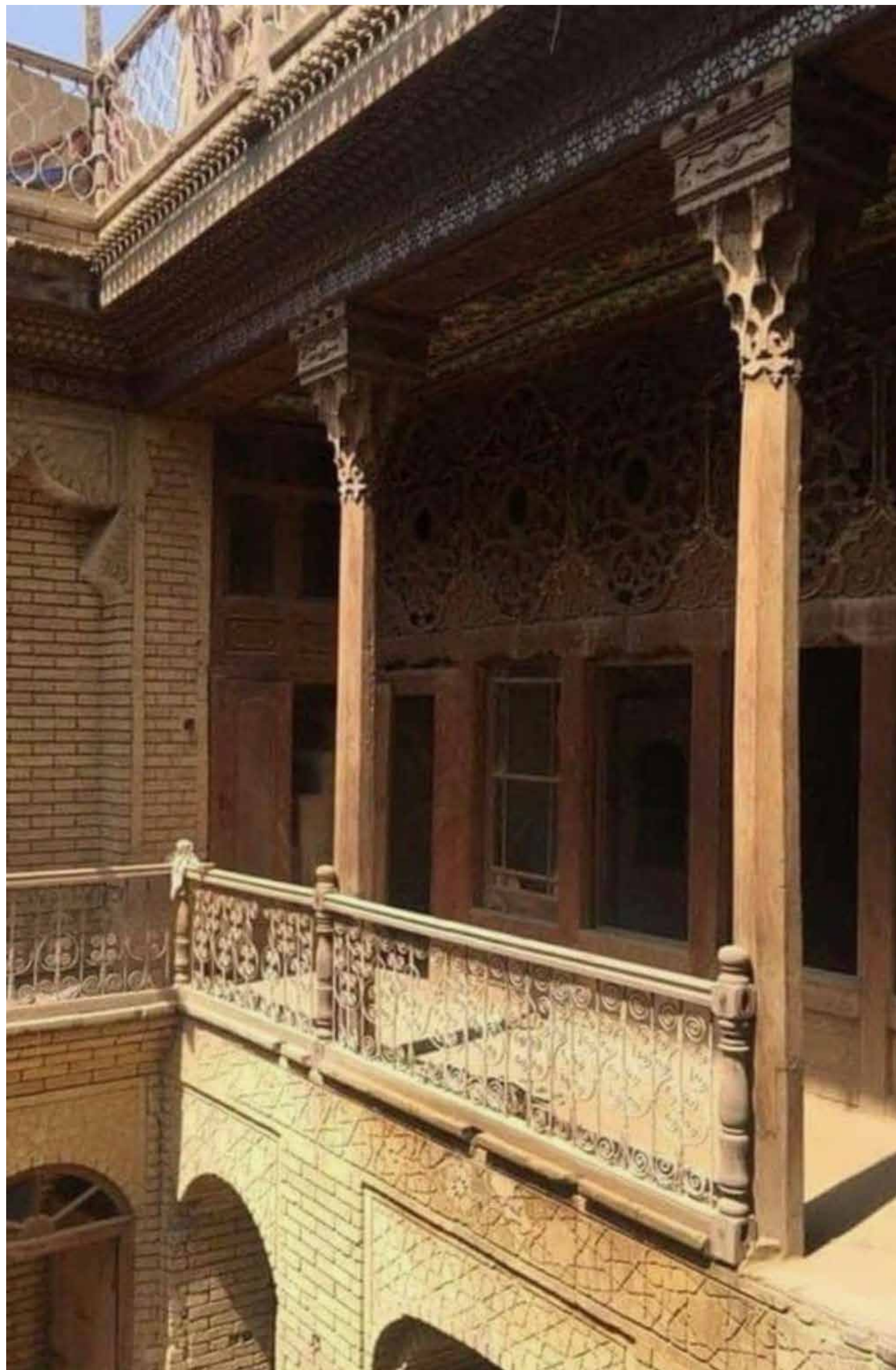




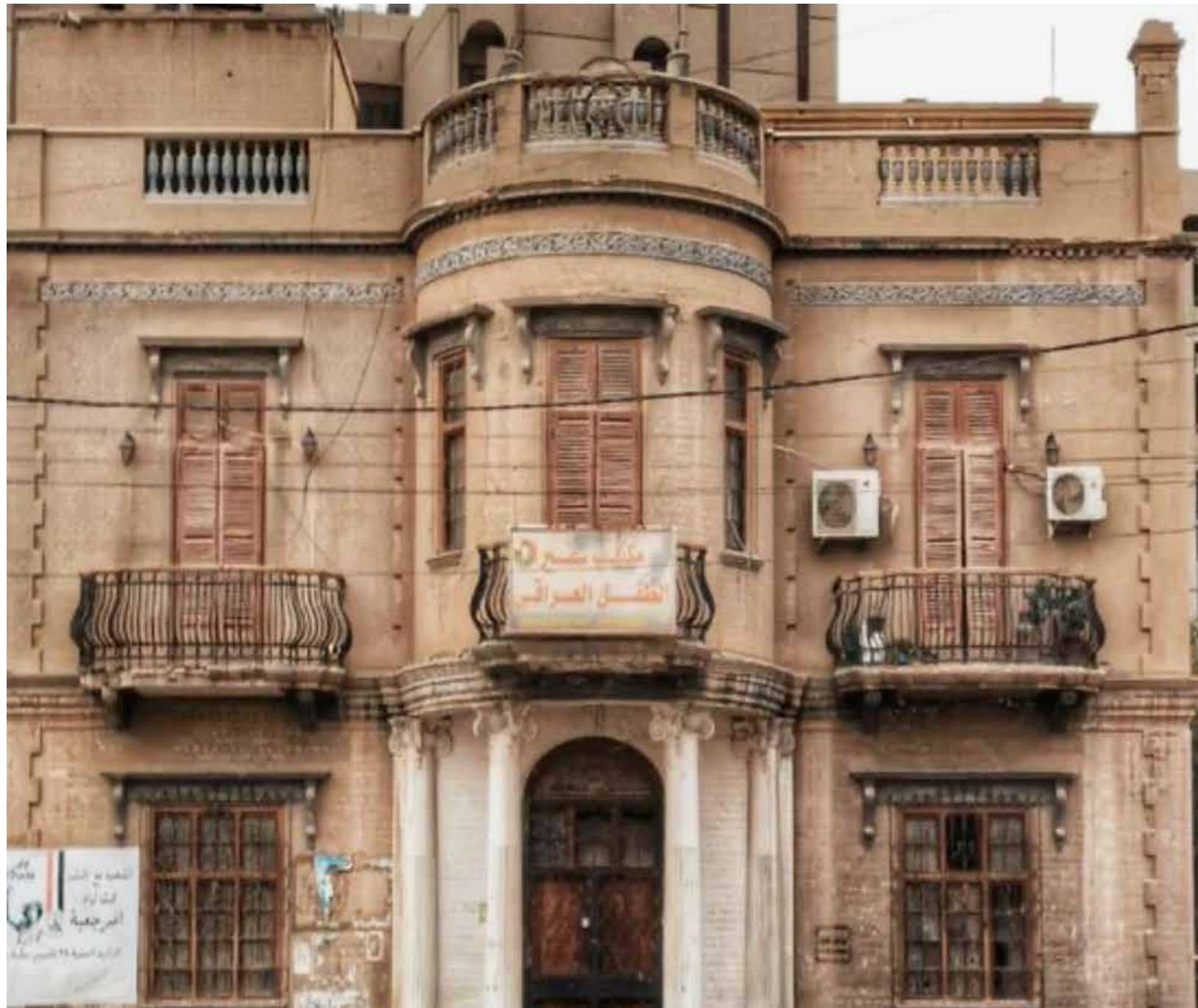


تفاصيل معمارية

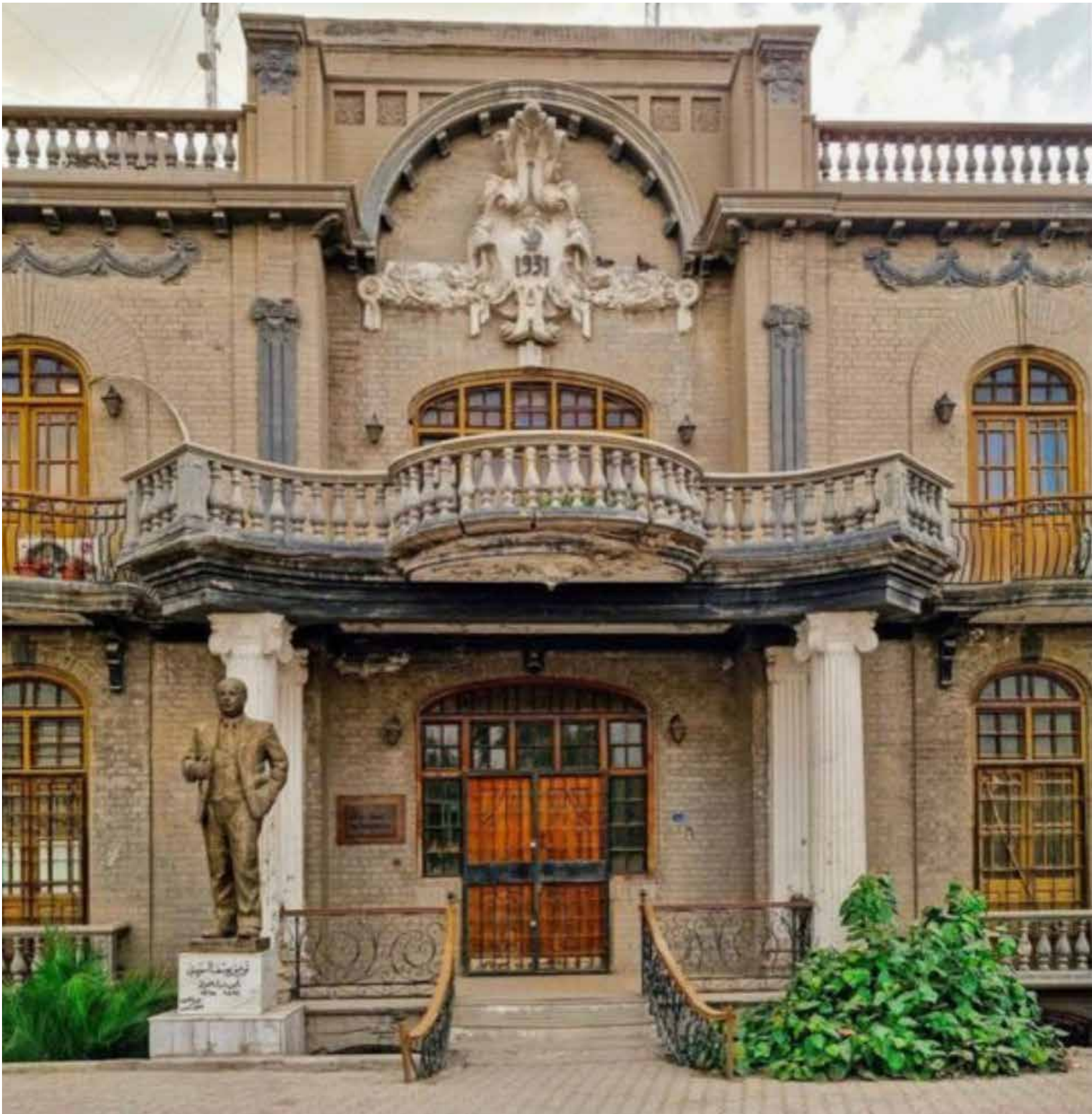












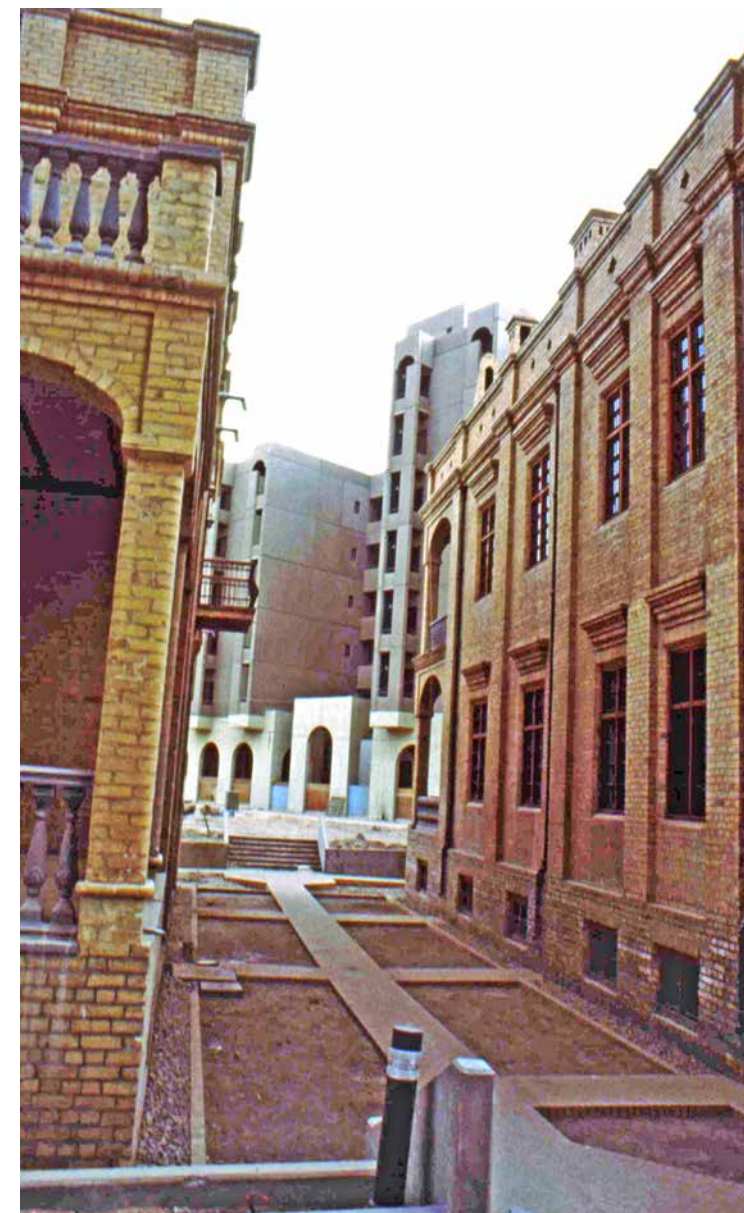






دور الظاهر قبل شارع حيفا

شارع حيفا







المعماري معاذ الالوسي مهندس شارع حيفا
مع مدير مكتبه المعماري فيصل الجبوري
وخلفهما نصب الواسطي للفنان اسماعيل فتاح

جانب من شارع حيفا ، بغداد













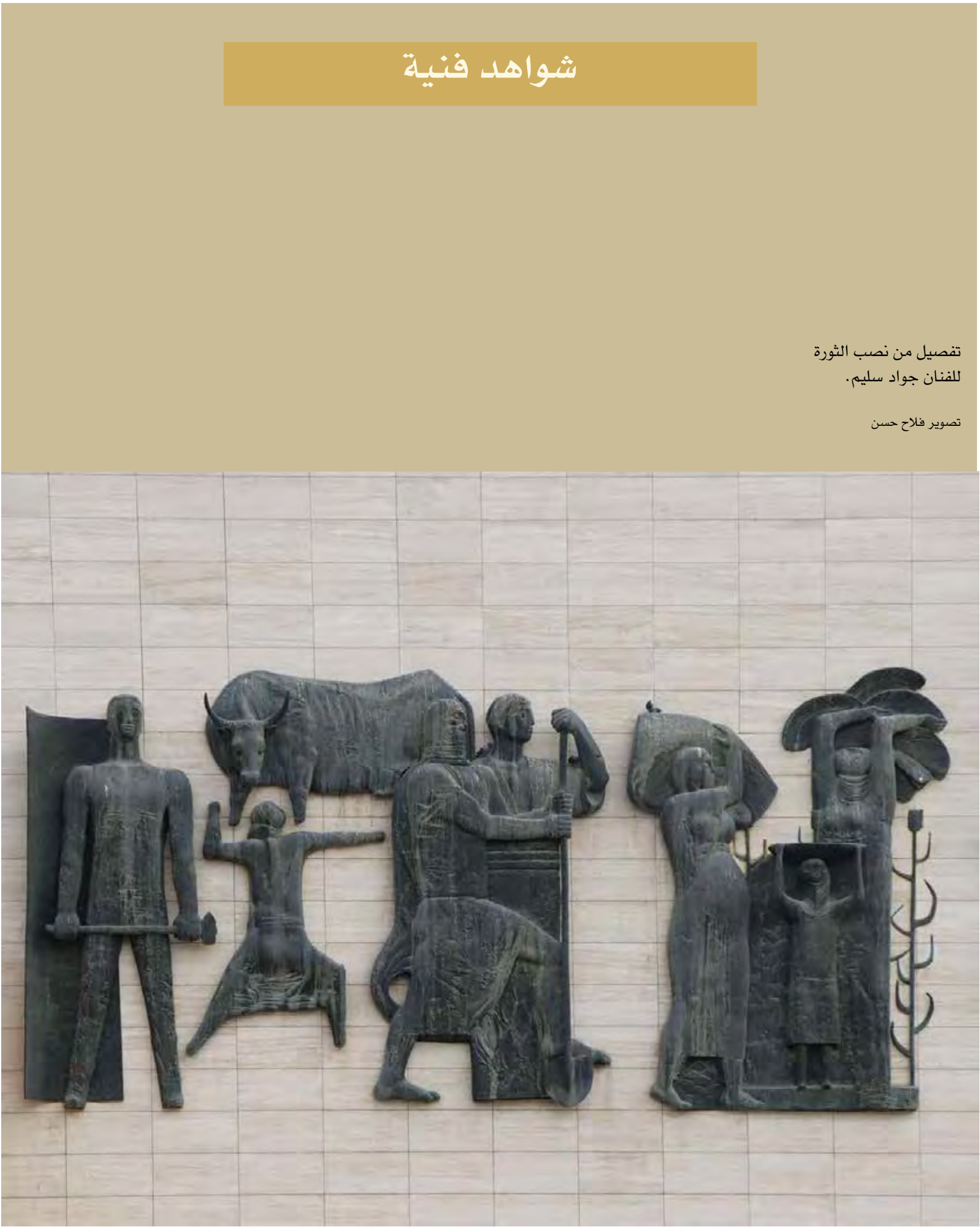
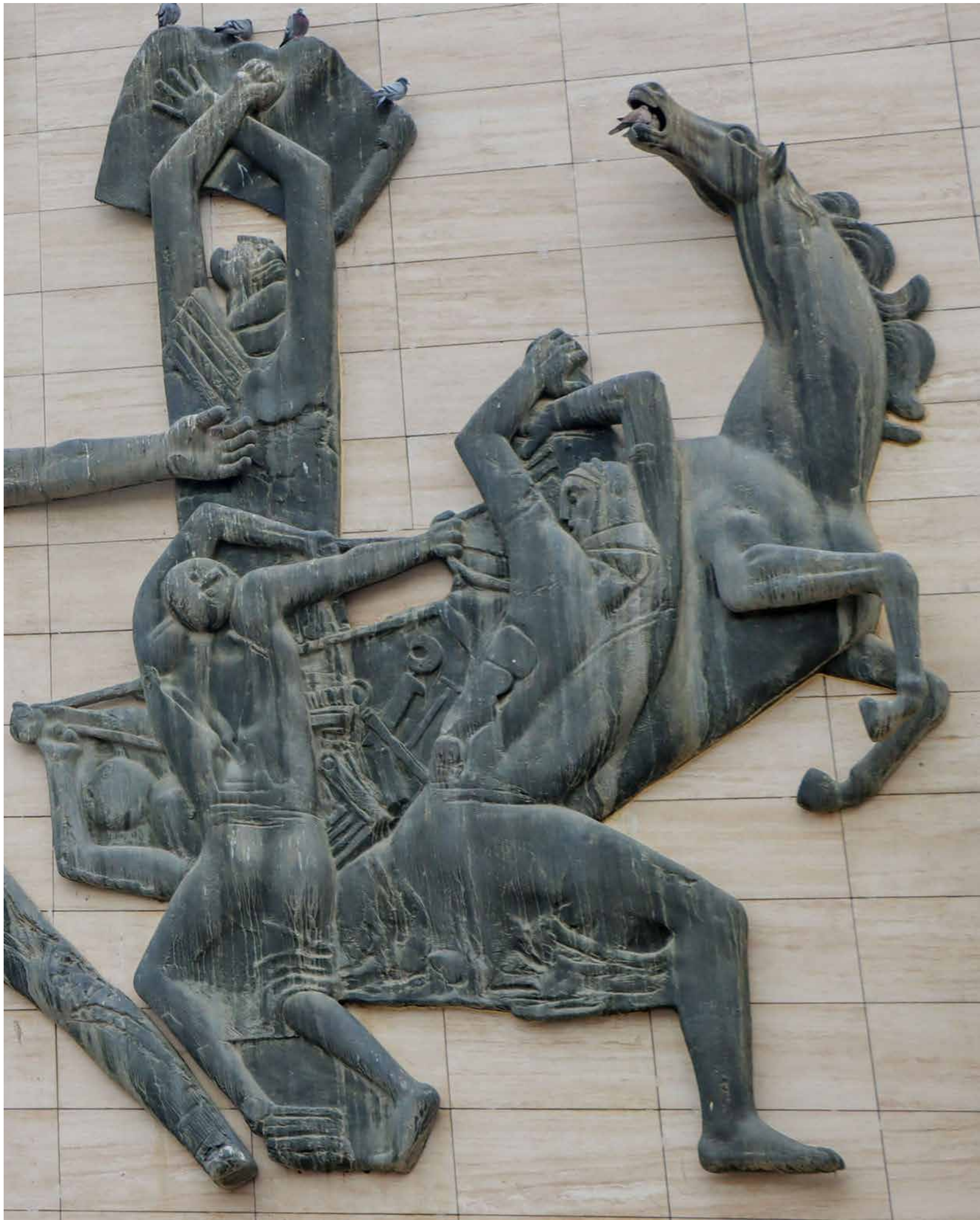








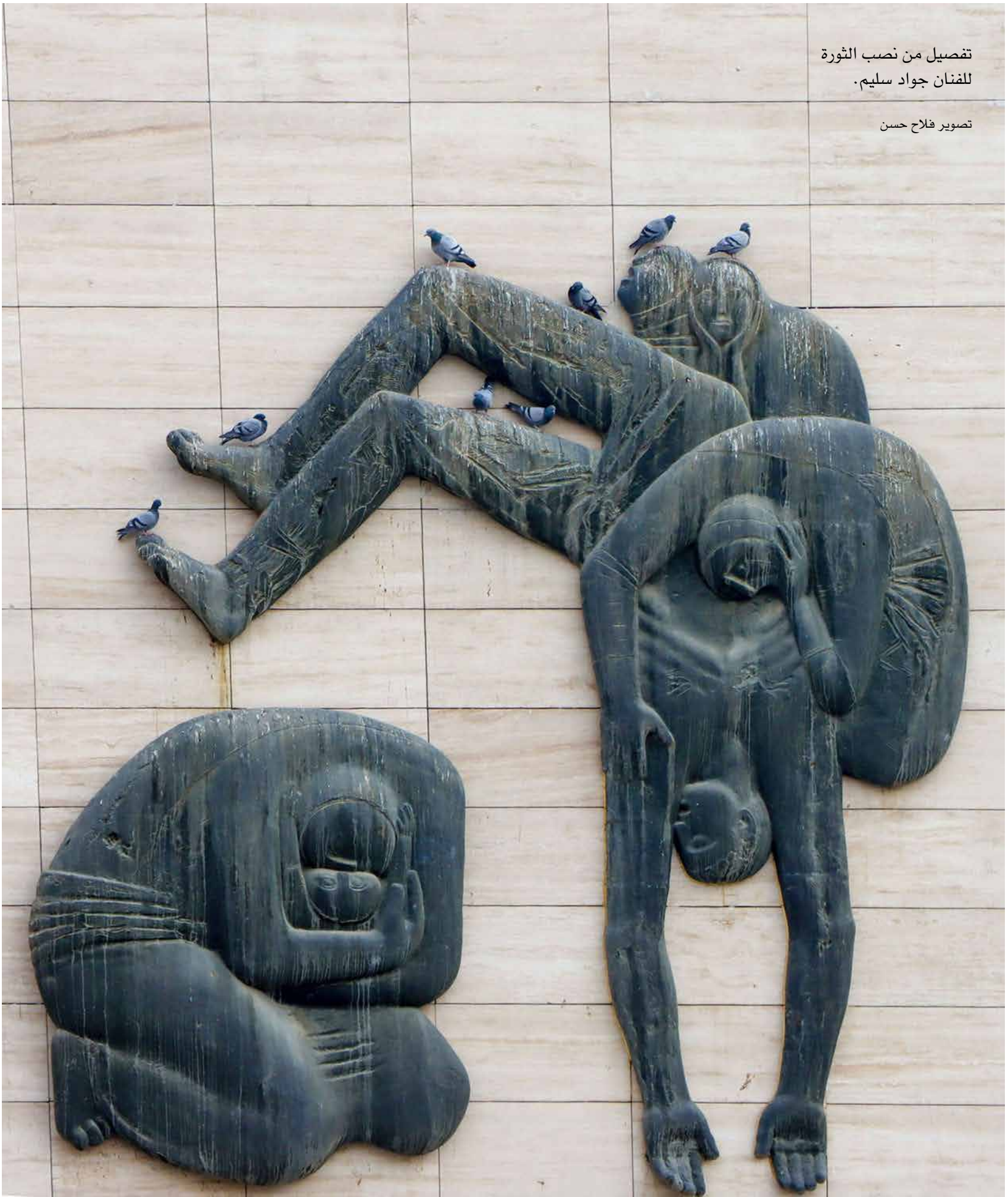
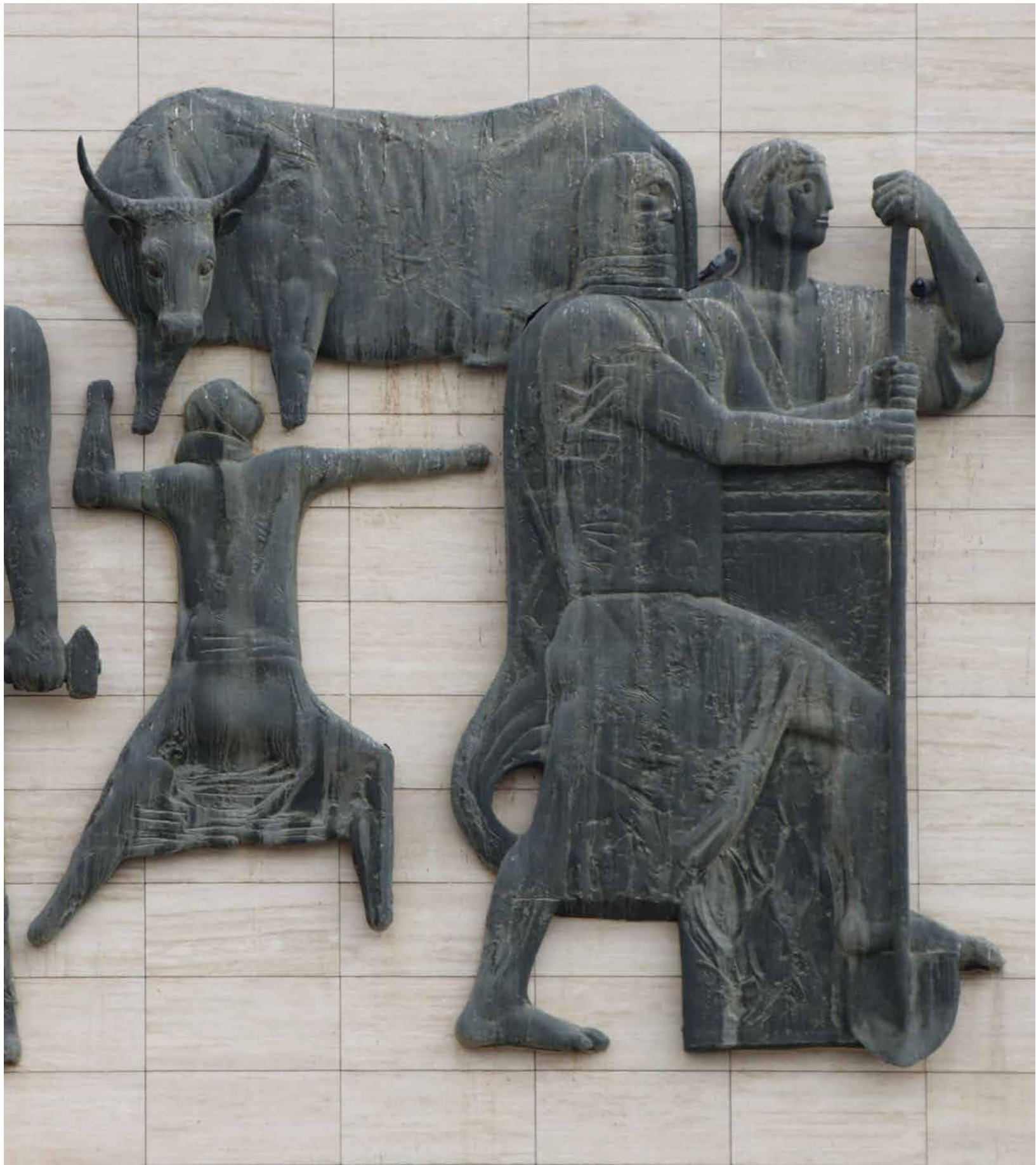




شواهد فنية

تفصيل من نصب الثورة
للفنان جواد سليم.

تصوير فلاح حسن

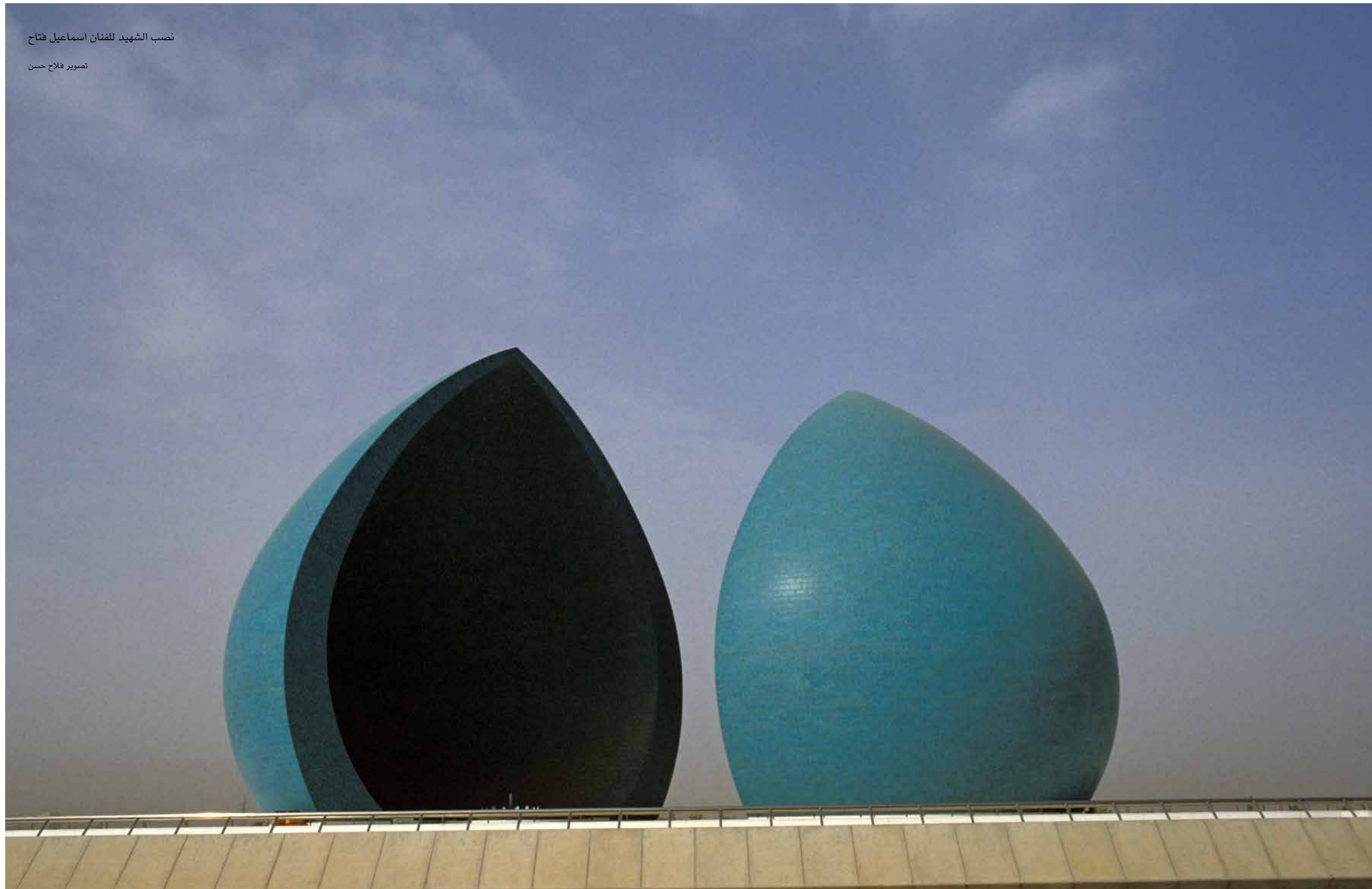


تفصيل من نصب الثورة
للفنان جواد سليم.

تصوير فلاح حسن

نصب الشهيد للفنان اسماعيل فتاح

تصوير فلاح حسن

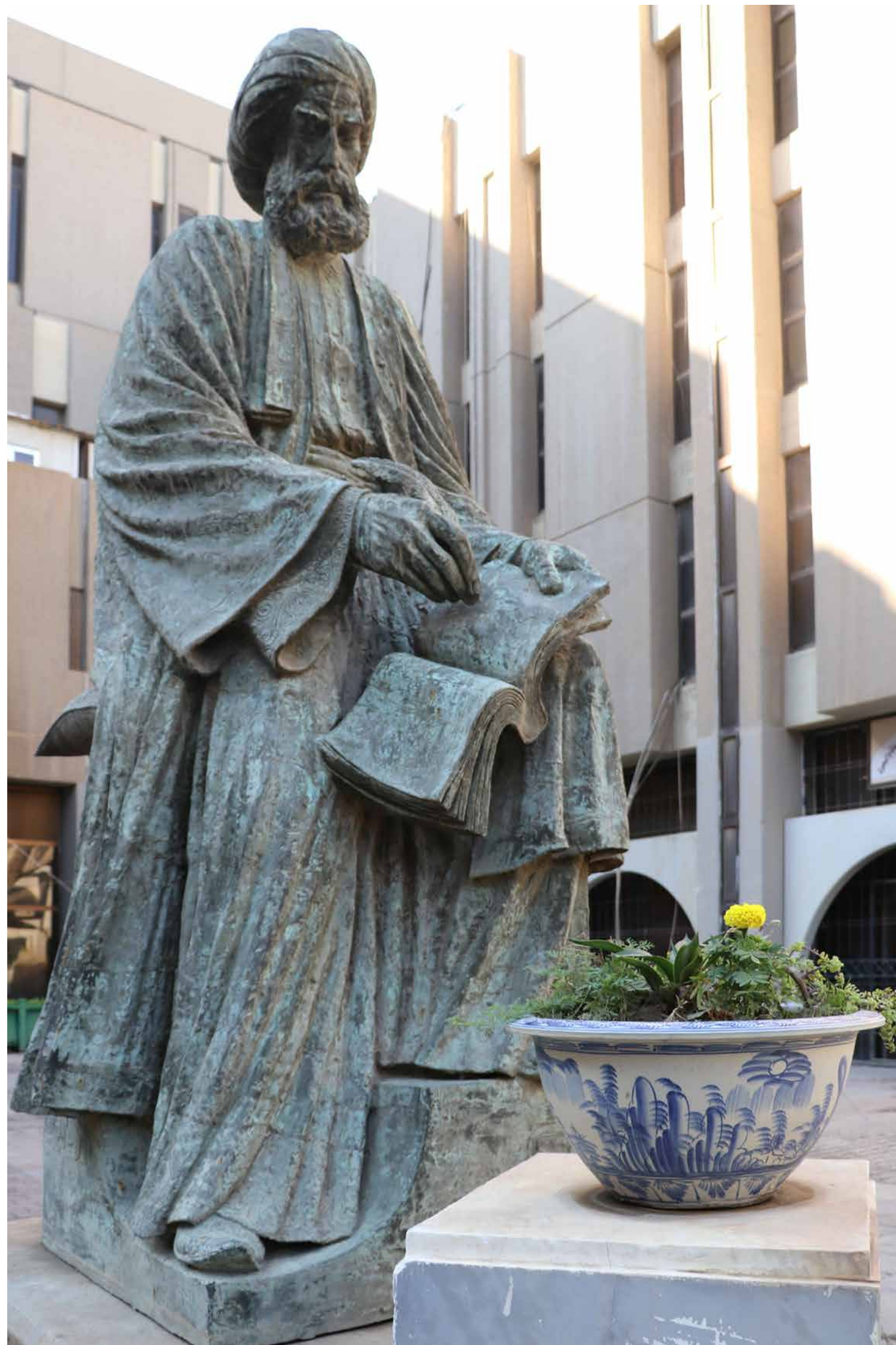




جدارية موزائيك
للفنان هاني حسن.

نصب النخلة
للفنان اسماعيل فتاح





نصب الشاعر ابي نؤاس،
للفنان اسماعيل فتاح.

نصب الفارابي، 1975
للفنان اسماعيل فتاح.

نصب للرسم الواسطي ،
للفنان اسماعيل فتاح

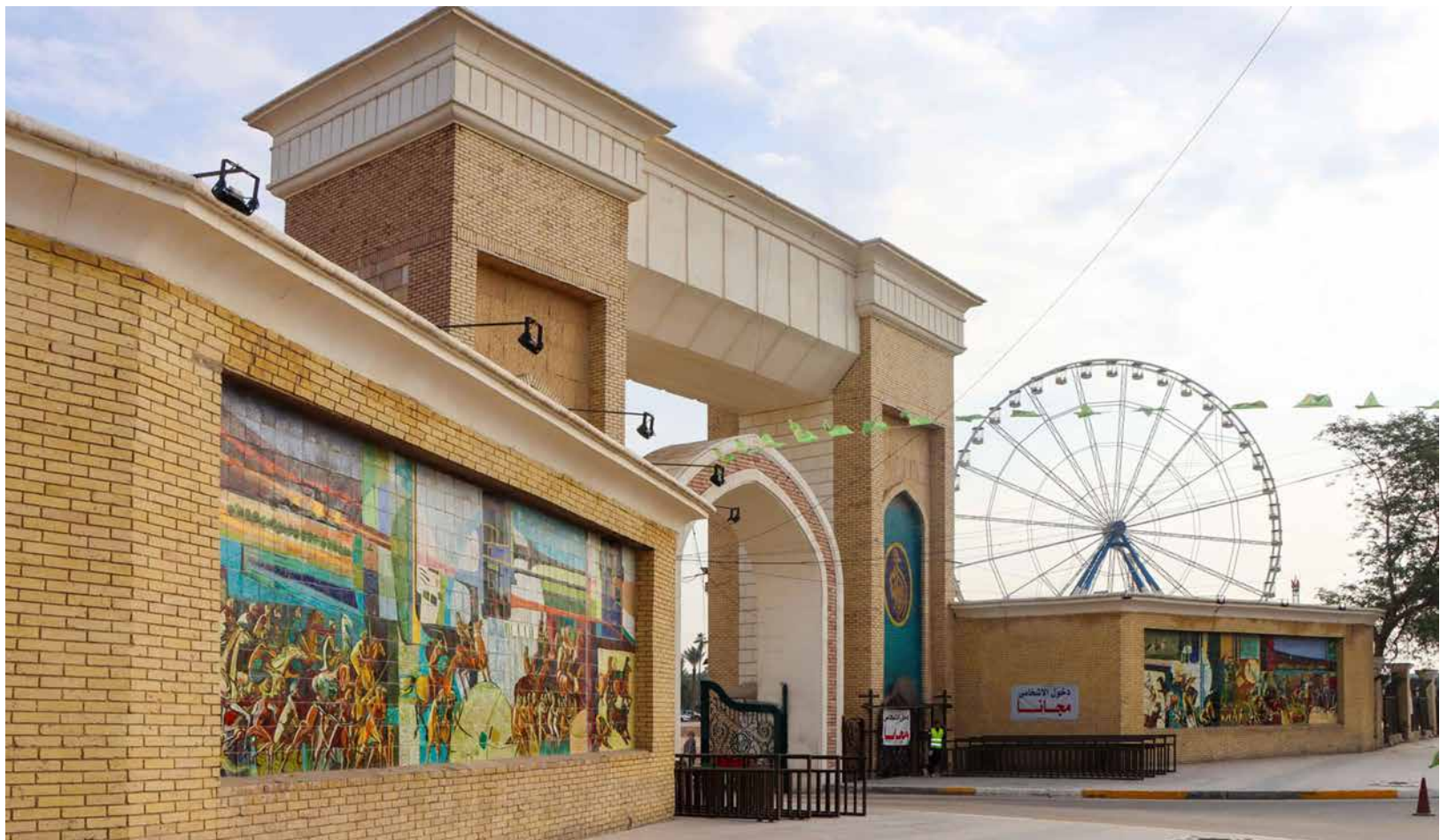
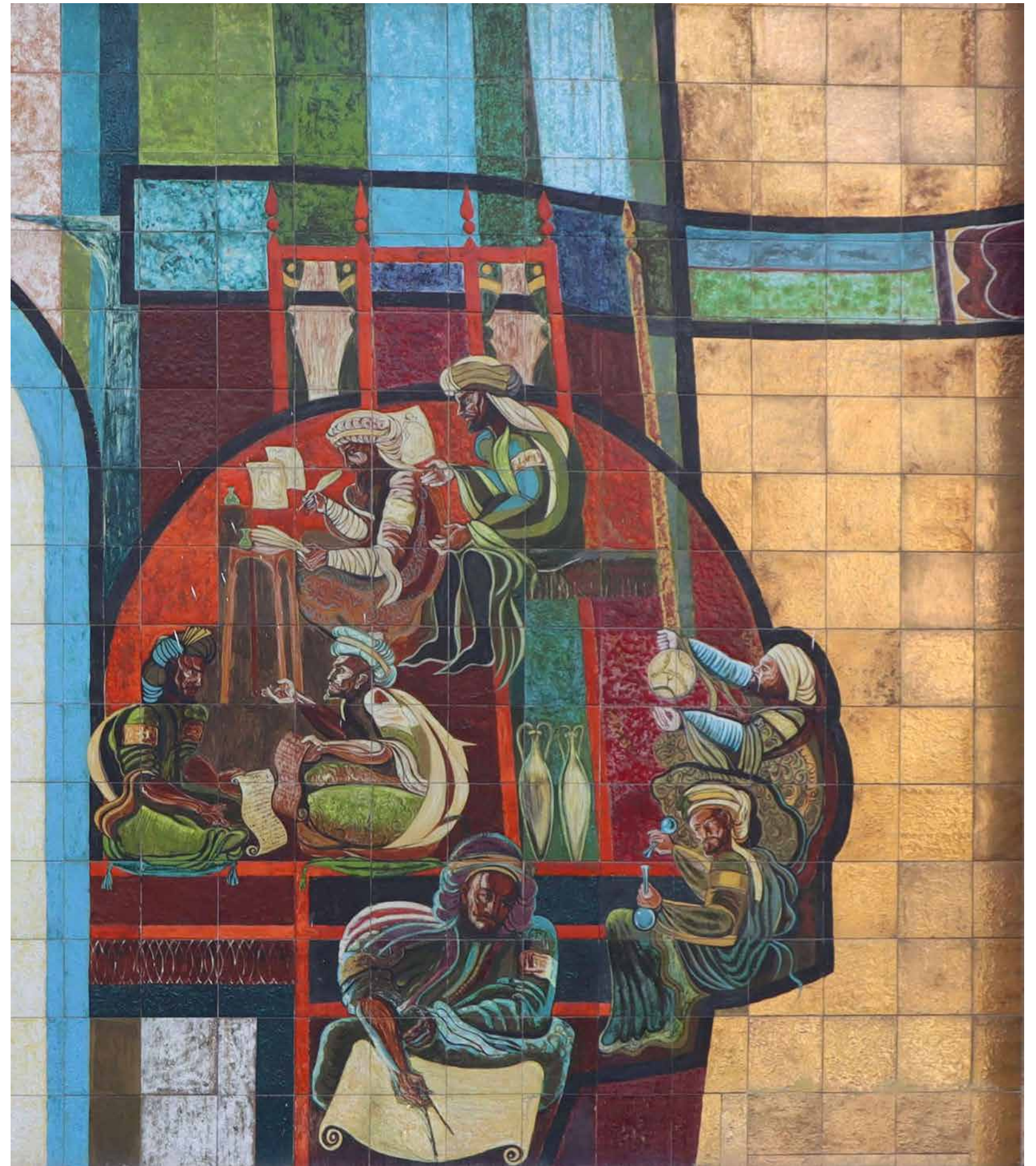
تصوير فلاح حسن



نصب الملك فيصل الاول،
للنحات الايطالي بيتروكانونيكا



نصب الشاعر معروف الرصافي،
للفنان اسماعيل فتاح



جدارية سيراميك،
للفنان غازي السعودي.

تصوير فلاح حسن



جدارية سيراميك، للفنان غازي السعودي.
تصوير فلاح حسن

نصب الشاعر المتنبّي
للفنان سعد الربيعي

نصب كلكامش
للفنان هادي حمزة الطائي



الفنان محمد غني حكمت:
نصب شهرزاد والاربعين حرامي
نصب الشاعر المتنبّي



الفنان محمد غني حكمت:

نصب شهرزاد

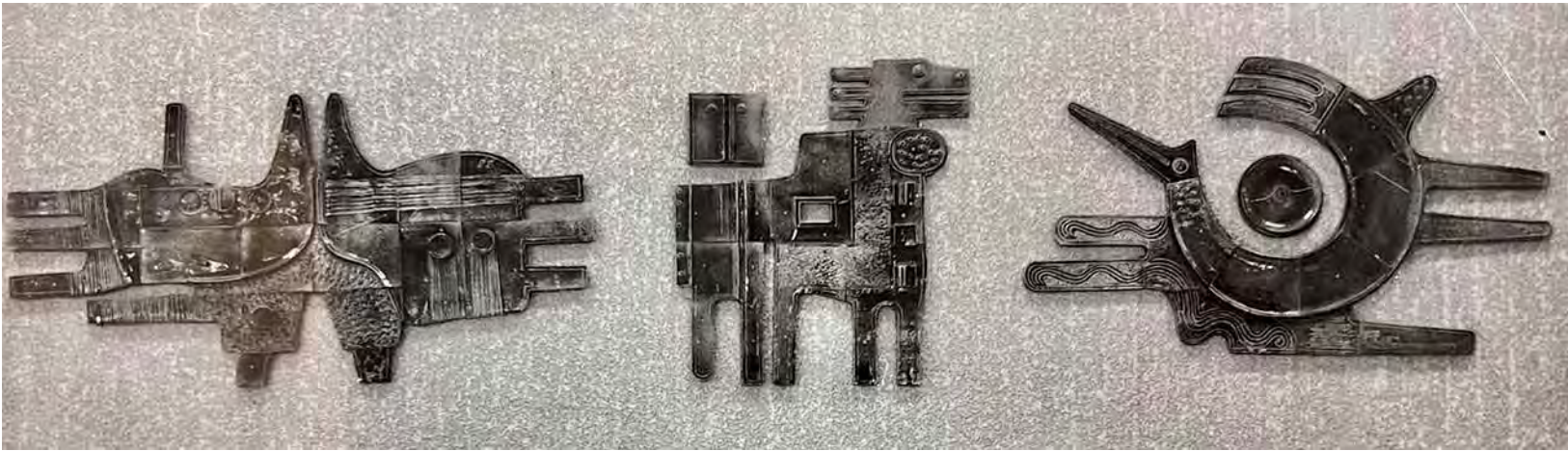
نصب الحضارات

نصب بغداد





تمثال الامومة
لفنان خالد الرحال
الفنان خالد الرحال
نصب ابي جعفر المنصور.



نصب الجندي المجهول،
للفنان خالد الرحال

ساحة الاستعراضات الكبرى،
للفنان خالد الرحال

جدارية مبنى البريد والاتصالات ،
48 متر. للفنان سعد شاكر 1971

نافورة خضر الياس للفنان سعد شاكر 1984



نصب للفنان عباس غريب
تصوير فلاح حسن

نصب النسر للفنان ميران السعدي





تمثال ابن فرناس
للفنان بدري السامرائي

تمثال سليم البصري
للفنان فاضل مسير، بغداد
تصوير فلاح حسن

جدارية للفنانة وجدان الماجد



روح بغداد المكسورة

شُق هذا الشارع خلال الحكم العثماني، وعرف أولاً باسم (هندنبيرغ) ثم شارع (خليل باشا جادة سي) نسبة لخليل باشا حاكم بغداد وقائد الجيش العثماني الذي قام بتوسيع وتعديل الطريق العام الممتد من الباب الشرقي إلى باب المعظم وجعله شارعاً باسمه عام 1910 تحول اسمه فيما بعد إلى شارع الرشيد، نسبة للخليفة العباسي هارون الرشيد، ويكاد يختصر هذا الشارع تاريخ المدينة، تعرض منذ سنوات طويلة إلى الإهمال وأصبح خراباً في العديد من أجزائه ومكب للنفايات



شارع الرشيد .

ساحة الرصافي، شارع الرشيد

شارع الرشيد







شارع الرشيد، تصوير زياد متي



ساحة الرصافي، تصوير هادي التجار ٢٠١٩



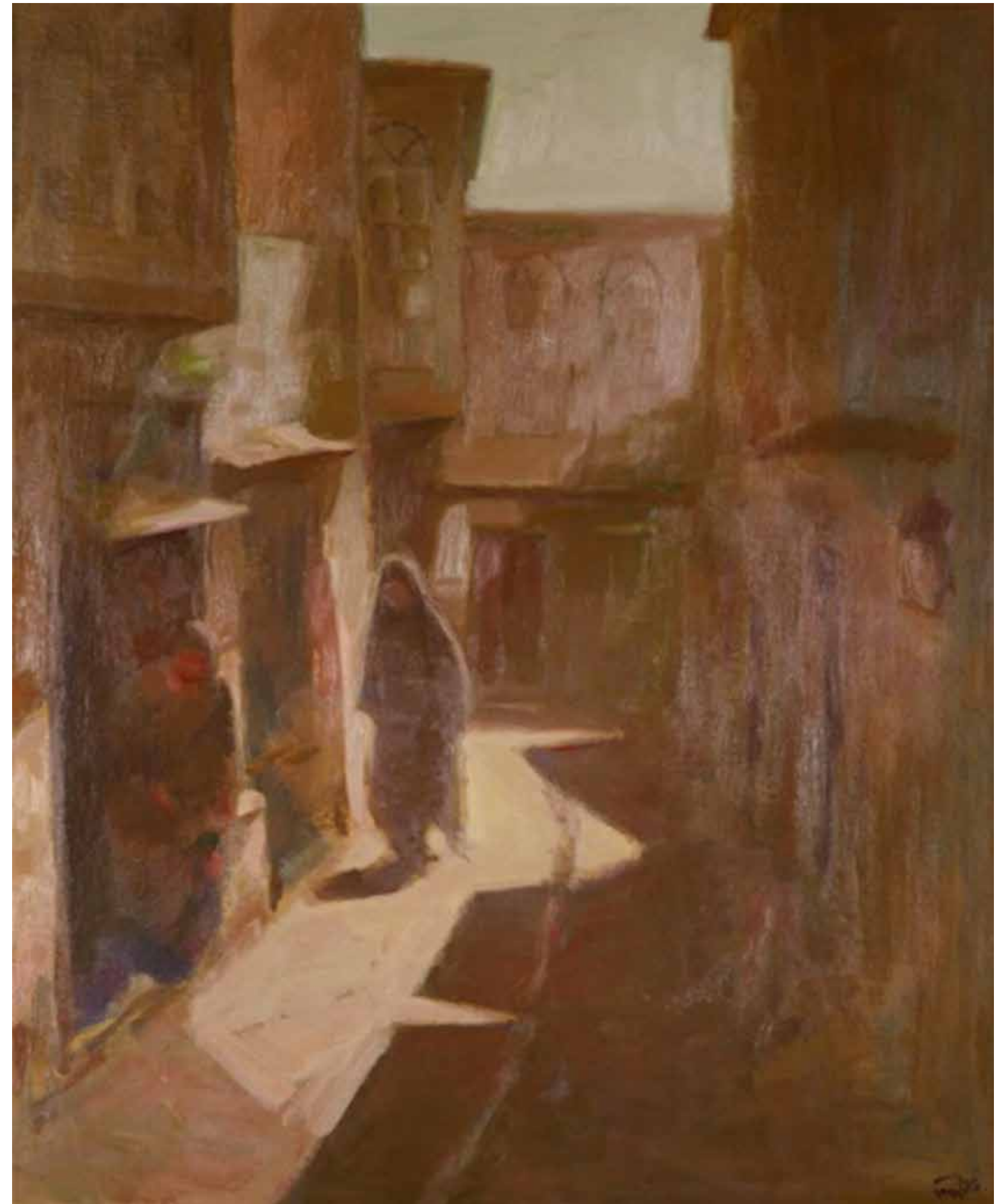
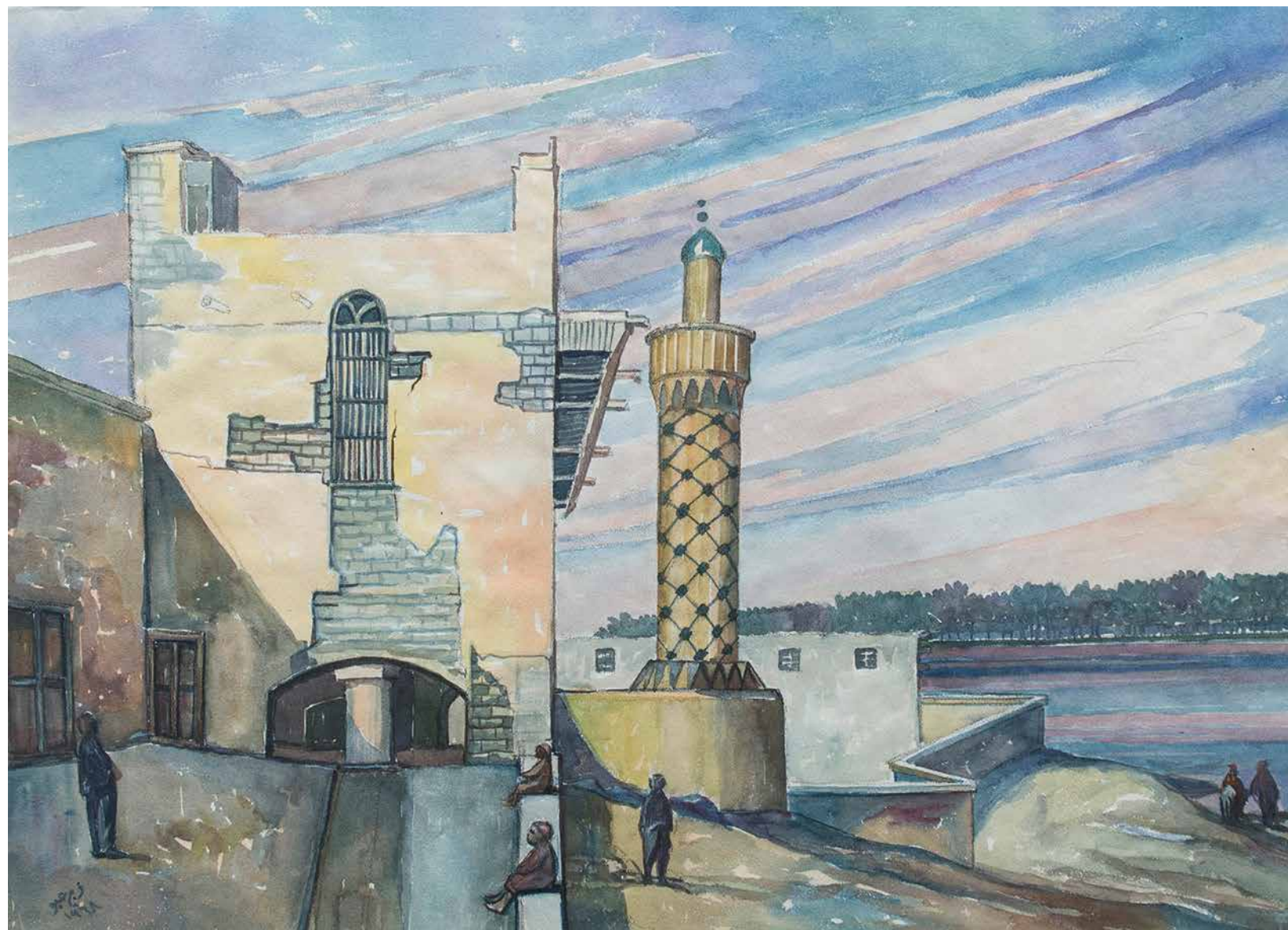
شارع الرشيد، تصوير هادي النجار ٢٠١٩



لم تأخذ بغداد الموقع الذي تستحقه من جهود الفنانين التشكيليين العراقيين، وفيما عدا تجارب معروفة حرصت على إظهار لونها المدني الهادئ والمسالم، ظلت في الحقيقة بعيدة عن التحريض الجمالي بالرغم من ماضيها المذهل وحاضرها الذي تعرض إلى انكسارات.

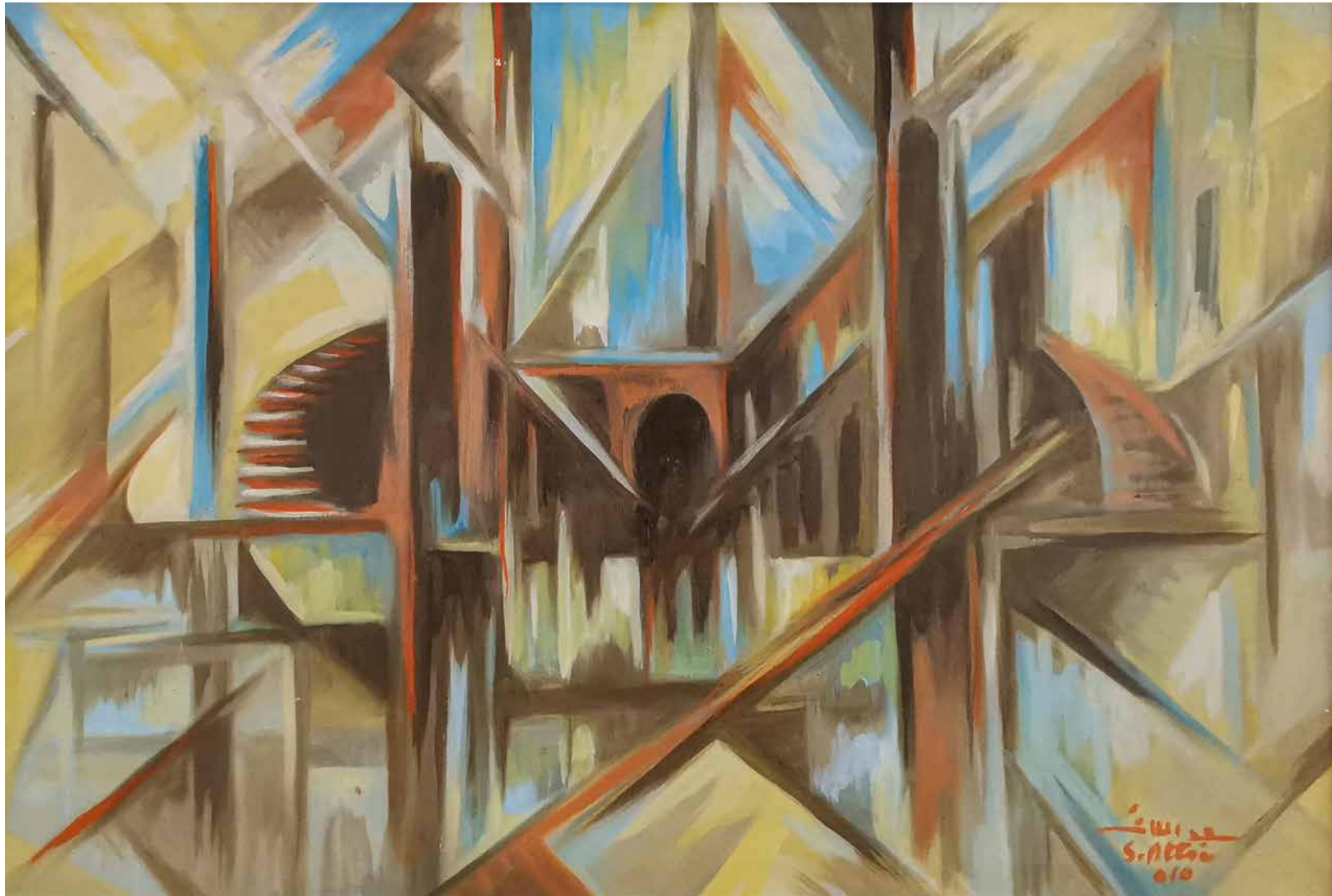
فائق حسن. بغداد القديمة
الوان زيتية على القماش، 64 x 76 سم.
مجموعة خاصة

فرج عبو. جامع القمرية.
الكرخ، الوان مائية على الورق. 80 x 55 سم.. 1968
مجموعة الابراهيمى . عمان



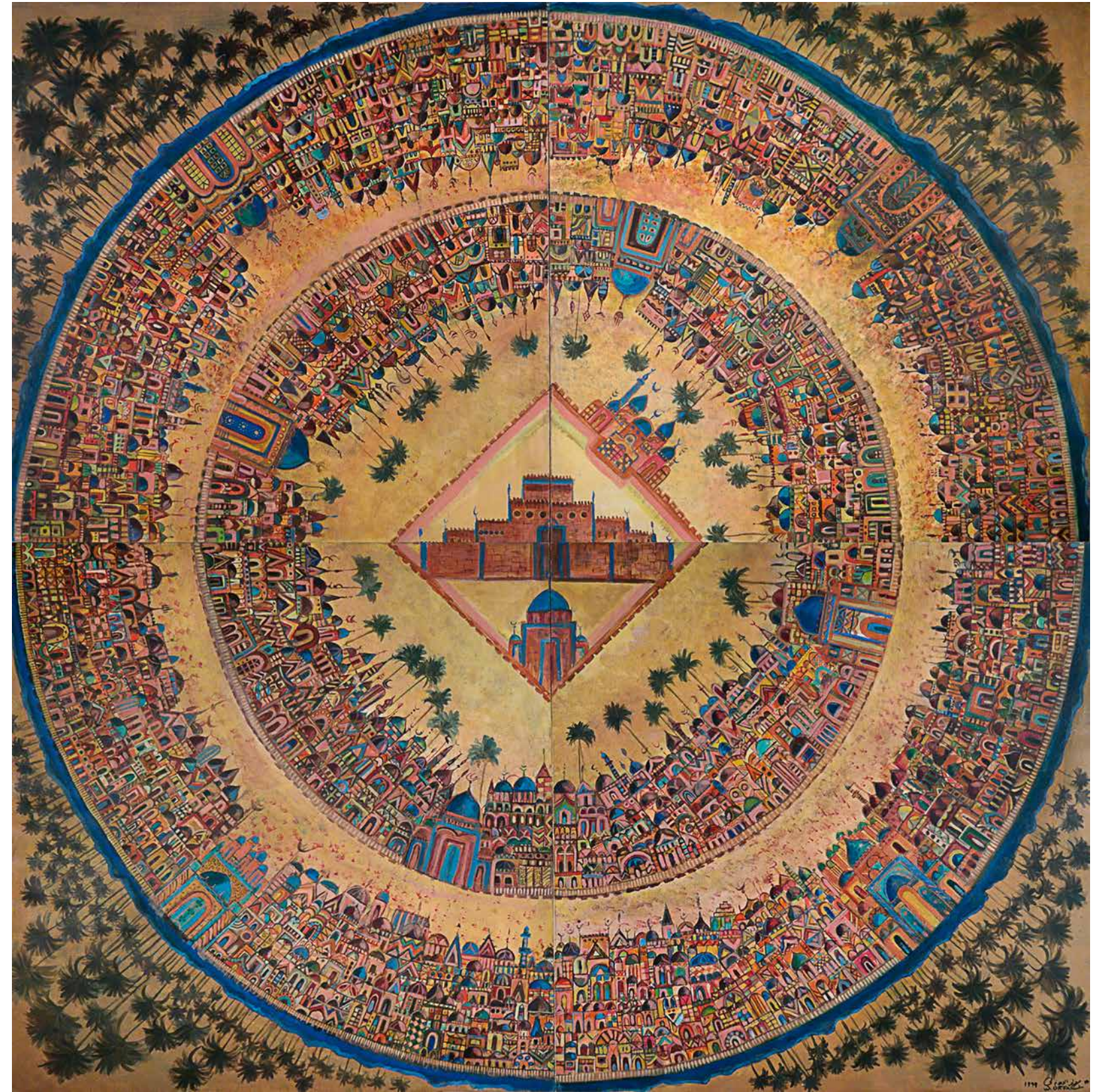


لورنا سليم، منازل عبر دجلة،
زيت على المقوى. 100 x 45 سم 1967.
مجموعة الابراهيمى، عمان



وداد الاورقلي، بغداد المدورة،
زيت على القماش، 240 x 240 سم. 1999. مجموعة
الابراهيمى، عمان

سعد الطائي، الباب الوسطاني،
زيت على القماش، 56 x 83 سم 2010. مجموعة الابراهيمى،
عمان



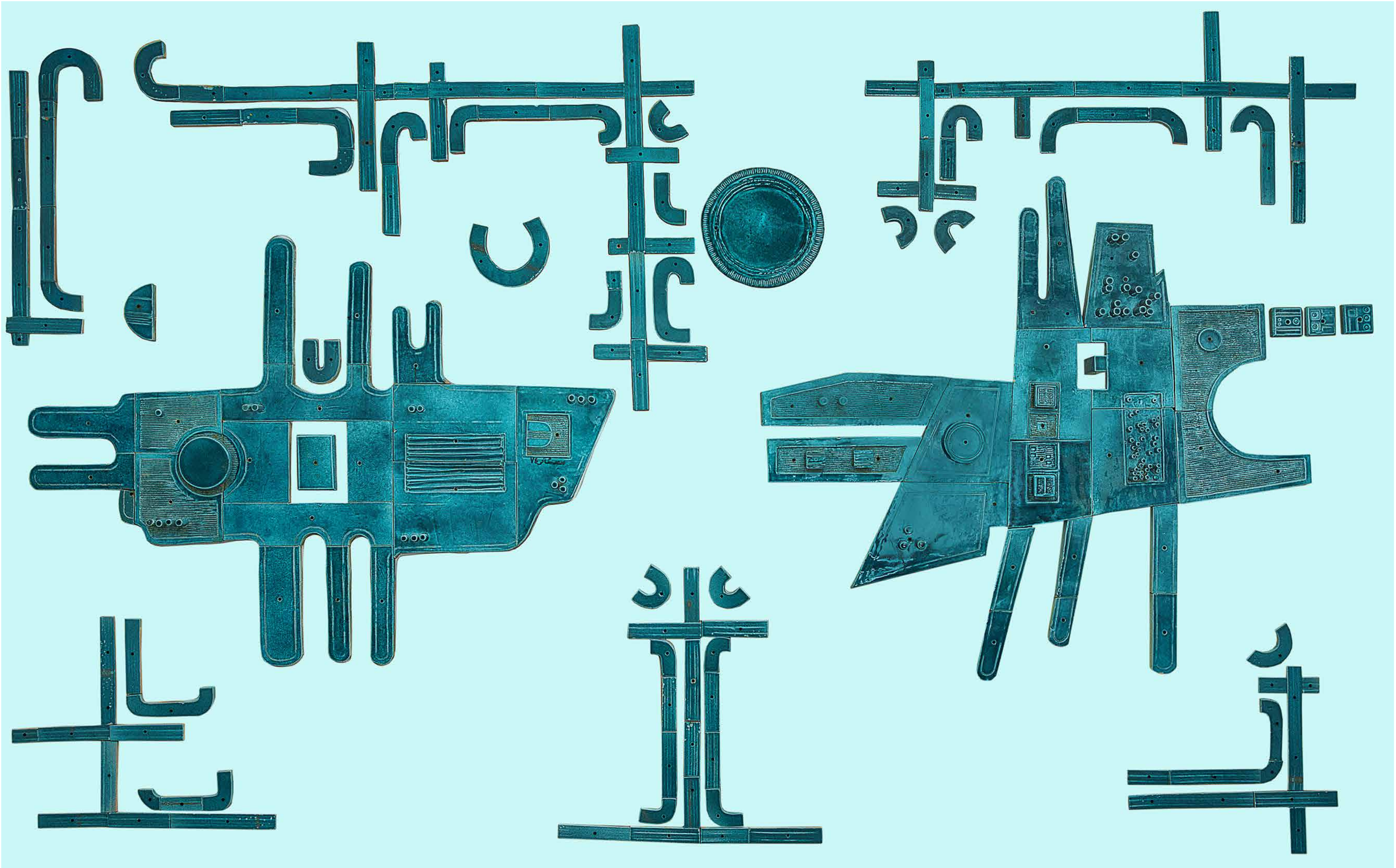


حافظ الدرويش، جسر على دجلة، بغداد،
الوان مائية على الورق، 38 x 84 سم 1962 .
مجموعة تالة العزاوي، بورنموث



عبد القادر الرسام، منظر الكاظمين، بغداد.
زيت على القماش، 35 x 40 سم 1923. مجموعة
الابراهيمى، عمان

جميل حمودي، سوق بغدادى،
حبر صيني على الورق، 65 x 50 سم. 1986-80.
مجموعة الابراهيمى، عمان

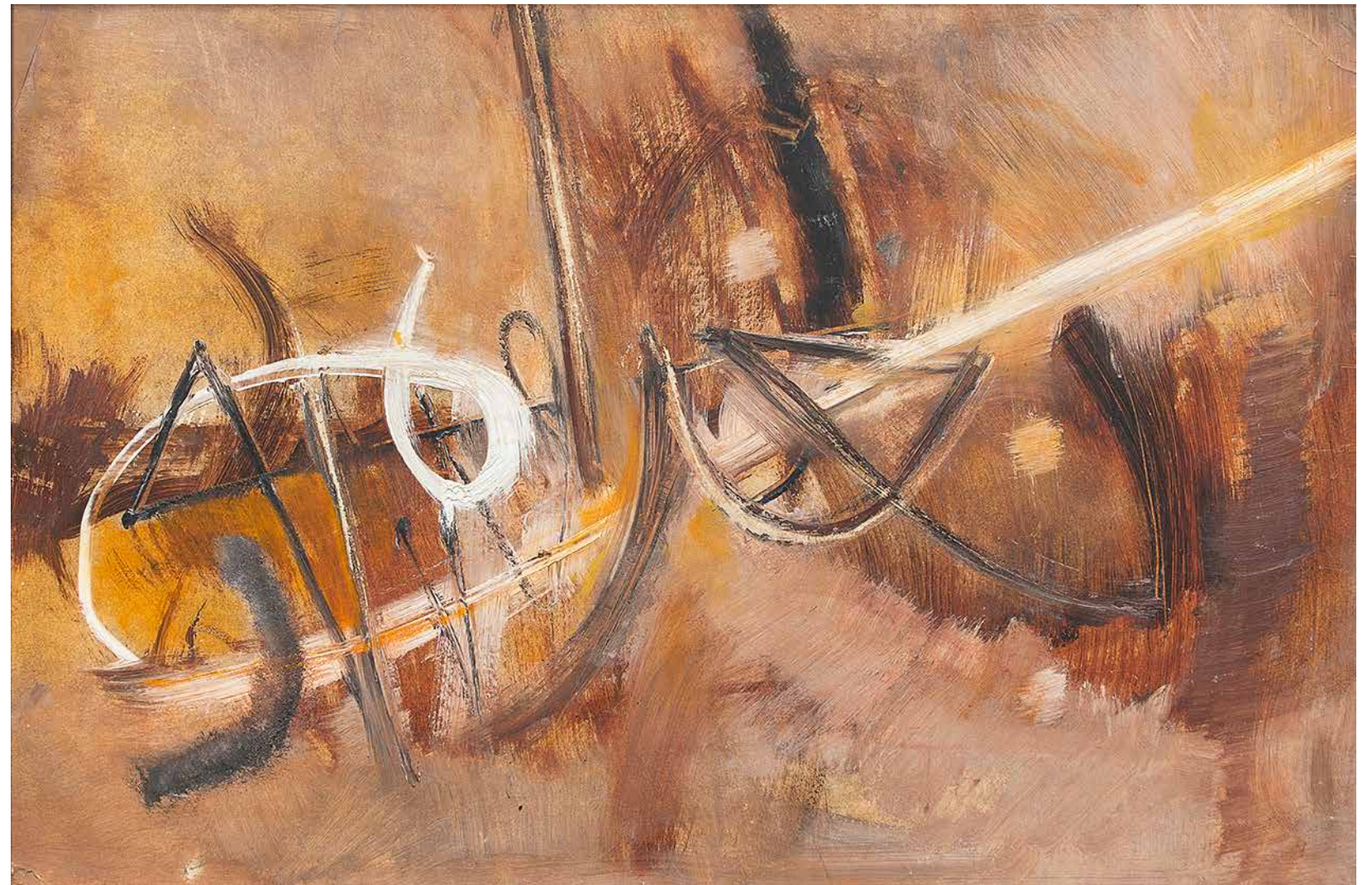


سعد شاکر، بغداد، جدارية سيراميك، 1974 سم 365 x 232 . مجموعة الابراهيمی، عمان



شاكر حسن ال سعيد، بغداد، زيت على المقوى،
55 x 75 سم 1960 . مجموعة الابراهيمى . عمان

ضياء العزاوي، مدينة الفنان،
اكريلك على القماش 200 x 200 سم 2006 .
مجموعة خاصة، الكويت



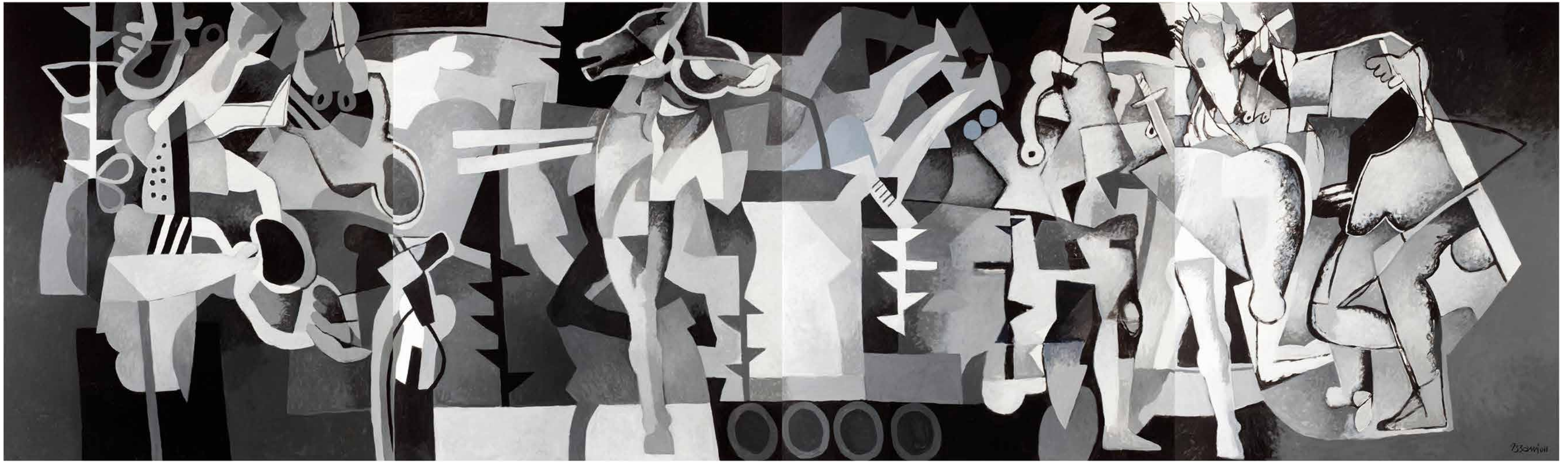


رافع الناصري، سبعة ايام في بغداد،
70 x 33 سم مواد مختلفة على الورق، 2007،
مجموعة العزاوي، لندن

محمد الشمري، مفتاح بغداد،
مواد مختلفة، 61 x 81 x 4 سم
2000، مجموعة العزاوي، لندن

كريم رسن، حرائق بغداد،
32,5 x 29,5 سم
مواد مختلفة على الورق،
مجموعة العزاوي، لندن





ضياء العزاوي ، ميراثا الى مدينتي المحاصرة،
 اكريلك على القماش، 800 x 240 سم 2011
 مجموعة الفنان.



ضياء العزاوي، تحية الى بغداد،
طباعة الشبكة الحريرية. 55 x 50 سم ،
نموذج رقم 7، 1982. مجموعة خاصة.

ضياء العزاوي، دجلة الخير، 207 x 50 x 50 سم
بوليستر رزن، 2005. مجموعة الابراهيمى، عمان



جواد سليم، لوري، زيت على القماش،
75 x 90 سم، 1957 مجموعة المتحف الوطني، بغداد

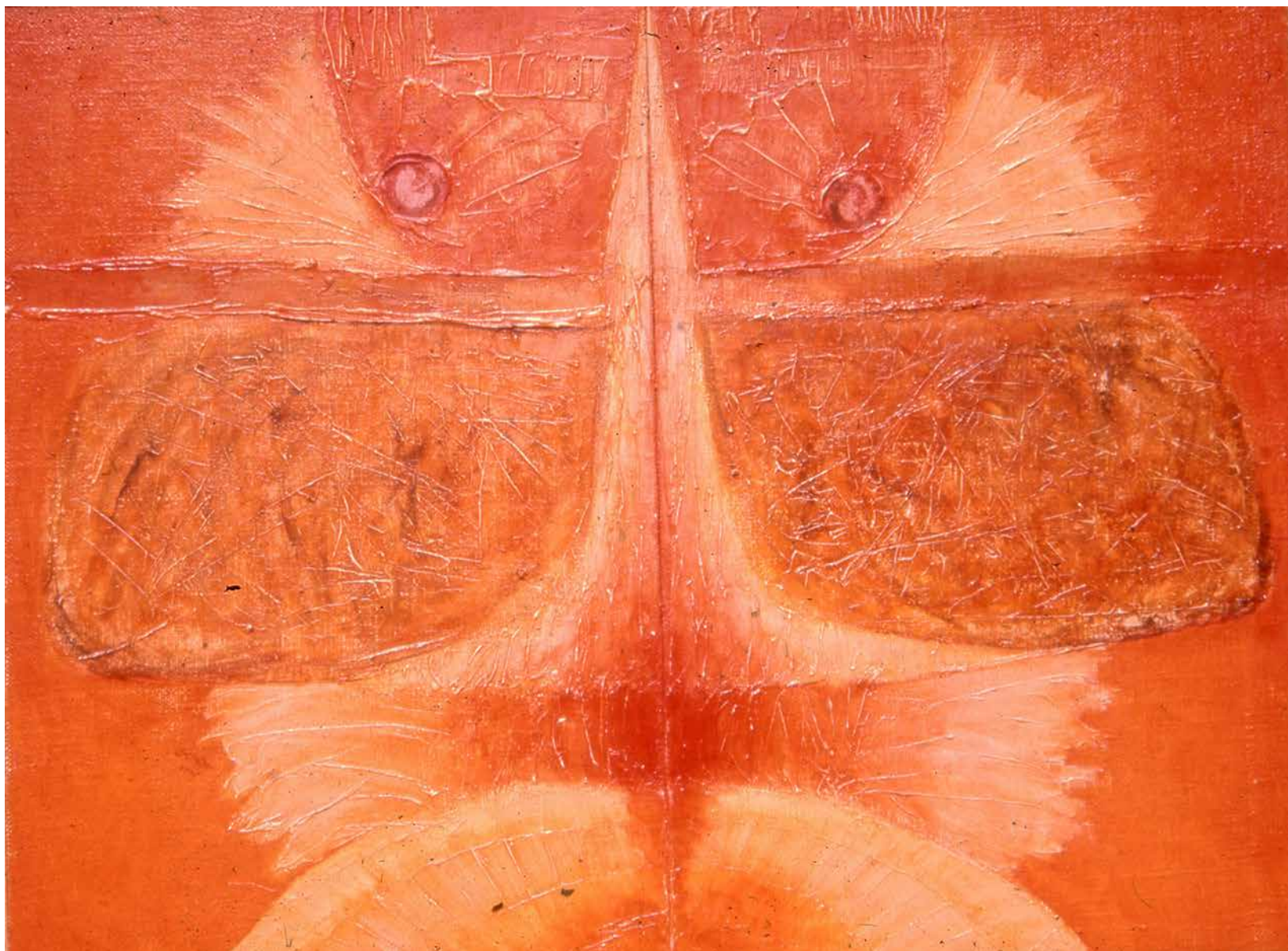
جواد سليم، امرأة تتجمل، زيت على القماش،
54 x 69 سم، 1957 مجموعة المتحف الوطني، بغداد



فرشي بغدادي، تحية الى ابو جعفر المنصور 2023

المساهمون:

ضياء العزاوي، نزار يحيى، سامر اسامة، علي جبار، ديلير سعد شاكر، وليد القيسيبي، سالم
الدباغ، غسان غائب، محمد الشمري، هيمت، عمار داود، محمود العبيدي، سيروان، كريم رسن،
علي طالب، صدام الجميلي، جلال علوان، وشنيار عبدالله



الفنان هاشم سمرجي.
الوان مائية على الورق،
41 x 59 سم. مجموعة
عائلة الفنان

الفنان هاشم سمرجي.
الوان زيتية على القماش،
120 x 92 سم. مجموعة
خاصة

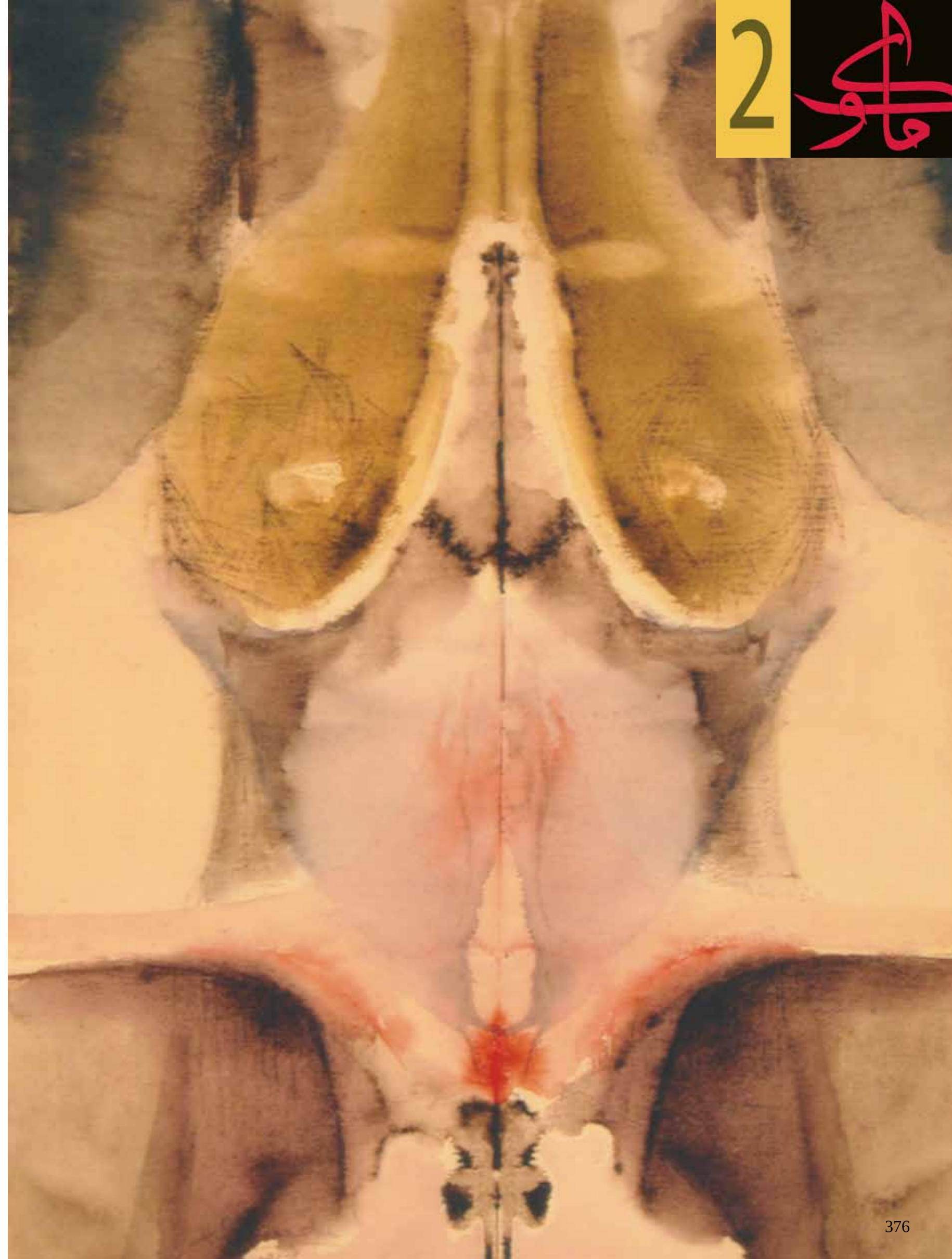
الأيام الأولى والأيام الأخيرة عن هاشم سمرجي وآخرين

يحيى الشيخ

والبولوني رومان ارتيموفسكي، والمقدوني فنان الجداريات فيكتور لازسكي؛ ثلاث خبرات حديثة النزعة، أبناء ثلاث حضارات متباينة. كنا عشرة طلاب، ولهذا الرقم دلالة، إذ يمكن للمرء احتضانهم بين ذراعيه، وكنت صديقاً للجميع على مستويات متباينة وصيغ تبدو متناقضة ما بينها: (الحزب والمقهى والحنات)؛ لكننا جميعاً كنا في قاعات الدرس في مهمة واحدة برعاية أساتذة بناء. (أجزم أن رقي الفن العراقي في الستينات، كان هؤلاء الثلاثة أهم دعامة من دعائمه التاريخية). في مجموعة العشرة طلاب اجتمعت البلاد بلغاتها ولهجاتها ومشاربها: علي طالب من البصرة، شاكر حمد ويحيى الشيخ من العمارة، محمد

في خريف 1962 التحقت بأكاديمية الفنون الجميلة العليا «الملغاة»، بدت حياتي فيها لا تمت بصلة بما كانت عليه حياتي قبلها. كل شيء تغير من حولي، المدينة، الناس، والمهام اليومية، والمستقبل أيضاً... حقاً، تحولت إلى كائن آخر.

لم تكن الأكاديمية محطة ولا مفصلاً ولا منعطفاً كما يجب وصفها في طريق الإنسان، إنما هي حياة أخرى. فالشباب الذي كان لاهياً بحياته في العمارة، غارقاً في السياسة، يلتهم الكتب كيفما توفرت، وجد نفسه في مكان لا يفارقه منذ الصباح حتى ساعات المساء المتأخرة، في نظام صارم من الجمال، بين يدي معلمين أفذاذ، أساطين فن: فائق حسن،



دحام من بغداد، فتاح من كربلاء، علي جولا

من السليمانية، أنور الغساني من كركوك،

مهدي مطشر من بابل، والفلسطيني عبد الله رضوان، والأردنية عزيزة جرار عزيز، وأكيرنا

سنا، هاشم سمرجي من الموصل. مسلمون

ومسيحيون وصابئة، عرب وأكراد وما بين بين،

في صومعة واحدة يتعلمون ويتدربون ويتعبدون

كل بطريقته في معبد فن ذي تعاليم خاصة

رفضتها الجامعة، لهذا ألغيت الأكاديمية

وحملت بشرف مصيرها التاريخي ولقب

«الملغاة». (خريجو الدورتين الملغاة، تصدروا

طلبة الفن العراقي منذ الستينات).

في مكان كهذا، وفي سنوات الصراعات

الاجتماعية الدموية المريرة، كان للصدقا

معناها الحقيقي المؤثر والقوي، مثلت، على

نحو خاص، واحدا من الملاذات اليومية التي

تعج بالأفكار، والكتب، والمرح، والحانات،

والشجارات أيضا، إذ لم أجد في بغداد غير

دروس الفن، والحارات العتيقة، والمقاه،

والحانات الرخيصة، والسجن المرعب.

إلى جانب صداقتي التاريخية مع شاكر

حمد وإبراهيم زاير منذ أيام الصبا، إذ

جاء معي من العمارة بنفس الفترة، ارتبطتُ

بصدقة وثيقة بهاشم سمرجي (المصلاوي

الأرثودوكسي)، المنضبط، المعتدل، الذي أطلقنا

عليه لقب «المسطرة» لدقته في العمل والحياة،

وانتهى في رسمه إلى الاحتكام بالمسطرة

وأصبحت قرينته فعلاً.

القصر الذي ولدت فيه الأكاديمية ببنائ

وحميمية غرفه وممراته وسلاله المرمية

الواسعة، خلق مناخاً لعلاقات شبه عائلية، و

كنا فعلاً في بيت عائلي منيف فلم نشعر أننا

في قاعات للدروس. كنا ندخل ونخرج منه كما

يدخل ويخرج المرء من غرفة بيته إلى أخرى

بلا حرج ولا استئذان أغلب الأحيان. ولأننا من

غير موديلات للرسم كانت مجموعتنا تستعير

واحدا من مجموعة أخرى، وكنا نتسابق على

إقناع واحدة من الفتيات الثلاث: ليلي العطار،

وسيرين الأرمنية، وعزيزة جرار الأردنية، أو

من قسم اخر (كان في الأكاديمية ثلاثة أقسام:

السينما والنحت والرسم).

لم يدم هذا الحال الجميل أكثر من عامين

دراسيين، حتى ألغت سلطة البعث عام 1963

الأكاديمية، وسمح لطلابها (الدورة الأولى

والثانية) بإكمال دراستهم على ما أدخل من

منهج دراسي بعيد عن متطلبات الجامعة

التقليدية، ونقلوا إلى بناية معهد الفنون

الجميلة العريقة مقابل البلاط الملكي في

الوزيرية (خصّص المبنى الخلفي للمعهد لقسم

النحت، والرسم، والكرافيك).



لم يحصل خريجو «الأكاديمية الملغاة» على

شهادة جامعية، وزودوا بوثيقة تخرج تشهد

على سنوات الدراسة ودرجات التحصيل،

فوجدوا أنفسهم أمام أبواب عمل مغلقة.

آنذاك فتحت السعودية أبواب مدارسها

لخريجي الفنون من البلدان العربية للعمل،

فقرر عدد كبير من خريجي الأكاديمية السفر

إلى هناك طلباً للرزق لا غير. في تلك الفترة

كان شاكر حسن آل سعيد وخالد الجادر

يعملان في السعودية.

أعود إلى خريف عام 1962 في قصر

العيواضية على دجلة مقابل محطة الكهرباء.

لم يبلغ أحدنا العشرين من عمره غير اثنين؛

أنور الغساني معلم الرسم القادم من كركوك،

وهاشم سمرجي خريج سابق من معهد الفنون

الجميلة ومدرس الرسم في الموصل، الذي سبق

له وتلمذ على يد أستاذ الرسم الفذ فائق

حسن، فكانت لهاشم مكانة وحظوة خاصة

لديه.

إضافة إلى هندامه كمعلم واتزانه زاد شارياه

الكثيفان وقارا وهيبة، فيما كنا ما زلنا نتعلم

كيف نحلق وماذا نلبس، وكيف نقدد الأربطة

على أعناقنا. كانت أسواق البالة مصدر ذوقنا

العبثي ومنقذنا من سوء الحال. كان الأساتذة

يعتمدون على هاشم ويولونه ثقتهم في تنظيم

أمر المجموعة والمعارض السنوية، وكان أشدنا

حرصاً وانضباطاً. لعبت نشأته العائلية دوراً

في إعدادة للحياة كرجل متكامل في مجتمع

محافظ مثل الموصل.

لعل هذه التفاصيل من حياة هاشم سمرجي

الشخصية لا تعني أحداً، لكنها شكلت عندي

على نحو خاص حاضنة لتحولي من ولد عابث،

مدلل، مهمل لحياته، إلى رجل ناضج . في

عام 1964 دعوته في العطلة الربيعية لزيارتي

إلى العمارة، وفي بيت العائلة هناك، وهو بيت

شعبي شبه ريفي تحت الأبقار والدجاج والبط

نصف البيت الخلفي في مزاح خاص بها، غني

بالجثّ والخيز اليابس والعاقول، والأكبر حجما

بيدر من المطال لم ينفد يوماً بوجود بقرتين

حلوبتين في المراح.

دُهش هاشم دهشة طاغية من البيت الذي

ترعرعت به ، كما كشفت له المدينة عن وجهها

الرعوي بلا تزويق ولا مسوح تمدن، ولغرائب

لا يراها المرء إلا هناك؛ الجاموس على ضفاف

الأنهار ومستعمرات الفقراء في حزام المدينة

في صرائف قصب، وفي العمق البساتين بلا

حدود. بعد يوم أو يومين سألتني إن كان في

العمارة ناد يسمح به شرب الخمر!

لم أكن من هذه الشريحة الذي يتعاطون

الخمر ويرتادون النوادي، ولم أشاهد من

يتعاطى الكحول غير أبي الذي كان يشرب في

البيت، تحيطه العائلة كلها تنتظر نشوة الخمرة

ترفع روحه ليغني، وكان ذا صوت شجي

يشبه صوت داخل حسن. وكان من أصدقاء

المجموعة النادرة (ناصر حكيم وداخل حسن

وحضيري أبو عزيز)..

رافقنا في أيام الزيارة تلك، زميلنا ناصر

علي ناصر الذي التحق بقسم السينما في

الأكاديمية، كان مشروع رجل سينما، أشقر

وسيم جدا، شاعر، ونصف مجنون، أتذكر

بيتهم في سبع قصور (منطقة الأغنياء)،

سافرنا معا للسعودية، حيث قتل دهسا في



مدينة الخُبر، أيام رمضان ربيع 1967، وكما

قليل بسبب علاقة حب بأميرة سعودية.

سألت رجلاً كبيراً من العائلة عن مكان

لاحتساء الخمرة في المدينة، فدلّني على نادي

المعلمين عبر النهر. سهرنا هناك في مساحة

تشبه حديقة، بل هي حقل على ضفة دجلة

تحده شجيرات دقلی، وفوقنا سماء يصعب

على النجم أن يجد فيها مكاناً شاغراً له...

كان درب التبانة الأقرب إلينا، له مداخل

ومخارج، واختلطت الأرض، والنهر، ونجوم

السماء والدقلی في كأس الخمرة الأولى في

رأسي... كانت المرة الأولى التي أحاول، كل

يوم، استعادة ديبها.

بعد أكثر من أسبوع سافرنا إلى الناصرية

بدعوة من فائق حسين. هناك تعرفت على

شباب لم أصادقهم بعد تلك الزيارة إلا نادراً

: عبد الرزاق حسن، عزيز عبد الصاحب،

حسين نعمة، وخضير ميري، وكان فائق حسين

القطب الذي اجتمعنا حوله، هو الآخر ظل

يخاثل النسيان ويهرب منه.

بعد تخرجنا من الأكاديمية، سافرنا إلى

الدمام، وسكنا معا مع اثنين في بيت كبير في

منطقة عمال شركة أرامكو العرب، وكانوا

مصدراً موثقاً لتزويدنا بصناديق الويسكي

التي يحصلون عليها رخيصة من مقر شركة

أرامكو التي يعملون فيها في الظهران. أنشأت

مرسماً في غرفة فوق السطح، وأنتجت فيها

أعمالاً كبيرة على الورق بالألوان المائية

والأصماغ، (آنذاك أنتج شاكر حسن آل سعيد

ورومان ارتموفسكي أعمالاً مذهلة في الألوان

المائية، فشاعت روحها بين الشباب). أنتجت

أعمالاً شاركت ببعضها في المعرض الأخير

لجماعة المجددين في ربيع 1967 في جمعية

التشكيليين والكثير الذي تبقى منها أخذته

معي إلى ليوبليانا عام 1968 (فقدتُ الأعمال

كلها، لم أتعب نفسي في البحث عنها وكأنها

ليست لي، وهكذا استمر الحال حتى اليوم،

فما أحققه يعود لرجل كان أنا، الذي يعنيه

أمري أكثر مما يعنيني أمره)...

فيما كنتُ مهموما بالرسم واختراع سطوح

تتفرد بنفسها وتتفرد بجمالها، ومحاول

محمومة لفهم أعمال عمانويل كانت التي

جلبتها معي من بغداد، معتقداً أن صحراء

الربع الخالي مكان مناسب لفهم الفلسفة، كان

عقل هاشم وروحه منشغلان بحبه الجديد

«سلمى القس» التي قضى كل حياته معها فيما

الفنان ابراهيم زاير

الفنان يحيى الشيخ، الفنان هاشم سمرجي والمسرحي بسام الوردي، السعودية العربية



الفنان فائق حسين.

الفنان هاشم سمرجي.
اكريلك على الخشب. 100 x 100 سم.



الدورات اللاحقة.

عين هاشم رئيساً للقسم، وكان هذا مكانه الطبيعي لضبط إدارة العمل والإشراف عليه. كانت لمهنة التصميم أثرها البين على تحول هاشم من فنان اكاديمي وتشخيصي تعبيرى إلى تجريدي بحث. أنجز خلال تلك السنين أعمالا هندسية تسمى الفن البصري! كانت روح التصميم الطباعي متسيدة طاغية. سبقه إلى هذه النزعة مهدي مطشر الذي اجتهد فيها وتعمق في البحث عن مصادر جمالياتها خلال سنوات حياته في باريس... عرض بعض من أعماله في اول زيارة له الى بغداد في المعهد الثقافى الفرنسي.

انضم هاشم إلى جماعة «الرؤيا الجديدة» بداية سبعينات القرن المنصرم، وقدم أعماله تلك في معرضها الأول وربما الثاني أيضا؛ لكنه سرعان ما توقف عن الرسم إلا ما ندر، ثم غرق في العمل كمصمم مجلات فنية وبرع

بعد. أتذكر أنني كتبت له أكثر من رسالة حب، وأتذكر أيضا أنني كنت أجيد الكتابة. كانت تلك السنين أيام البحث عن لبُّنات صالحة لبناء الذات، والاختيارات المصيرية التي جاءت بخيارات قوى أخرى، فقرر هاشم الزواج حال عودته من السعودية وقد تجاوز عتبة الثلاثين من عمره، فيما قررت إكمال دراستي في ليوبليانا على حسابي الخاص، وكان حساب على الحديد كما يقولون.

أغلب الأيام تلك، لم يكن لدينا ما نفعله في الدمام بعد ساعات العمل الصباحية، فإما أن نتجول مساءً في شوارع المدينة التي عرفنا شعابها منذ الأيام الأولى، أو نستأجر عربية إلى ميناء الحُبر: (مدينة ذات أسواق وبحر هادئ، ووجوه أوروبيين وأوربيات، خالية من المطوعين أصحاب عصي الخيزران، الذي يجوبون في الشوارع ينفذون الناس بعصيتهم للتوجه للصلاة). كان هاشم يصبر على أن تكون عربية الأجرة من آخر طراز ما دمنا سندفع نفس الأجرة، فيما بعد، فهمتُ تمسكه الصارم بدقة الأشياء وانضباطه العالي، لكنه كان هكذا وانتهى ليكون هكذا.

في اليوم الثاني من عودتي من ليوبليانا بعد إكمال دراستي للكرافيك في أكاديميتها العريقة، عام 1970، زارني هاشم، وأبلغني أنه التقى السيدة لمعان البكري، مديرة المعارض في وزارة الإعلام، وأبلغته عن نية الوزارة تأسيس قسم للتصميم تابع لمديرية الثقافة العامة، وحدثته عن مشاريع فنية كبيرة وهي تبحث عن مختصين في هذا الشأن، وشجعني على تقديم ملفي طلباً للعمل. بعد أربعة أشهر افتتح القسم من ثلاثة فنانين/ هاشم سمرجي وصادق سميسم وأنا، وسرعان ما التحق بالقسم عدد آخر من خريجي الأكاديمية من

كتاب بغداد. تاريخها وآثارها. بشير فرنسيس 1959

أرشيف العزاوي. لندن

بغداد
تاريخها وآثارها

موضعها لما بويج أبو جعفر المنصور العباسي بالخلافة ، وجد أمامه مسائل كثيرة تتطلب الحل والتحقيق لتوطيد أركان الدولة الجديدة . وقد نجح فيها جميعا فسمي بحق مؤسس الدولة العباسية . وكان من جملة تلك القضايا البحث عن عاصمة تليق بعظمة دولته وتقويم في موضع طيب خصب يتوسط أقاليمها ويشرف على أطرافها ويتصل بسهولة بكل جزء من أجزائها .

فخرج المنصور بنفسه مع خاصته يرتاد موزعا حسنا للعاصمة فتتقل من مكان الى مكان متبعا ضفاف دجلة حتى بلغ به المطاف الى موضع بغداد في جانبها الغربي فاستحسنه وأمر بالبناء .

لقد كتب الجغرافيون المسلمون كثيرا في المزايا العديدة الحميدة لموضع بغداد . ويروي أحدهم (المقدسي) مثلا ان الخليفة انتصح بما أشار به عليه أهل ذلك الموضع الذين خبروه في الحر والبرد وأثنوا عليه ويذكر أنهم قالوا له : « ... تنزل في بغداد فانك تصير بين أربعة طساسيح ، طسوجان في الجانب الغربي وطسوجان في الجانب الشرقي . فاللذان في الغربي قطربل وبادوريا واللذان في الشرقي نهريوق وكلواذي . فانت تكون بين نخل وقرب الماء . فان أجذب طسوج وتأخرت عمارته كان الآخر عامرا . وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة من المغرب وفي الفرات تجيئك طرائف الشام ومصر وتلك البلدان . وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة . وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها حتى تصل الى الزاب . وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة واصل في دجلة . وأنت بين أنهار لا يصل



اليك عدوك الا على جسر أو قنطرة ، فاذا قطعت الجسر وأخرت القناطر لم يصل اليك عدوك • وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج الى العبور • وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله • وأنت قريب من البر والبحر والجبل • »

اسمها ثم ان المنصور بدأ في ربيع سنة ١٤٥ للهجرة (٧٦٢ م) وأثناء فيضان دجلة ببناء مدينته المدورة التي اختار لها البقعة الممتدة بين الكاظمية ومحلة الكرخ • وتقوم معامل السكك الحديد الحالية في السلجية (الشالجية) قسم من بقاياها وحيث كان ينتشر في أطرافها قرى أهلة وديارات عامرة ، وتتخللها البساتين والرياح الزاهرة • وأمر أن تسمى « مدينة السلام » • الا ان هذا الاسم اقتصر استعماله على المراسلات الحكومية وبه كانت تضرب النقود العباسية • أما الناس فجزوا على استعمال اسم «بغداد» القديم وظل هذا الاسم هو الغالب على مدينة المنصور والى يومنا هذا • فلهذا ورد في الكتابات المسمارية التي ترجع الى العصرين البابلي والآشوري اسم بصورة « بغدادو » و « بغدادي » و « بكدادو » وتقرأ « خدادو » أيضا • وبعض هذه الكتابات جاء من أوائل الالف الثاني قل الميلاد • ويتبين منها أن مدينة قرب بغداد الحالية واقليما أيضا كانا يعرفان بمثل هذا الاسم حينذاك ، فالاسم الحالي انحدرالينا من هذا الاسم القديم • مع ذلك فقد ذهب بعض الباحثين الى أن أصل اسم بغداد فارسي وهو ما كان قد ذهب اليه بلدانيو العرب أيضا نقلا عن سبقهم ، فقالوا ان اسمها مركب من كلمتين فارسييتين « بغ داد » ومعناها عطية الاله • وأرجعه بعضهم الى أصل آرامي مركب من « ب » المقتضبة من كلمة « بيت » و « كداد » أي « الغنم » ومعنى ذلك بيت الغنم •

تأسيسها أحضر الخليفة المنصور المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين فمثل لهم صفتها التي في نفسه • ثم أحضر الفعلة والصناع من التجارين والحفارين والحدادين وغيرهم من بلاد الشام والموصل وفارس وبابل وجعل أربعة مراقبين على هؤلاء كان أحدهم الامام أبا حنيفة النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الحنفي المعروف وقد كان ينظر في أمر تسلم الآجر •

وصف المدينة المدورة

ثم اختطها وجعلها مدورة • وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحب أن ينظر اليها عيانا ، فأمر أن تخط بالرماد وأن يجعل على تلك الخطوط حب القطن ويصب عليه النفط ، فنظر اليها والنار تشتعل • ففهمها وعرف رسمها • وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم • فابتدىء بحفر الأساس ووضع بيده أول آجرة في بنائها وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين • ثم قال : ابنوا على بركة الله » • وأقيم لها في أول الامر سوران • ثم قام حول مركز المدينة سورانا لثا داخلا فتألف من مجموع الاسوار الثلاثة دوائر ذات مركز واحد هو جامعہ وقصره المعروف بقصر الذهب • وجعل في كل سور أربعة أبواب بين باب وباب ميل واحد • وعلى كل باب قبة عالية وبين كل قبتين ٢٨ برجا • وفوق القصر القبة الشهيرة المعروفة بالقبة الخضراء في أعلاها فارس بيده رمح يتجه الى حيث يتجه الريح • وقد تم بناؤها وجميع مرافقها في سنة ١٤٩ هـ • ثم أمر المنصور بأجراء الماء اليها من قناتين احدهما من نهر دجيل الآخذ من نهر دجلة والثانية من كرخا الآخذ من نهر عيسى الآخذ من الفرات • وكان أكثر ماء بغداد في هذا الجانب من الفرات لانه أعلى مستوى من دجلة كما كان ماء دجلة في تلك الازمان قليلا لكثرة ما كان يسحبه منه القاطول الكسروي والنهروان وكان القاطول يأخذ ماءه من دجلة فوق سامراء ثم يتصل بالنهروان عند بعقوبا الذي ينتهي الى دجلة قرب الكوت • وكان يسقي الارضين شرقي بغداد • وكانت المياه تجري في مدينة المنصور في مجار من خشب الساج • وقني معقودة • وقد فعل كل ذلك لئلا تدخل دواب السقائين المدينة فتلوثها •

أبواب المدينة المدورة

وكانت أبواب المدينة الاربعة هي : (١) باب البصرة في الجنوب الشرقي وهو يفضي الى الارياض الممتدة على ضفة دجلة حيث تصب فروع نهر عيسى • و (٢) باب الكوفة في الجنوب الغربي ويخرج منه طريق الحج الماد جنوبا • و (٣) باب الشام في الشمال الغربي حيث يتفرع الطريق يسارا الى الانبار على الفرات ويمينا الى المدن الواقعة على ضفة دجلة الغربية شمال بغداد • و (٤) باب خراسان المؤدي الى الجسر الكبير على دجلة لمن أراد عبور النهر • وكان يفضي الى بغداد الشرقية فطريق خراسان الذي

يصل العاصمة بأقاليم الدولة الشرقية • ولم يبق من هذا السور أثر اليوم ولكن من المحتمل أن بعض الكُتبان والمرتفعات التي تلاحظ حول موضع المدينة المدورة تشير إليه •

محلّاتها ولقد نشأت مع الأيام أرباض واسعة حول المدينة المدورة • ولم يمض وقت طويل حتى اندمجت في نطاق المدينة نفسها • وكان الربض العظيم الممتد من باب الكوفة الى خارج الى خارج الاسوار يعرف بالكرخ وكانت الكرخ محلة التجار لان المنصور حرم البيع والشراء داخل أسوار مدينته • وقد أخذت هذه المحلة اسمها من قرية كانت هناك قبل الاسلام • وقام غرب المدينة ربض باب المحول وكان في شمال باب باب الشام محلة الحربية سميت بذلك نسبة الى قائد من قواد المنصور يقال له حرب كان معسكره هناك • ووراءها مقابر قريش في الشمال يجاورها محلة باب التبن وعندها يقع مشهد الامام موسى بن جعفر ، قامت حوله بلدة الكاظمية العامرة اليوم نشأت خارج باب البصرة محلة باب البصرة ويتاخمها محلة الشرقية •

وامتد العمران الى الجانب الشرقي فعرف بعسكر المهدي أولا لان المهدي بن المنصور بنى قصره وانشأ المسجد الجامع هناك ، ثم اتسعت بغداد الشرقية وقامت فيها ثلاث محلات: محلة الرصافة قرب رأس الجسر وعندها مشهد الامام ابي حنيفة نشأت حوله بلدة الاعظمية العامرة الى وقتنا • ومحلة الشماسية فوقها على النهر ومحلة المخرم تحتها واحيطت كلها بسور نصف دائري يبدأ من ضفة النهر فوق الشماسية وينتهي بالنهر ايضا تحت المخرم • ونستطيع القول ان هذه المحلات كانت تمتد من موضع باب المعظم الى ما يعرف بالصلبخ في الوقت الحاضر ولم يبق من هذا السور ايضا اثر في يومنا • وكان يخترق بغداد الشرقية أول طريق خراسان الذي يعبر الجسر الكبير من باب خراسان في مدينة المنصور ، ثم يخرج من باب خراسان في بغداد الشرقية حتى يبلغ اقاصي اقاليم الدولة في الشرق •

اتساعها وفي غضون القرون الخمسة التي عاشت فيها الخلافة العباسية تغيرت خطط بغداد وأرباضها تغيرا كبيرا لاتساع المدينة من جهة وخرب بعض أقسامها من جهة أخرى ، فان الحروب الداخلية التي نشبت بعد وفاة هرون الرشيد قد أوقعت الدمار والخراب

في المدينة المدورة • وقل شأن بغداد وانحطت مكانتها لما نقل الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد مقام الخلافة في سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦م) الى سامراء وأقام في هذه العاصمة الجديدة سبعة من الخلفاء من بعده • ولما عاد كرسي الخلافة الى بغداد بعد نحو من خمسين سنة كانت بغداد الشرقية قد خلفت مجد المدينة المدورة بما استجد فيها من القصور الكثيرة التي شيدها الخلفاء والامراء والوزراء • وأقام الخلفاء في الجانب الشرقي خلال القرون الاربعة التالية حتى الفتح المغولي ، فازداد الجانب الغربي بذلك خرابا على خراب •

وقد ابنتى الخلفاء في اواخر العصر العباسي قصورهم في جنوب محلة المخرم وما عثم ان نشأ حول هذه القصور ارباض جديدة • ولم يمض عليها غير وقت قصير حتى احيطت هي ايضا بسور عظيم نصف دائري • وكان سور بغداد الشرقية الجديد يضم قسما من محلة المخرم العتيقة ويبدأ من ضفة النهر فوق القصور وينتهي في ضفة النهر تحتها • وقد شرع في بناء السور الخليفة المستظهر بالله في سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥م) وأكماله المسترشد بالله سنة ٥١٧ هـ (١١١٩م) ثم رم غير مرة الا انه في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) لم يقو على صد هجوم المغول فانهى الامر بسقوط الخلافة العباسية •

ومن آثار بغداد الشرقية القائمة في يومنا المدرسة المستنصرية المطلة على دجلة عند الجسر ومأذنة جامع الخلفاء المعروفة بمنارة سوق الغزل المحاذية لشارع الجمهورية الجديد والبنية المسماة القصر العباسي لصق القلعة •

أبواب سور بغداد الشرقية

وظل معظم هذا السور قائما مع ابوابه الى عهد قريب ، فقد كان يكتنف المدينة من أعلاها مبتدئا من النهر عند القلعة فباب المعظم (وكان يسمى في القديم باب سوق السلطان) فالباب الوسطاني (وهو باب الظفرية) فباب الطلسم (وهو باب الحلبة) فالباب الشرقي في الجنوب (وهو باب البصلية أو باب كلواذي لانه يفضي الى طسوج وبلدة كلواذي وهي تسمى اليوم الكرادة الشرقية) حتى يتصل بالنهر ثانية • وقد اندثر هذا السور على عهد الوالي مدحت باشا • ثم زالت البقية الباقية منه مع ابوابه يعد ذلك ولم ينته لينا منه غير باب واحد في جهته الشمالية الشرقية هو الباب الوسطاني

الذي رممته مديرية الآثار العامة واتخذت منه متحفا للأسلحة القديمة في سنة ١٩٣٩ •
 أما باب الطلسم (الصورة ٣) فقد نسفه الاتراك سنة ١٩١٧ حين خروجهم من بغداد
 وكانوا قد استعملوه مخزنا للسلاح والذخيرة • وباب المعظم هدم في أوائل الاحتلال البريطاني
 بعد الحرب العالمية الأولى • كما هدم الباب الشرقي قبل أكثر من عشرين سنة •

لقد زالت معالم هذا السور زوالا تاما ، ولم يبق منه على ما بيناه سوى باب واحد
 هو (الباب الوسطاني) أي باب الظفرية قديما • أما بغداد نفسها فقد اتسعت عمارتها في
 السنوات الأخيرة بعدما أصابها من تقلص وقلة سكان في القرون الستة الماضية •
 فامتدت خارج حدودها القديمة مسافات بعيدة • فاتصلت البنايات من جهة باب المعظم
 في الجانب الشرقي حتى بلغت الأعظمية فالصليخ ، أي أنها شملت ما كان يعرف قديما
 بمحلات المخرم والرصافة والشماسية وسوق العطش • ومن الجنوب اتصلت من الباب
 الشرقي حتى الزوية والسبعة قصور وامتدت شرقا إلى بغداد الجديدة ، أي أنها شملت
 ما كان يعرف قديما بطسوج كلواذي وجزءا من طسوج نهر بوق • أما في الجانب
 الغربي ، وقد كان إلى سنوات قليلة يقتصر على ما كان يعرف بالكرخ ، فقد امتد العمران
 فيه إلى الكاظمية شمالا وكرادة مريم والدورة جنوبا والحارثية والمأمون غربا ، أي
 شملت ما كان يعرف قديما بمدينة المنصور المدورة وما حولها من محال وقسما من
 طسوجي بادوريا وقطربل • فأصبح طول بغداد اليوم من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها
 نحو من عشرين كيلو مترا ومثلها من شرقيها إلى حدها الغربي • فلم تبلغ في عصر
 من عصورها ما بلغت اليوم من سعة وعمران •

آثارها الشاخصة

تحولت بغداد بعد الغزو المغولي من عاصمة دولة عظيمة إلى مدينة اقليمية • ومع
 ذلك فلا الحروب والحصارات التي احاقت ببغداد ، ولا تخريبها وتخريبا عظيما في
 الحصار المغولي واحتلال المغول لها ، ولا ما اعتب ذلك من غزوات ومعارك سواء
 أكان ذلك في العهدين الجلائري والتركماني أو الحكيمين الصفوي والعثماني حين
 كانت تتناوب بغداد في خلالها الأيدي المتنازعة وتتحكم فيها القوى الطامعة ، ولا ما
 أصابها في هذه العصور المظلمة من كوارث ووابئة أو حرائق وفيضانات ، قد كان لها
 التأثير الخطير على سيادة بغداد وبقائها عاصمة للعراق ، ومركزا قويا إن يجاريه مركز

آخر في البلدان العربية من النواحي السياسية والعسكرية والعقلية والاقتصادية •

وفي الواقع ان تظافر كوارث الطبيعة وتخريب الانسان على بغداد خلال تلك
 الازمان قد قضى على أبنيتها، وذهب بجمالها وأزال آثارها وطمس معالمها وأضاع خططها
 ولم يسلم من تلك القصور الشاهقة والمباني الفخمة والمساجد الجامعة والمدارس الحافلة
 الا قليل من الآثار العباسية والمباني التي شيدت بعد العهد العباسي • من ذلك : المدرسة
 المستنصرية والبنية المعروفة بالقصر العباسي • وعدد من المآذن والاضرحة • وباب
 الظفرية في سور بغداد المعروف بالباب الوسطاني • على أن هذا الذي سلم من أبنيتها
 كان نهبا مقسما بين الإهمال والاطماع ، مما زاد في تصدع جوانبه وتشويه بنيانه وضاع
 بعض أقسامه • ولكن ما بقي من اجزائه خير دليل على ما وصلت إليه الرياضة في ذلك
 العصر الزاهر من رقي ، وعلى بلوغ أبناء العراق شأواً عاليا في الفن والعمارة والصناعة
 ولا سيما في الزخرفة والنقش وما إلى ذلك • وما ان تسلمت الأيدي الوطنية ادارة
 شؤون الآثار بعد زوال الانتداب البريطاني عن العراق في أوائل العقد الثالث من هذا
 القرن ، حتى بادرت إلى بذل ما في وسعها من جهد ونشاط لانقاذ البقية الباقية من
 ما أثرنا ، المحافظة على ما سلم من معالم رقيها الفني والعمراني • فوضعت لها خطة تسير
 على نهجها في ترميم المباني المتصدعة واحياء المهجور منها واخراجها للانظار بثوب قشيب
 ومظهر قريب من حالتها الأولى •

ومن أهم تلك الأبنية التي عني بصيانتها : القصر العباسي في قلعة بغداد والباب
 الوسطاني القريب من ضريح الشيخ عمر السهروردي ، والمدرسة المستنصرية على دجلة
 الشرقية جنوب جسر المأمون • لقد كانت هذه الأبنية التاريخية قبل أن تعمل فيها يد
 التنظيف والترميم قد أخذ منها الدمار كل مأخذ بسبب الإهمال الشنيع طوال القرون
 السنة الأخيرة • فإلى ما أصابها من تخريب بفعل العوامل الطبيعية فإنها لم تنج من يد
 الإنسان المدمرة فقد قلعت بعض جدرانها واحداثت جدران غيرها • وسدت مداخل
 وأبواب ونوافذ وفتحت أخرى بدلا منها • فان هذه المباني قد استخدمت في الادوار
 المتأخرة لأغراض حكومية مختلفة • فكانت مهمة انتاؤها على هذا ، شاقة صعبة ،
 وتطلب العمل جهدا كبيرا وصبرا عظيما •

بدأت مديرية الآثار العامة بأعمال الصيانة في القصر العباسي في سنة ١٩٣٥ (الصورتان ٥ و ٦) وفي الباب الوسطاني في سنة ١٩٣٨ (الصورة ٢) ، وفي المدرسة المستنصرية عام ١٩٤٦ (الصورتان ١٣ و ١٤) ويرقى زمن هذه المباني الى اواخر عهد الدولة العباسية . فالقصر العباسي والباب الوسطاني من أبنية المائة السادسة من عهد الخليفة الناصر لدين الله . أما المدرسة المستنصرية فمن أبنية الثلث الاول من المائة السابعة فقد شرع الخليفة المستنصر ببنائها في سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧م) وتكاملت في سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) . لقد شيدت هذه المباني بالآجر المحكم التشكيل والجص وسقوف غرفها وحجراتها واروقتها معقودة بهما كذلك .

وتتشترك المدرسة المستنصرية والقصر العباسي بوجود ايوان او اكثر واسع الفتحة وعلوه يعادل علو طابقي البنايتين يزين معظم أجزائه زخارف جميلة التكوين رائعة المظهر . ان الزخارف التي تزين هاتين البنايتين، لا يمكن وصفها بالكلمات لدقة صنعها وروعة منظرها وتنوع اشكالها وانسجام تنسيقها وبداعة تركيبها وترتيبها . وكلها مصنوعة من الآجر . ومثل هذه الزخارف توجد في عقادات الاروقة والاواوين واركانها واقواسها وفوق ابواب غرفها وحجراتها . ويتكون نظام هذه الزخارف من تلاصق قطع عديدة من الآجر ، مختلفة الاشكال والحجوم . كل قطعة منها منقوشة نقشا دقيقا على غرار حفر النقوش في المعدن او الخشب . وهذه القطع المتنوعة شكلا وحجما ونقشا مركبة تركيبا دقيقا متداخلا متعاشقا فتألف من مجموعها منظرا رائعا أخاذاً، انه كحديقة غناء متنوعة الازهار والورود قد تجلت بها الجدران . وتتألف نقوش هذه الزخارف من انواع ، منها الهندسية ومنها الزهرية . وبينها المنقوش على سطح مستو أو على سطح مقعر قليلاً أو محدب قليلاً ، وبينها البارز وبينها الواطيء .

ويتشابه القصر العباسي والمدرسة المستنصرية كذلك بتخطيط بنائيهما وهو يتألف من صحن مستطيل أو مربع في الوسط تحف به الاواوين والغرف والحجرات المفتوحة ابوابها على الصحن وامامها اروقة متصلة البناء وذلك في طابقي القصر العباسي وفي الطابق الاعلى للمدرسة المستنصرية . وفي كل من البنايتين بقايا مسجد في الضلع القبلي . ومما تجلت به المدرسة المستنصرية خصه العبادات المدبرية الجديده الى

تزرق بعضها زينة نباتية . ومن هذه الكتابات ما هو في وجه جبهتها المطلة على دجلة ، وهي مكتوبة بخط الثلث الكبير الجميل معظمها جدد في زمن السلطان العثماني عبدالعزيز خان في سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وبعضها الاخر يحتوي على اسم مؤسسها ، وقوام هذه الكتابات قطع الاجر المهندم وضعت كل قطعة لصق اختها . وقد يتكون الحرف الواحد من قطعتين أو أكثر من الآجر أعلى سطحاً من قطع الارضية المزخرفة .

لقد اصاب القصر العباسي في ايام الحكم العثماني تشويه كبير ، وضاع منه ضلعان وهما الشمالية الغربية والجنوبية الغربية . الا ان ايوانه ومدخله وحجراته بقيت قائمة لحسن الحظ رغم ما اصاب زخارفها من تشويه وتكسر . فبدلت مديرية الآثار العامة مجهودا عظيما في اعادته الى حالته الاولى ، فتجلت نفائسه الزخرفية واتضحت معالمه الاصلية . فاتخذته متحفا لقسم من الآثار الاسلامية وعلى الاخص الحجرية منها كالمحاريب ومداخل المصليات والقطع التي تزينها مختلف النقوش والكتابات . اما المستنصرية فلم تسلم من الاعتداء لما دخل المغول بغداد . ثم اعيد اليها شيء من سابق عهدها وابقاها . وفي العهد العثماني اتخذت مخزنا للسلع ودائرة للكمارك والملاحاة حتى وفقت دائرة الآثار العامة الى انقاذها ورمها واصلاحها واحياء شيء من مركزها العلمي باتخاذ بعض حجراتها صفوفا لتدريس طلبة معهد الآثار والحضارة .

الباب الوسطاني

اما الباب الوسطاني فقد كان قبل تسلم مديرية الآثار العامة له مهجورا مهملا وسط أكداس من الانقاض القاذورات فمال الى التصدع والخراب وبعد ان رُم وصلح اتخذ متحفا للسلاح .

منارة سوق الغزل

ومن الآثار الباقية عدد من الاضرحة والماذن منها: المنارة المعروفة بمنارة سوق الغزل (الصورة ١٢) . وتقوم هذه المنارة الشاهقة الفخمة حيث كان جامع القصر الذي بناه الخليفة المكتفي بالله العباسي في أواخر المائة الثالثة للهجرة في شرقي دار الخلافة في الجباب الشرقي ولم يبق من بنيان هذا الجامع شيء . اما المنارة القائمة فانها من ابنية

العهد الایلخاني وتم تشييدها سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) في ولاية علاء الدين عطا ملك الجويني على عهد أبا قسا بن هولاکو . وقد عنيت مديرية الآثار العامة بها فأصلحت ما خرب منها وأزرت قاعدتها ورمت المتصدع منها . وصارت بعد خراب جامعها بين دور حقيرة ومواضع قدرة الا ان فتح شارع الجمهورية في هذه السنة ابرز روعتها وأظهرها بمحاذاة رصيفه .

قبر الست زبيدة :

والضريح المعروف بقبر الست زبيدة في الجانب الغربي قبالة الميناء الجوي (الصورة ١٠) . تعلوه قبة شاهقة تقوم على ثماني أضلاع وهي على الطراز المعروف بالطراز السلجوقي ، ظاهرها على هيئة ثمرة الصنوبر . ان هذا الضريح المنسوب الى زبيدة زوجة الخليفة هرون الرشيد والتي دفنت في مقابر قریش أي في الكاظمية يعود في الواقع الى السيدة زمرد خاتون التركية زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله ابنته لنفسها على عهد ابنها الخليفة الناصر لدين الله . وكان بناؤه قبل سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) التي هي سنة وفاتها .

جامع الخفافين (الحفظائر)

وكذلك منارة الجامع المعروف اليوم بجامع الخفافين (الصورة ١١) . وكان في الاصل يعرف بمسجد الحفظائر أو مسجد زمرد خاتون . وقد كانت أنشأته زمرد خاتون صاحبة الضريح المذكور آنفا سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) . ولم يبق من الجامع القديم غير هذه المنارة . وهي اقدم المنائر في بغداد عهدا .

جامع الشيخ معروف الكرخي

ومن المنائر القديمة الباقية ، المنارة القائمة في جامع الشيخ معروف الكرخي المتوفى سنة ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) حيث توجد تربته . وفي باطن احد ايوانات حوضها كتب « بنيت سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) » على عهد الخليفة الناصر لدين الله . وتزين هذه المنارة الجميلة مقرنصات زخرفية كثيرة في حوضها (الصورة ٨) . وهذا الجامع في بغداد الغربية .

جامع قمريه

ومنارة مسجد قمريه التي في الجانب الغربي ايضا . ومع ان هذه المنارة قليلة الزخرفة وخالية من الفنون العمارية الا انها مهمة من الناحية الخططية . فان اول من بنى هذا المسجد الخليفة المستنصر بالله سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) على ضفة دجلة وانفق عليه مبلغا ضخما ، الا ان ماء دجلة أضر به فسقط . ثم جدد بناؤه في عهد الحكم العثماني على ما نراه عليه اليوم (الصورة ٢٥) .

قربة الشيخ عمر السهروردي

ومن الاضرحة المشهورة في بغداد : قربة الشيخ عمر السهروردي وتقوم عند مقبرة الشيخ عمر قرب الباب الوسطاني (متحف السلاح) بنيت التربة في سنة وفاة الشيخ عمر سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) وعقدت فوقها قبة على الطراز السلجوقي وهي على غرار القبة التي فوق ضريح زمرد خاتون (الصورة ٩) . وفي باب التربة كتابة جاء فيها ان الوزير غياث الدين بن رشيد الدين قد جدد عمارة الضريح في سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) .

المدرسة المرجانية (جامع مرجان)

ومن الآثار القيّمة باب المدرسة المرجانية المعروفة اليوم بجامع مرجان القائم في وسط بغداد بشارع الرشيد (الصورتان ١٥ و ١٦) . بنى هذه المدرسة ومسجدها أمين الدين مرجان الاولجايتي مملوك بنت السلطان أرغون أخت السلطان أولجايتو . وتم بناؤها في أيام حكم أويس بن الشيخ حسن الجلائري سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٦ م) . وقد نقص هذا الجامع قبل بضع سنين وانشيء في موضعه مسجد حديث الطراز ، ولم يبق منه بنائه الاصل غير المدخل والمنارة وذلك بسبب الاستقامة التي اقتضاها وضع شارع الرشيد . وتزين هذا الباب من وجهيه الداخل والخارج وحول أركانه زخارف جميلة وأنطقه من الكتابات الفائقة الروعة وحسن الخط المنقوشة في الآجر . وفي مجملها شبيهة بزخارف القصر العباسي والمستنصرية . وقد جاء في الكتابة التي على باب المدرسة « انشأت هذه المدرسة المباركة من فواضل صدقات () انار الله برهانها في دولة ولدها النويان الاعظم السعيد الشيخ حسن نويان » .

خان مرجان (دار الآثار العربية)

ومن أوقات هذه المدرسة ، خان مرجان • وهذا الخان يقوم اليوم بين شارع السمؤال وسوق البزازين قرب شارع الرشيد • وهو خان فخم البناء فريد الطراز • انشأه أمين الدين مرجان سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٨ م) • ثم أخذت دائرة الاوقاف في العهد الاخير تؤجره للتجار فاتخذوه مخزنا للسلع فأل الى الخراب • الا ان مديرية الآثار العامة بذلت مجهودا كبيرا على ترميمه واصلاحه ثم اتخذته دارا للآثار العربية (الصورتان ١٧ و ١٨) •

المشهد الكاظمي

ومن المراقد المشهورة في بغداد واطرافها : مرقد الامام موسى الكاظم وقد سمي اولاً قبر موسى ثم « المشهد الكاظمي » نسبة الى لقب الامام • وهو قائم في موضع مقابر قریش ودفن فيه أيضا الامام التاسع الامام محمد الجواد التقي • ثم نشأت حوله بلدة نسبت الى اسم المشهد فسميت الكاظمية وهي معروفة به اليوم (الصورة ٢١) •

جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني

ومرقد الشيخ عبدالقادر الكيلاني (الصورة ١٩) وهو يقوم في المحلة المعروفة اليوم باباب الشيخ وكانت تسمى قديما بمحلة باب الحلبة • وهذا المرقد كان في الاصل مدرسة ابتناها الفقيه الحنبلي أبو سعيد المبارك بن علي المخرمي المتوفى سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) ثم جددتها ووسعها تلميذه الشيخ عبدالقادر المذكور المتوفى سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) ودفن فيها • وشيد السلطان سليمان القانوني قبة عظيمة فوق قبره • وفي زمن الوالي سنان باشا في أواخر المائة العاشرة للهجرة بديء ببناء جامع بجوار مرقد الشيخ •

جامع الامام الاعظم

وجامع الامام ابي حنيفة يقوم عند ضريح الامام المذكور الذي دفن في مقابر الخيزران سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) • ثم نشأت حول الضريح بلدة صغيرة عرفت بمحلة أبي حنيفة • وحين جددته شرف الملك أبو سعيد الخوارزمي على عهد السلطان

ألب ارسلان السلجوقي في سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م) وبنى عليه قبة كبيرة عرف بمشهد أبي حنيفة • وبنى بجواره أيضا مدرسة للحنفية • ثم أصاب هذا البناء الهدم والتغيير مرارا وجدد عمارته السلاطين والولاة العثمانيون • وكان اخر تجديد لهذا الجامع ومراقفه في السنوات الاخيرة (الصورة ٢٠) •

متاحف بغداد

ومن المفيد ان نذكر في الختام متاحف الآثار في بغداد ، التي ينبغي على كل متبع ومتقف زيارتها للامام بحضارات العراق في ادوارها المختلفة والتعرف بمراحل الرقي الواسعة التي قطعها العراقيون القدامى في مساهمتهم العظيمة في تقدم البشرية خلال العصور ، تلك المساهمة التي وان انقطعت في بعض الحقب التي خضع فيها العراق للحكم الاجنبي وساده الاهمال والطفان ، فان العراقيين في عهد الجمهورية المتحررة الزاهر سيغذون السير قدما في ركب المدنية والتقدم وسيعيدون الى بلادهم عمرانها وازدهارها ومجدها ورقيا • فترجع الشمس الى اشراقها النير والارض الى خضرتها اليانعة والمدن الى متاجرها الزاخرة ومصانعها المنتجة واعمالها النشطة ، والشعب الى حياته السعيدة وعيشته الرغيدة • وهذه هي متاحف بغداد :

١ - المتحف العراقي : في شارع المأمون • يضم الآثار التي عثر عليها المتقنون في عدد من المواقع الاثرية في العراق • وهي تمثل تراث العراقيين القدامى واثار حضاراتهم من اقدم العصور الحجرية حتى قيام الحضارة الاسلامية • فيجد الزائر اثار الانسان الاول وماثر السومريين والاكديين وحضارة البابليين والآشوريين وغيرهم من الاقوام التي استوطنت العراق في عصور مختلفة • كما تار العرب قبل الاسلام في الحضر والحيرة •

٢ - دار الآثار العربية : في خان مرجان في شارع السمؤال • وتحتوي هذه الدار على أهم الآثار الاسلامية المستخرجة من تنقيات مديرية الآثار العامة في الكوفة وواسط وسامراء وغيرها من المدن الاسلامية كما يجد الزائر بعض

اثار الخشب من صناديق الاضرحة وابواب الخشب المنقوشة والمطعمة وكذلك الاثار المصنوعة من النحاس كالقدور والصحون والصواني وما شابهها. وفيها أيضا المخطوطات النفيسة والمسكوكات الاسلامية والزخارف الجصية ♦

٣ - **متحف القصر العباسي :** في القلعة (بجوار وزارة الدفاع) ♦ وقد عرضت فيه الاثار الاسلامية التي جمعت من انحاء مختلفة من العراق بينها عدد من المحاريب والزخارف الجصية ♦

٤ - **متحف السلاح :** في الباب الوسطاني ♦ عرضت في داخل الحصن وفي ساحاته مجموعات من السلاح والاعتدة من ازمان مختلفة بينها المدافع التاريخية المشهورة كالمدفع المعروف بـ « طوب ابو خزامة » والقنابر وانواع من البنادق والبارودات والدروع والزرود والسيوف ♦

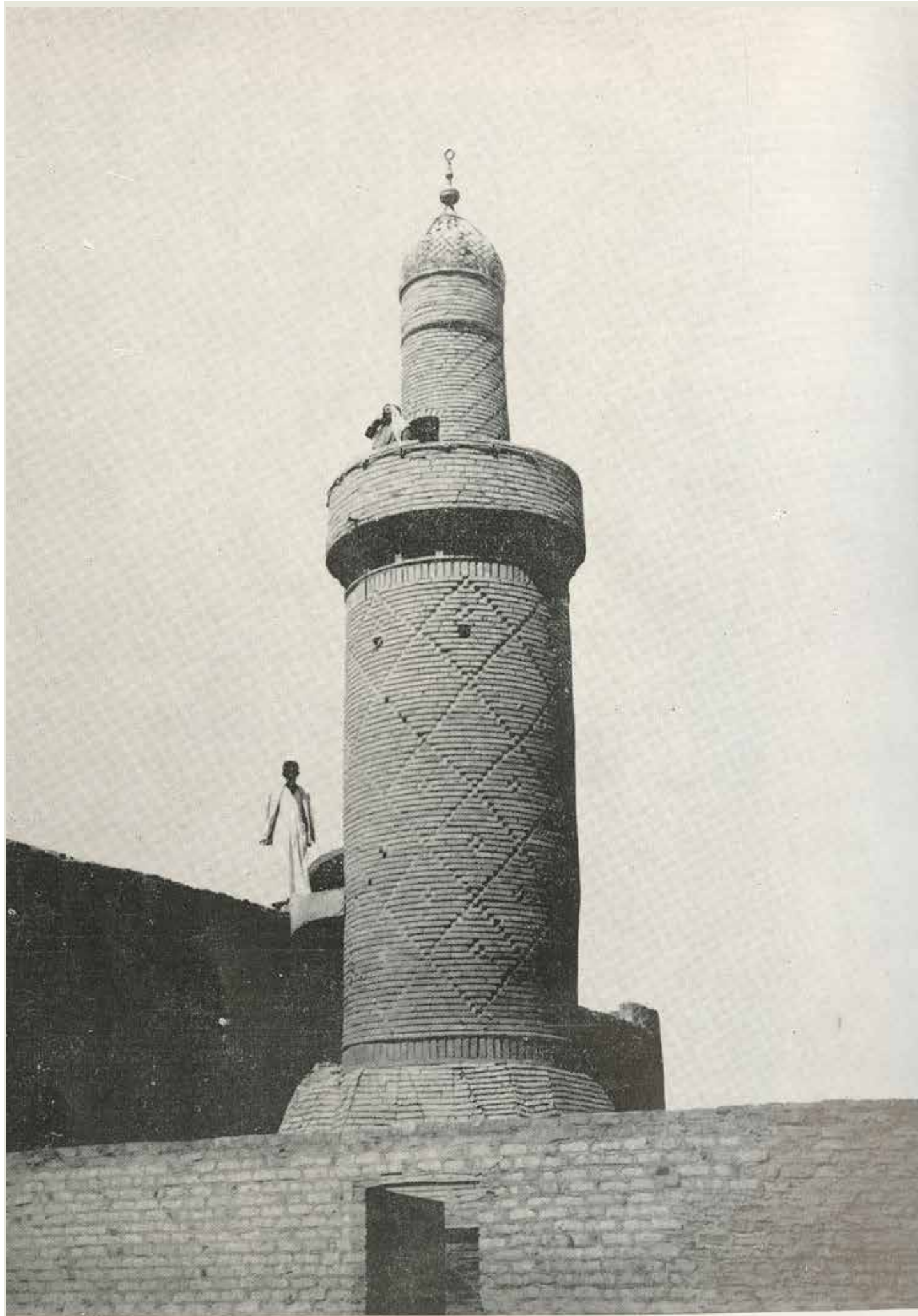
٥ - **متحف الازياء :** في شارع الامام الاعظم ♦ وقد عرضت فيه نماذج متنوعة من البسة العراقيين نساء ورجالا من المدن والارياف في الشمال والجنوب ♦ كما يجد الزائر فيه كثيرا من انواع اللوازم البيتية وغيرها من المواد الاثنوغرافية مما كان يستعمل في العراق في الحقبة الاخيرة ♦

٦ - **متحف الفن الحديث :** في شارع الامام الاعظم يضم عددا كبيرا من الرسوم والتماثيل الفنية الحديثة مما جادت به أيدي الفنانين العراقيين في جيلنا ♦

٧ - **بنية المتحف العراقي الجديدة :** في الجانب الغربي من بغداد قبالة محطة القطار العالمية، يجري العمل منذ سنتين في انشاء ننايات ضخمة على الطراز الحديث مستوفية جميع الشروط الفنية لمتحف عصري وهو من جملة مشاريع مجلس الاعمار تعرض فيه آثار حضارات وادي الرافدين على أكمل الوسائل والاساليب التي يستلزمها فن عرض الآثار ، وتشتمل



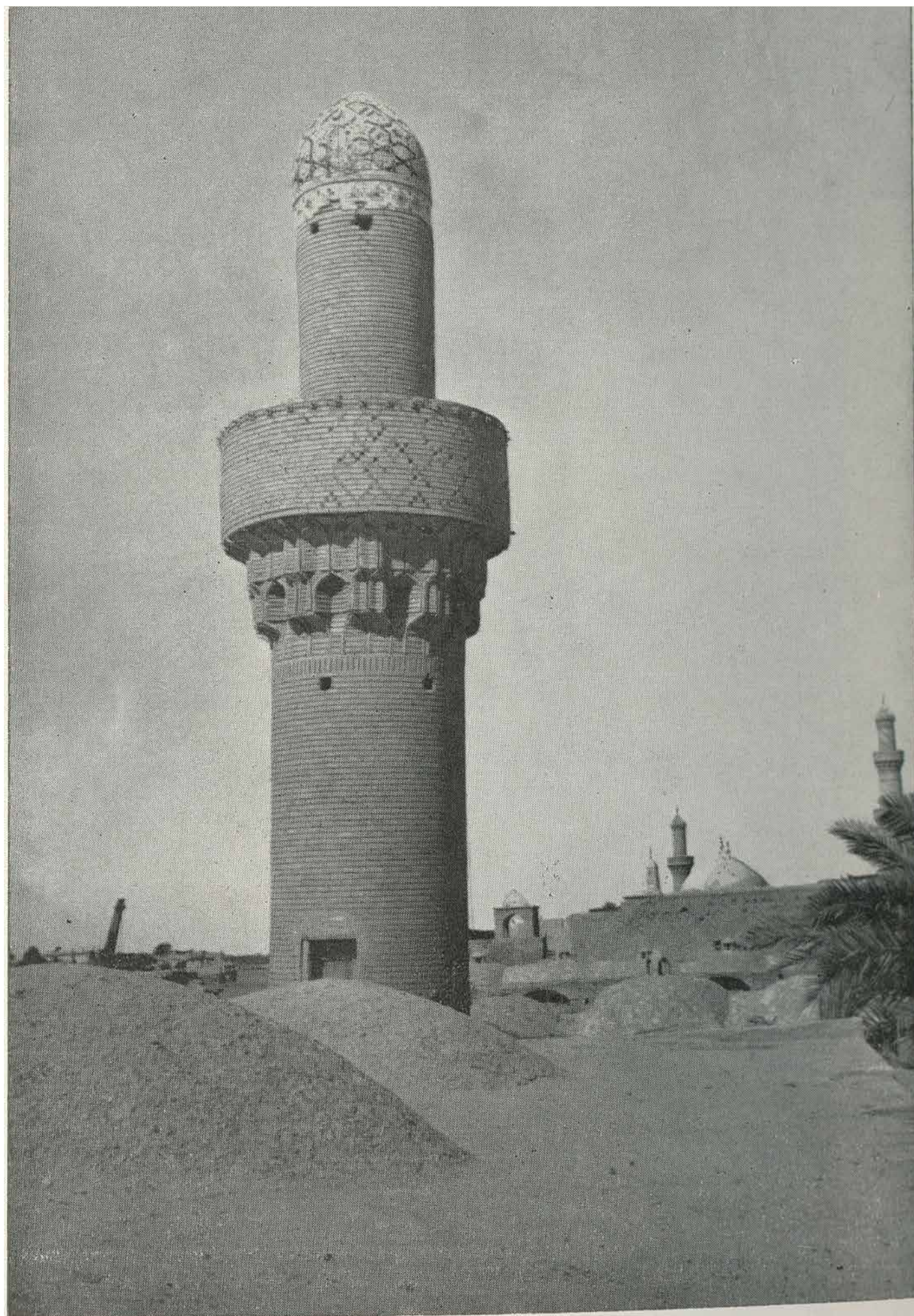
- القصر العباسي : منظر من الداخل ويرقى زمنه الى عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) واتخذ بعد صيانتها متحفا للآثار الاسلامية ♦



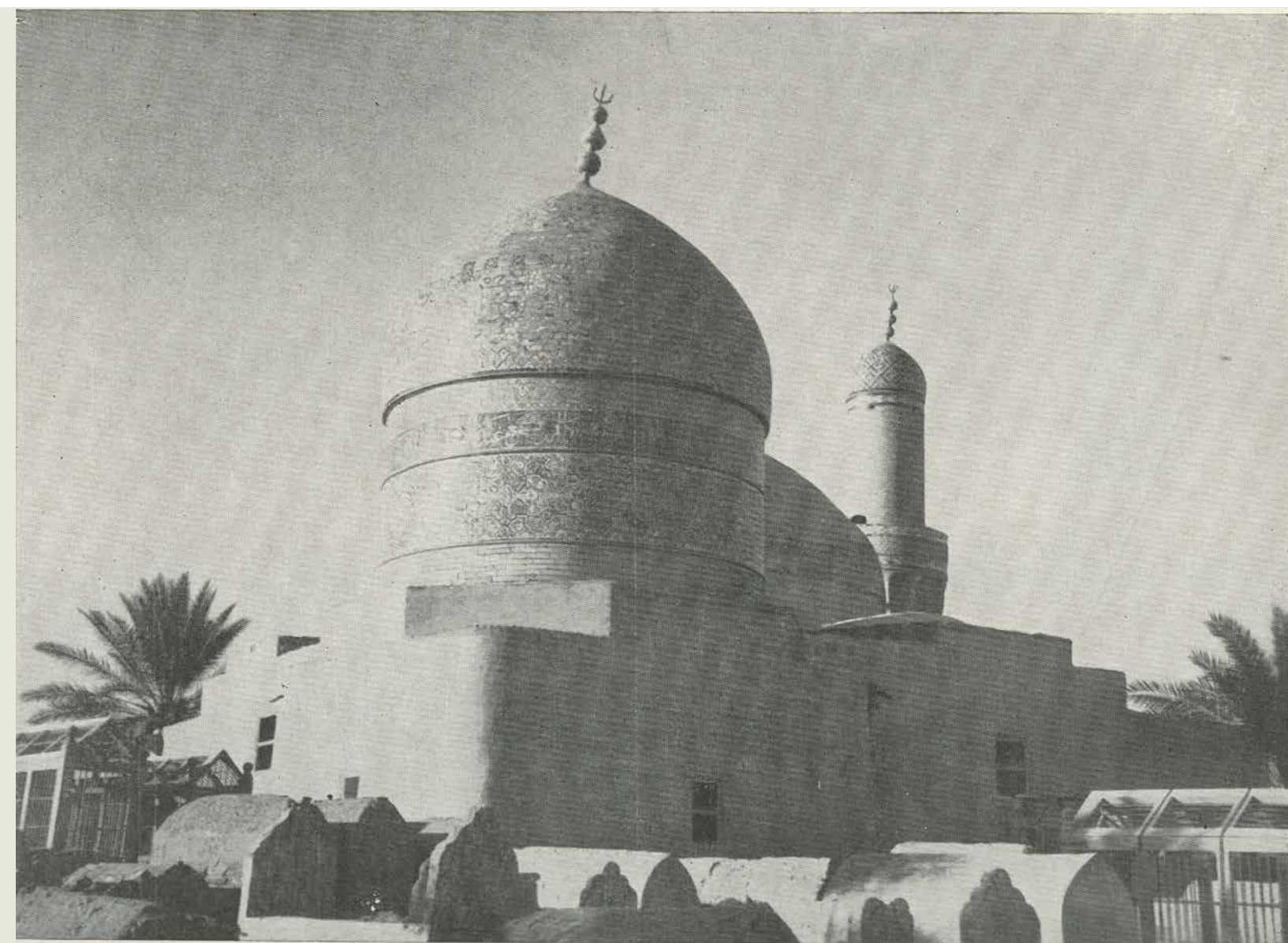
- جامع قمرية في الجانب الغربي الى شمال جسر المأمون وقرب اعدادية الكرخ شيده الخليفة
المستنصر بالله سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) ثم اختل بناؤه وسقط وجددت عمارته في العهد
العثماني الاخير .



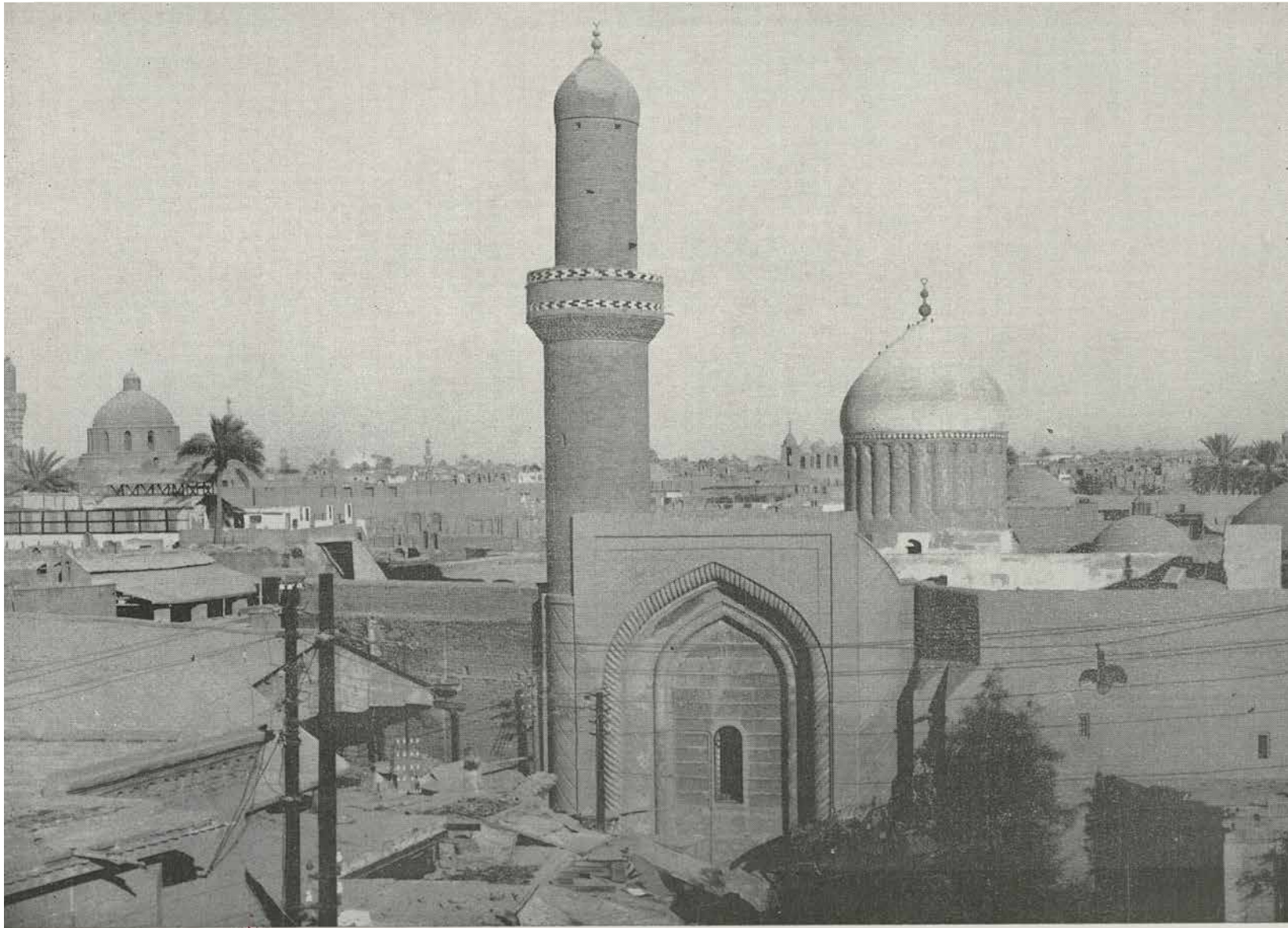
١٠ - المرقد المشهور بقبر « الست زبيدة » • بجوار تربة الشيخ معروف الكرخي • وقد بنيت القبة على « الطراز السلجوقي » •



١١ - منارة الجامع المعروف بجامع الخفافين . وكان يعرف قديما بمسجد الحظائر بنته زمرد خاتون ام الخليفة الناصر الدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) .



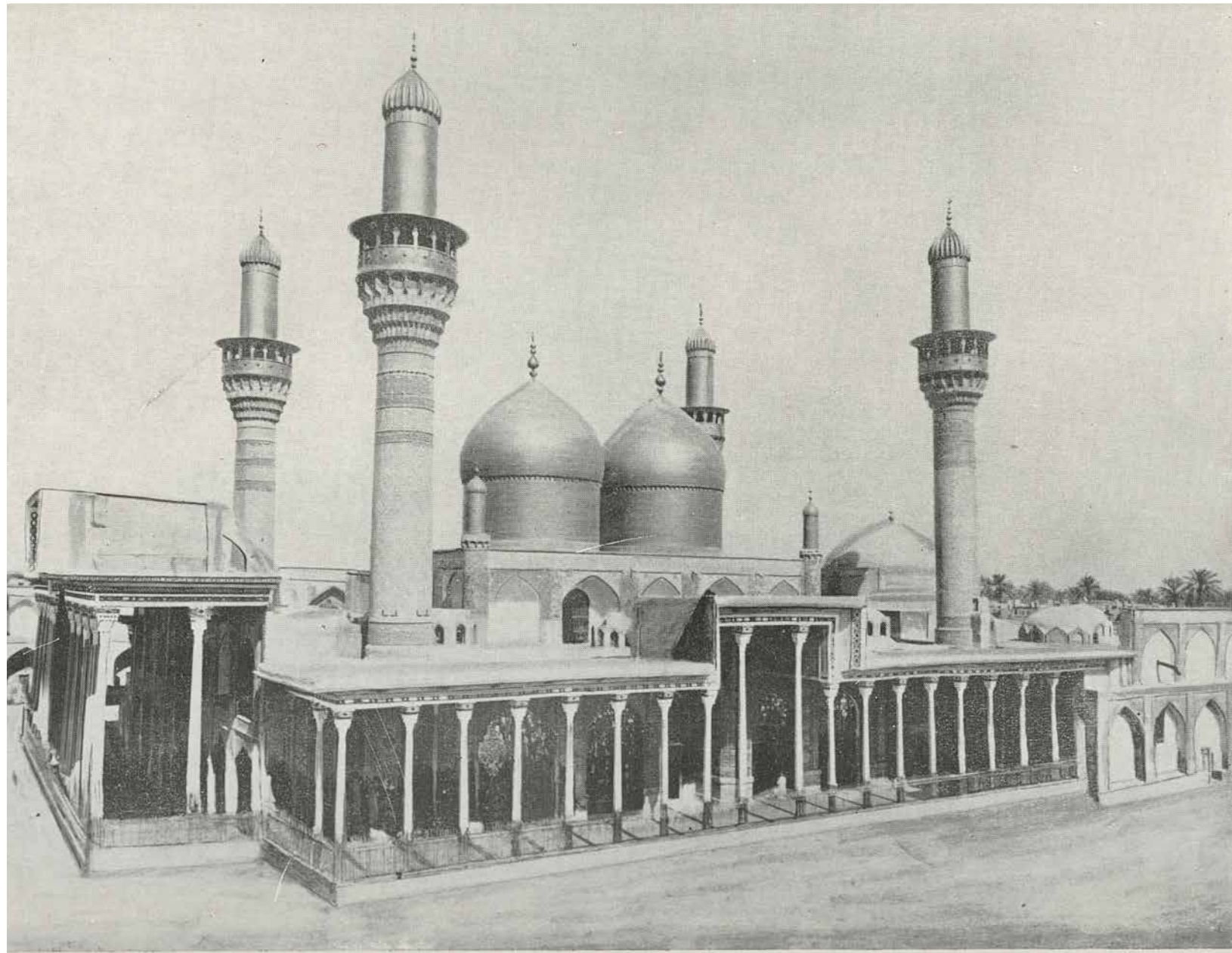
٨ - تربة الشيخ معروف الكرخي في بغداد الغربية (توفي سنة ٢٠٠ هـ ٨١٥ م) وعنده المنارة التاريخية وتشير الكتابة التي تزينها الى تاريخ انشائها سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) وبجوار هذه التربة قبور بعض مريديه من الصوفية كقبر السرى السقطي وكذلك قبر الشيخ جنيد وقبر منصور الحلاج .



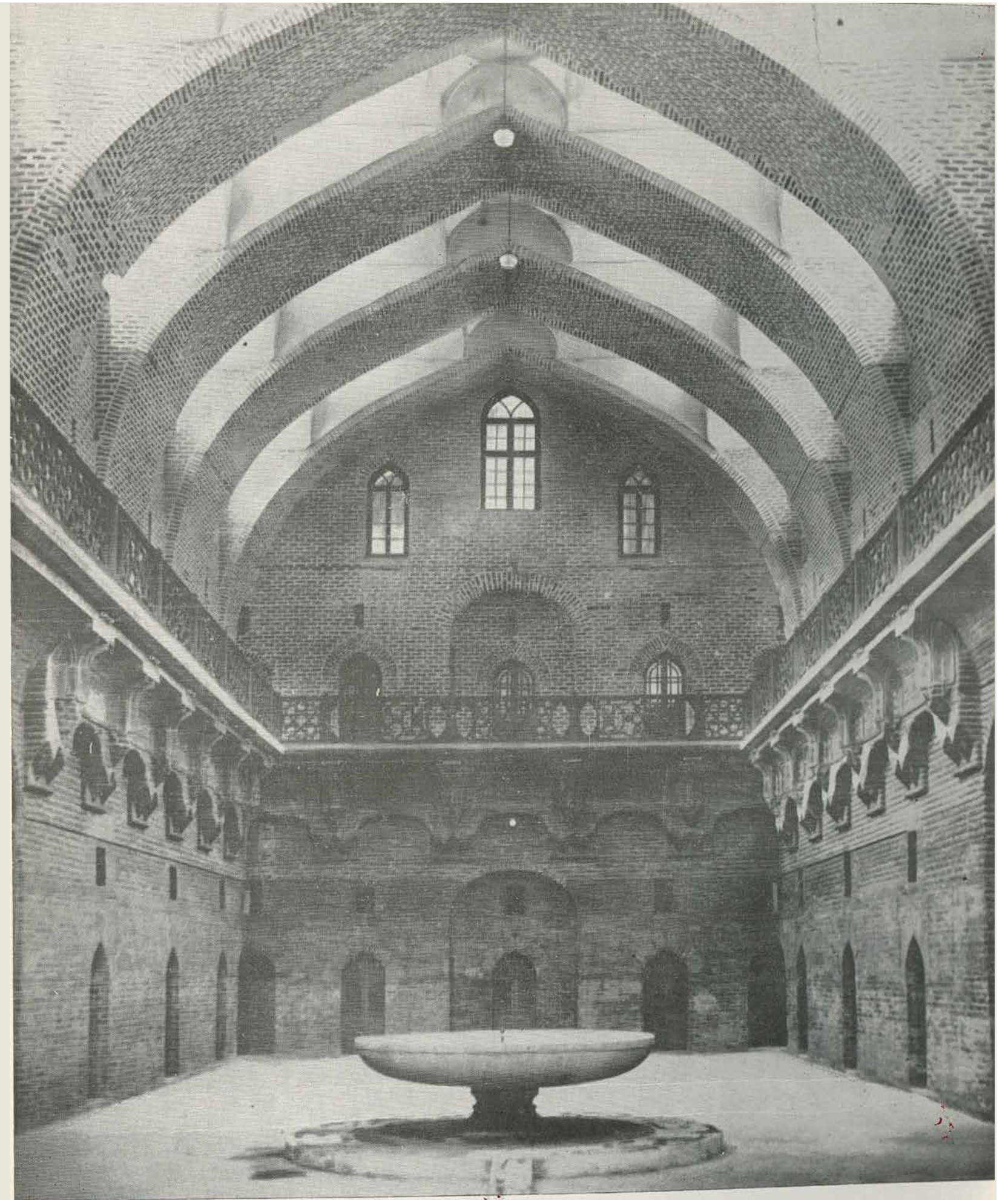
١٥ - المدرسة المرجانية : (أي جامع مرجان في شارع الرشيد) بناها أمين الدين مرجان الاولجايتي في سنة ٧٥٨ هـ (١٣٥٦ م) . وتشاهد المدرسة قبل هدمها سنة ١٩٤٧ . ولم يبق منها الآن غير مدخلها وقد بنى جامع جديد في موضعها .



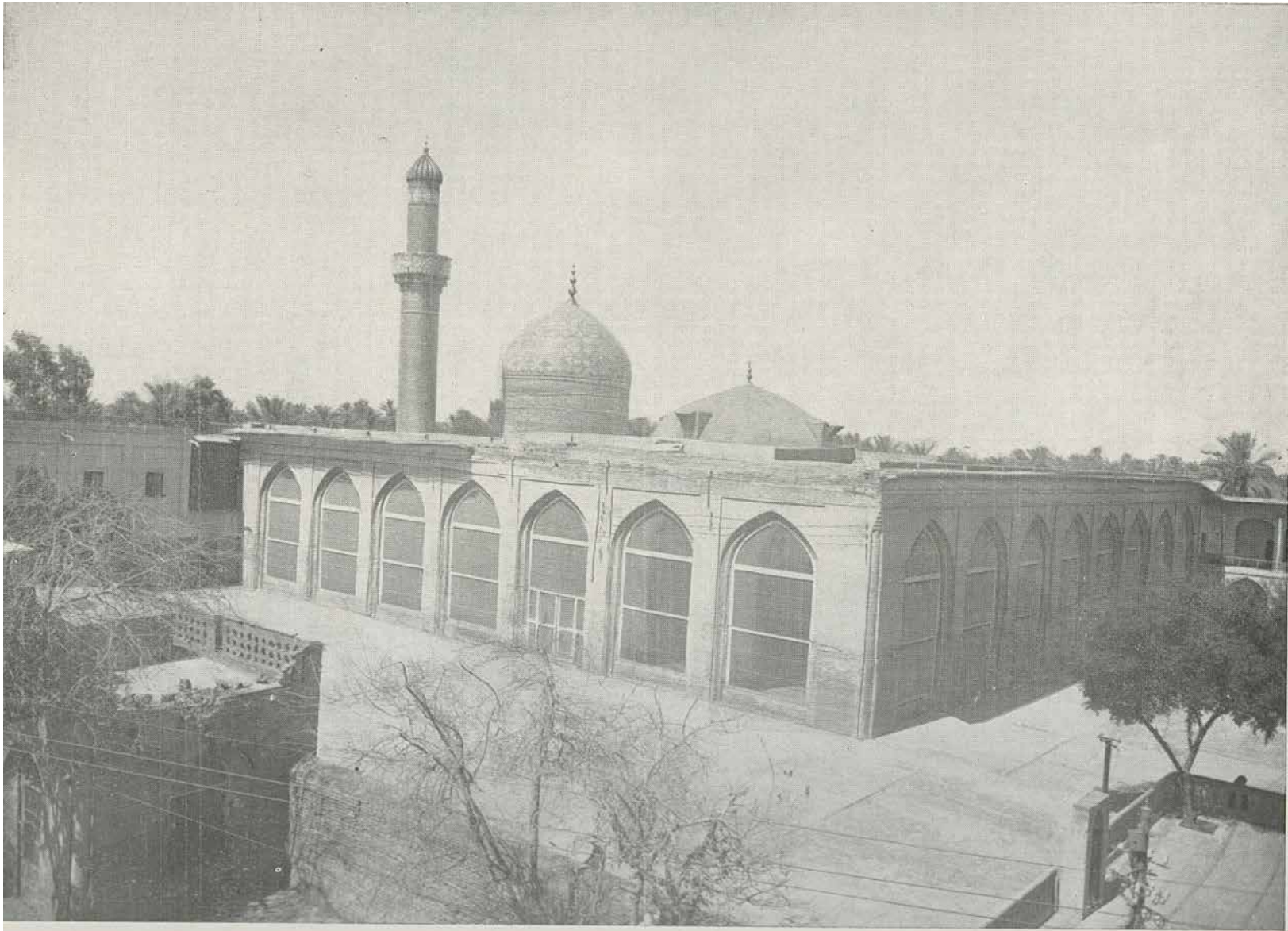
٩ - تربة الشيخ عمر السهروردي . قرب الباب الوسطاني توفي سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) وقد بنيت القبة على الطراز السلجوقي .



٢١ - مشهد الكاظمين ، وقد دُفن في هذا المشهد الإمام السابع موسى الكاظم سنة ٨٠٢ م ودُفن بهذه بثلاثين سنة حفيده الإمام التاسع



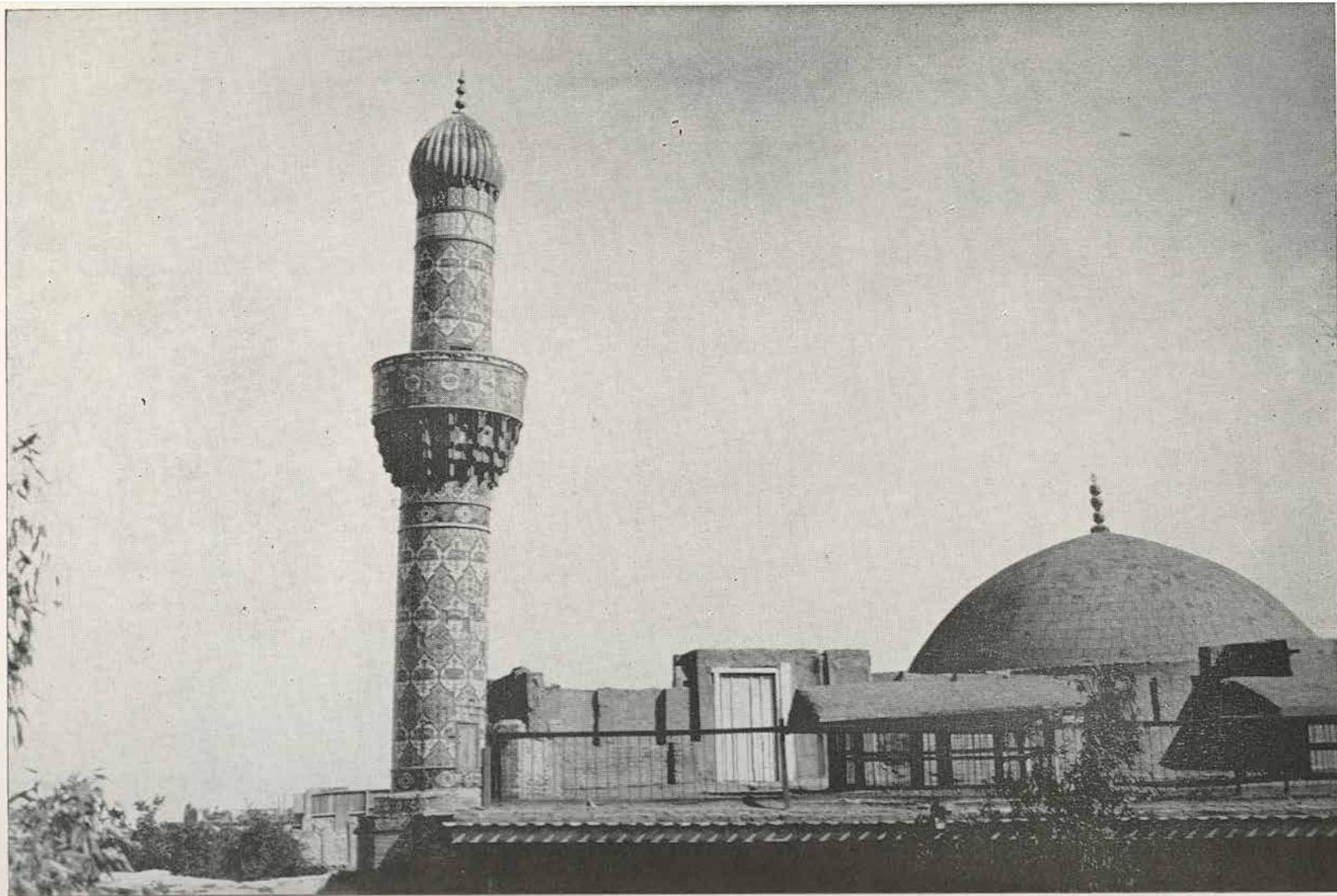
- خان مرجان : (وهو المعروف بخان الاورطمة) • بناه أمين الدين مرجان سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٨ م) • منظر من الداخل



٢٠ - جامع وتربة الامام ابي حنيفة النعمان • دفن فيها سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) •



١٩ - جامع وتربة الشيخ عبدالقادر الكيلاني : وقد دفن فيها سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) وهي سنة وفاته •



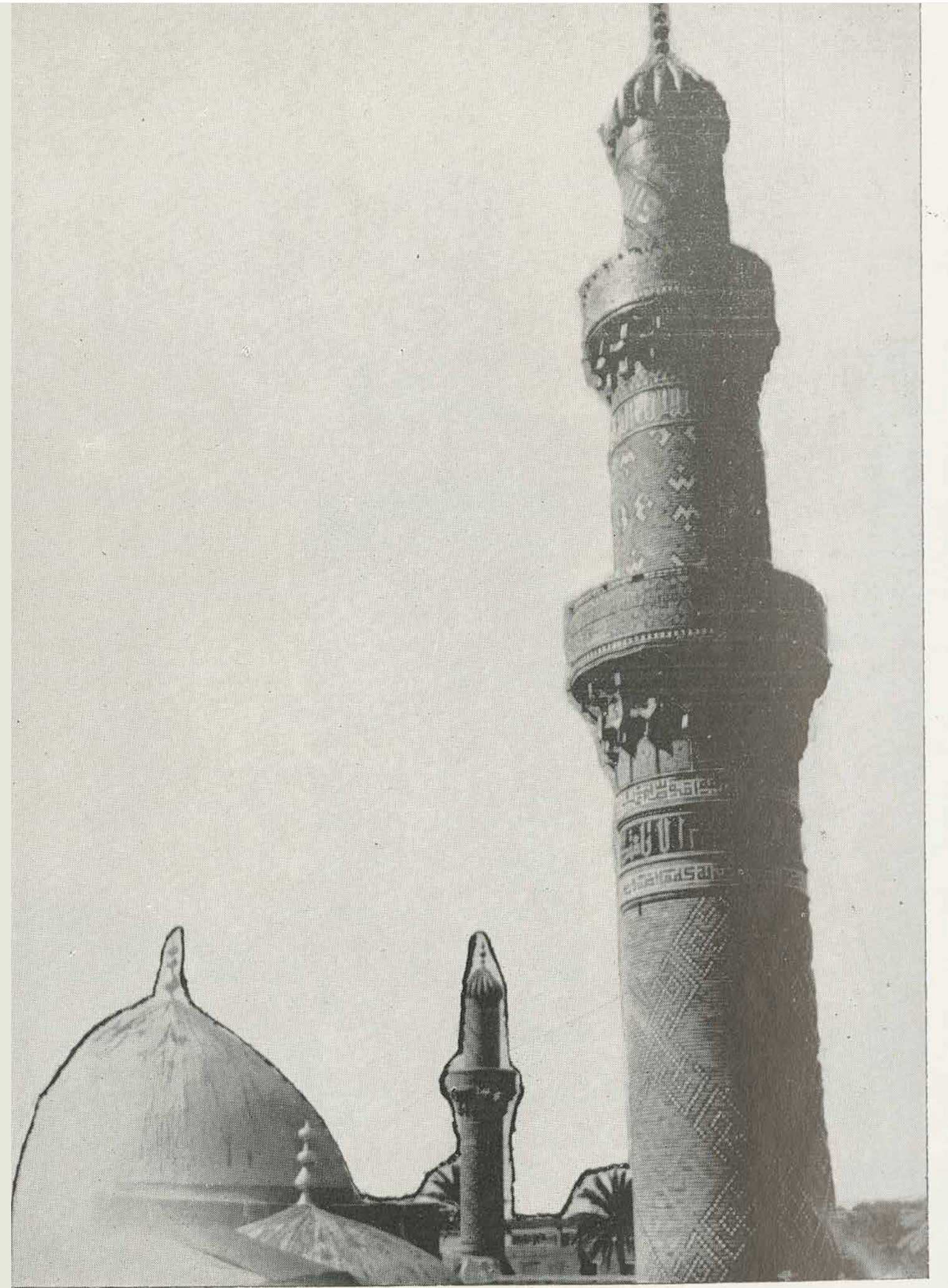
٢٣ - جامع المرادية (بجوار عمارة المرادية الحديثة قبالة مبنى وزارة الدفاع) بناه مراد باشا الوالي العثماني في بغداد سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٦ م) ثم جددت عمارته سنة ١٣٢١ هـ .



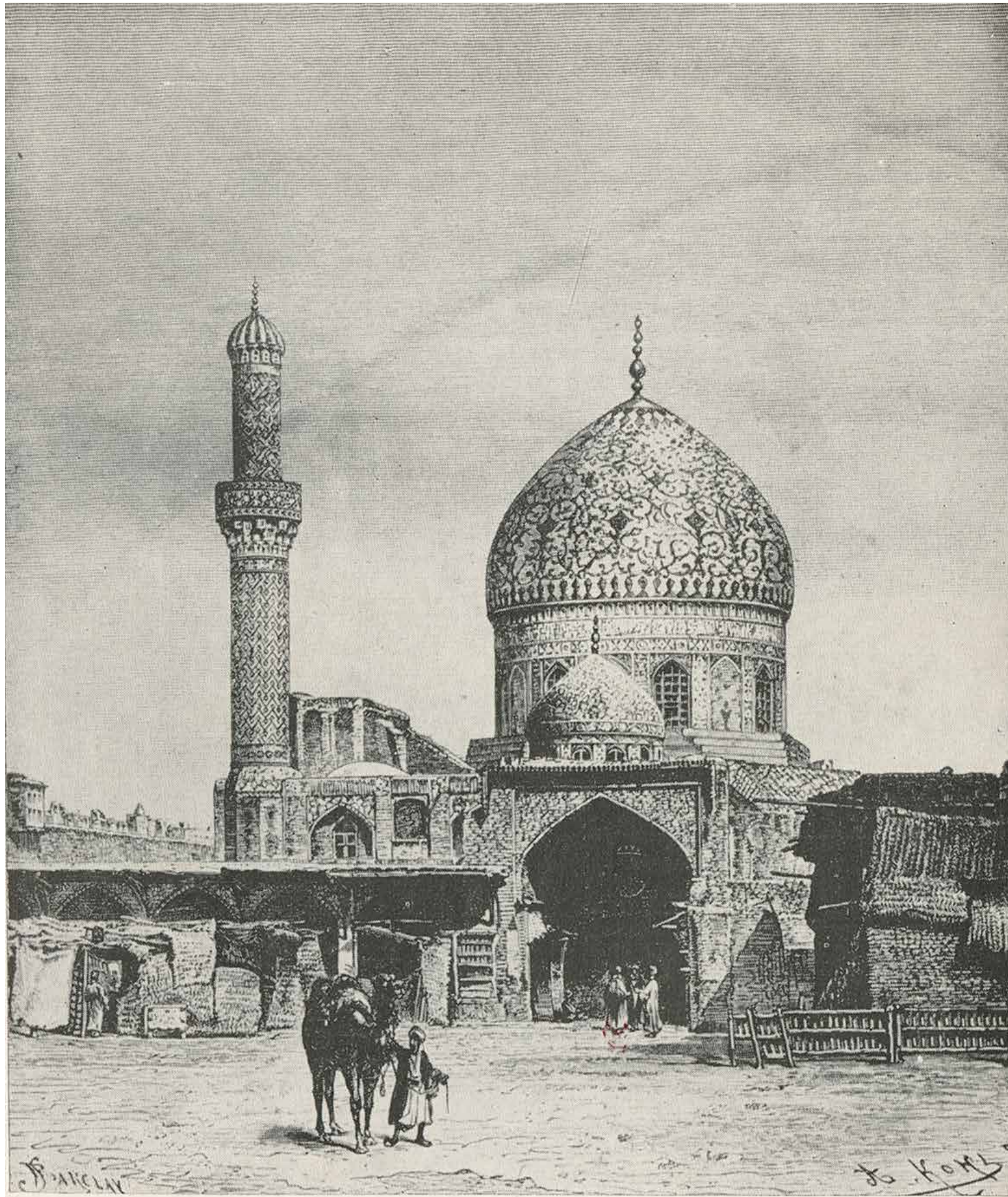
٢٢ - جامع الحيدرخانة : بناه الوالي العثماني داود باشا سنة ١٢٤٢ هـ (١٨١٨ م) وهو آخر الممالك الذين حكموا بغداد .



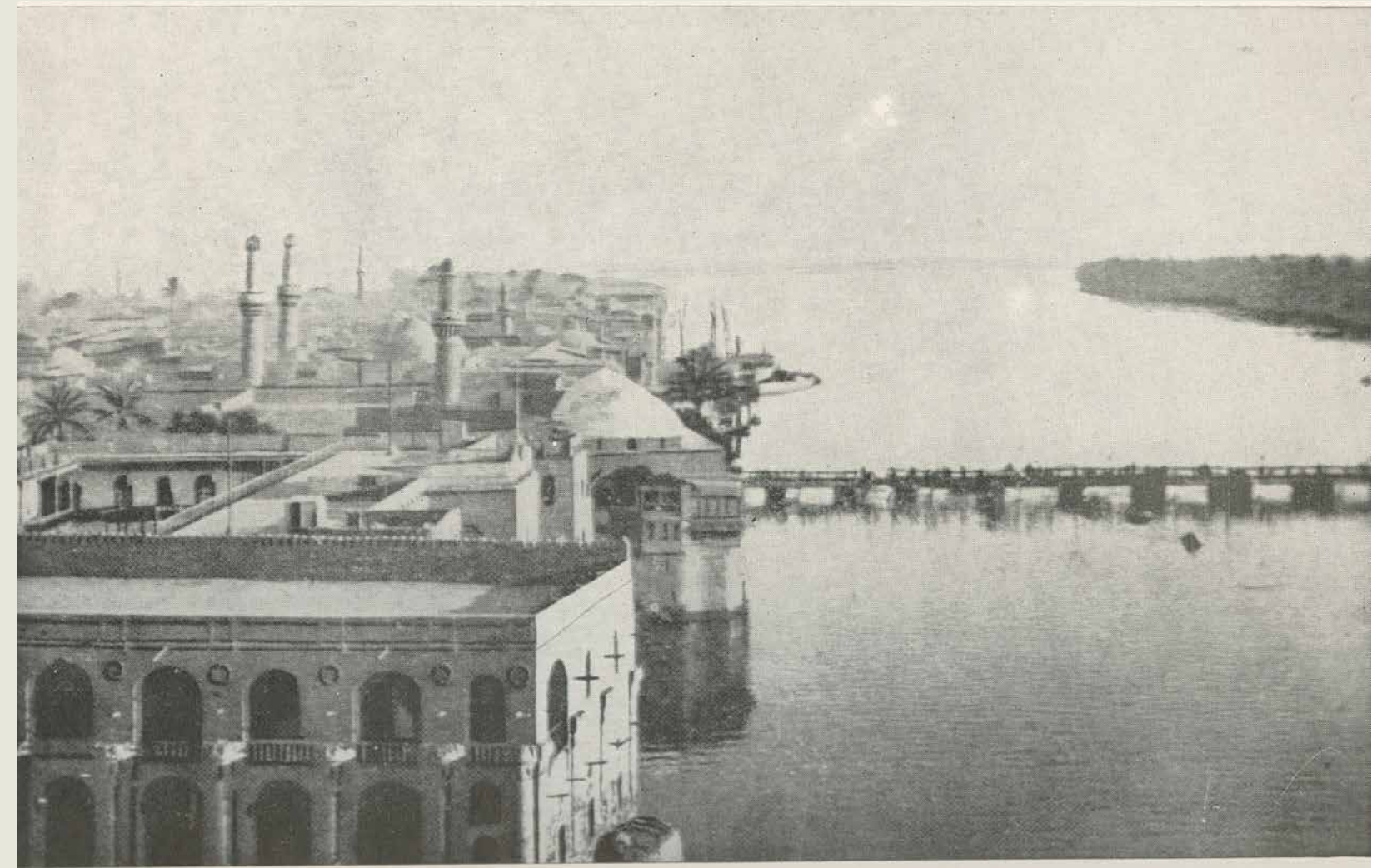
٢٦ - جامع حسن باشا (ويعرف أيضا بجامع السراي) أنشأه حسن باشا أول وال من المماليك على بغداد في السنة الأولى من حكمه (١٧٠٤) وفيها كانت بداية حكم المماليك في بغداد (١٧٠٤ - ١٨٣١ م) .



٢٤ - جامع الآصفية بجوار المدرسة المستنصرية مما يلي رأس جسر المأمون من الجنوب وعرف بجامع الجسر أيضا



٢٨ - جامع الاحمدية - قرب سوق الميدان بنى في زمن الوالي العثماني سليمان باشا بيوك
(١٧٨٠ - ١٨٠١ م) وسمي الجامع بهذا الاسم تخليدا لاسم احمد الكخيا وهو
قائد جيش الباشا *



٢٧ - جامع الوزير في الجانب الشرقي يطل على دجلة مما يلي رأس جسر المأمون في شماله أي الطرف المقابل لجامع الاصفية ويعرف
أيضا بجامع حسن باشا العتيق ، بناه كوجك حسن باشا سنة (١٦٤٢ - ١٦٤٤ م) *

الفصل الثالث

بغداديات (*)

« الان ، وقد انقضت عدة سنوات
لا تزال ذكرياتها باقية في ناحية من نواحي
هذا القلب الذي يصعب عليه الوفاء مع ذلك
والاحتفاظ بالذكرى • وان عدت اليوم الى
تلك الكشبان الجرداء فانا أعلم ان السماء
ذاتها ستمعن في اللقاء ما تحمل من رياح
ونجوم • هذه ارض البراءة • »

البير كامو - وقفة وهران
او الميناتور

••• ولأول مرة يدرك المتعدد في الموحد والكل في الجزئي •
وبغداد ، هكذا ، ليست أكثر من رصيفين من الاعمدة الرمادية
المتوازية ، تحف شارعاً وسطياً من أهم شوارعها^(١) ••• ومع ذلك فعلى
آجرة واحدة من هذه الاعمدة •• آجرة واحدة مصبوعة بلون باهت
تلوح لنا لغة كاملة دونما رموز • فبغداد هي نفسها رمز كبير (كمدية)
و (كقطعة آجر) في نفس الوقت •

* تخليداً لذكرى الفنان الراحل جواد سليم في بغدادياته •

(*) مجلة الاقلام : عدد (٥) لسنة ١٩٦٥

(١) هو شارع الرشيد • ولعله أقدم شارع رئيسي في بغداد في
الوقت الحاضر • ومن حسن الصدق ان يقرن اسمه باسم الخليفة
العباسي هارون الرشيد •

بغداديات

شاكر حسن

والبغدادى ، بدوره ، ليس أكثر من ذلك المخلوق الرمزي :

ليس هو هذا الرجل المسن ذا السترة والسروال المغبرين ، والذي يواظب على حضور صلاة المغرب منذ أن احيل على (التقاعد) ، ولا هو ذلك الرجل (المشورب) المتمنق بحزام جلدي عريض داكن ، وعلى رأسه عمامة خفيفة مرقطة (وتسمى بالعامية الجراوية) ، ويده مسبحة صفراء كالشهد ، لا هو بالشاب الحاسر الرأس الانيق الوسيم ، ولا برجل الاعمال الجدي السحنة ، الفضوب ، ولكنه (طفل) من أطفال المدرسة الابتدائية ، بوجهه المتمرد وكتبه المتهرئة . يركن الى بلاط زقاقه المظلل يملأ قاره الاسمر الجامد برسومه وعلاماته . فهو هنا وهناك حاضر أبدا في التعبير عن حاجاته الذوقية بصدق وبراعة لكيما يرمز لنا من طرف خفي عن عاصمته الاسطورية التي سرعان ما تصبح ازاءه من مدن حكايات (السعالى) و (بلبل هزار) الدارسات^(٢) .

وليس من شك في ان هذه المدينة التي ولدت في قلب السهل الرسوبي ، وقدت من قرميد غرين (رافديه) هي في أول الامر مدينة (الاسوار) و (الاسواق) و (القصور) . ولقد بنيت قبل (١٢ قرنا) كأضافة لا بد منها لسلطان خليفة كان على شئ من بعد النظر والشمع لكيما يؤمن على أمواله في مشروع بناء وليس مشروع دعاية آنية . فما ان بوشر بدق اول معول في أرضها حتى كانت بعد جهود متواصلة تلوح من بعيد أمام رواد الطريق الصحراوية ، القادمين من الشام ، أو البصرة أو خراسان أو الكوفة ، بنائرها ، وقبابها ، وبشرفاتها وأطواقها ، عالما من اللازورد والكهرمان .

وليس من شك ايضا ، في ان هذه (الغادة) المضواغ ، ذات الحجاب والاقراط ، والتي تجملت بالقداح وأوراق الليمون وتعطرت بماء الورد ، ولونت شفيتها بلحاء ثمر الجوز ، وضمخت كفيها بالحناء ، ان

(٢) لا يخفى ان الإشارة هنا هي الى بعض الحكايات البغدادية غير المدونة والتي كانت تقصها (جداتنا) العجائز في أيام الطفولة الغابرة .

هي الا مزيج من ارادة الانسان ، وسكون الطبيعة وسخائها معا . ومع ذلك فهي لا تلبث أن تبعث في نفوسنا الريب بأنها [فحسب] عاصمة مملكة شاسعة الاطراف كان ما يفتأ أحد [خلفائها] ينادي غمامات سمائه المتسللة ويتوعدها وهو في عرشه :

« أيتها الغمامة . امطري أينما شئت . فانت في نهاية الامر في حياضي^(٣) » .
لا لا .

انها لم تكن في يوم من الايام [عاصمة] بقدر ما هي (ضرورة تاريخية وجغرافية وذوقية) معينة ، تعاون على تدليلها سخاء الطبيعة وشهامة الانسان معا . مثلما كان سيتفق على اذلالها غضب الطبيعة وعقوق الانسان ، وشتان ما بين حالتيهما . مع ذلك فقد كانت بمثابة القلب من الجسد ، وذرة الغبار من قطرة المطر . ومهما كان عليها ان تصدع [بخلفاء] كانوا ما يفتأون يتعهدونها بالترميم والانشاء ، ومهما كان عليها أن تدل أو تذلل فقد ظلت مع ذلك ملك ذلك الطفل القذر اليدين ، والنظيف السريرة ، يرسم بطباشيره على أرضها فيعبر عن أفراح وأحزان ، ويمسح بطرف رداءه عن آمال وحسرات . لقد وهبت مرة واحدة والى الابد قلبها للبراءة والفن . ومهما كانت لتعمر فقد حكم عليها أن تظل في ريعان صباها ، دونما حاجة الى اصلاح أو افساد .

تلك هي بغداد المدينة التي أفاقت ذات يوم ماطر على سر لم تقدر غمامات سمائها الرمادية على البوح به الا حينما استحالت حماماتها [الظاهرة الطبيعية] الى حمامات من الخطوط والسطوح : - حماماتها [الظاهرة الفنية]^(٤) . أجل ، ببغداد ضرورة تاريخية ، لانها ثمرة التزاوج ما بين (الصحراوي) و (ساكن الواحة) . ومن خلال زجاجها الملون (٣) هو الخليفة الرشيد . وهذه العبارة هي (معنى) حوار المروي وليس (نصه) .

(٤) وهي هنا الصورة المحسنة لحمامات الحسن البصري في حكاية من حكايات الف ليلة وليلة الشهيرة .

ونوافذها المطوقة وأقنيتها المفتوحة للغبار ، الموهوبة لنور الشمس ستختصر ملامح (الخيمة) و (القوس المدبب) معا . وهي ضرورة جغرافية لانها نمت وترعرعت كما تنمو وترعرع زهرة شقائق نعمان على سفح من سفوح جبال حميرين . فقد كانت على اية بقعة يقترب فيها نهران عظيمان جاريان أن تصبح مسرحاً رائعاً للتمثيلية : (العبور) أو (التحصن) (٥) .

ومن بغداد (الضرورة التاريخية) وبغداد (العبور أو التحصن) ستولد بغداد الضرورة الذوقية . لقد حكم عليها ان تكون المنبع الرسمي لاذواق الجيل . فهي (المأذنة والقبة) كما انها عمارة (دفتر دار) (٦) .

وتحدثنا الكتب التاريخية عن بعض ملامحها الجينية :

فحينما « سار أبو جعفر المنصور بنفسه يرتاد الاماكن انتهى الى بغداد وهي اذ ذاك قرية يقوم بها سوق في كل شهر فأعجبه المكان » (٧) كان ولا بد أن يسير الى مصيره المحتوم ، كسبب وعامل لبناء مدينة ستسمى في نفس الوقت بدار السلام وبغداد .

لقد تم بناء هذه المدينة الرائعة في بداية فترة الاستقرار التي أعقبت ظهور الدولة العباسية فكانت بلا ريب رمزا لسلام مدينة نموذجية ، وعاصمة انبراطورية شاسعة ، وحضارة لم يسبق لها ان اكتسبت مقوماتها في التاريخ كما ستكتسبها ابتداء من هذا التاريخ ، من الناحية المادية على الاقل .

الا ان هذه الارض التي رقدت عليها أول الامر أسس اسوار مدورة ، وأسواق تستدير حول قصور ملكية ومسجد جامع ، وتتقاطع فيها أزقة تقفل أبوابها ليلاً بالاقفال ، ويطأ أرضها رجال يتمنطقون بالجرائر ويلبسون برؤوسهم العمام والقلائس ويتشحون باردية فضفاضة مفتوحة الجوانب ،

(٥) لعل هذا هو السبب في نشوء قرية (بيت كداد) على رواية من الروايات التي أصبحت بغداد فيما بعد .

(٦) من أضخم العمارات الحديثة في بغداد . وهي هنا كناية عن الاسلوب الحديث في الفن .

(٧) الدينوري - الاخبار الطوال ص ٣٢٣ .

سرعان ما امتلأت بالتفاصيل : فمن القصور بجذائرها ، والشاذروانات ، والشرفات والبرك . ومن دروب البساتين الملأى بمناظر زراعة الفواكه الحمضية والورد حتى لكأنها ترهص بقول الشاعر الشعبي على لسان امرأة :

درب بغداد امشيته
كله زرع ليموني
والكحل ما خليته
وما كحليت عيوني

هذه الارض التي تختلط فيها وتزدحم أنواع الطبقات الارضية سرعان ما بدأت تتجاوز نطاق اختيار نفس تنفرد بدست مملكة أصبحت الوريث الشرعي لحكومة الرسول محمد (ص) . أجل انها التربة الخلطة والطبقة الارضية الجديدة لحضارة ستجمع ، عرضيا ، تراث (الرمال) و (الغرين) ، وطوليا ، آثار الحضارات المتعاقبة على وادي الرافدين . أو كانت اذن لا تنفك ترسم لنا ملامح (الانسان - الطبيعة) معا دون أن تحسب حسابا لزمان أو مكان ؟؟؟ لكن بغداد (المدينة الواقعة) ، ومدينة حكايات الجن والسعال هي نفسها بغداد هذا العصر . . . كانت ولا تزال تمثل لعبة المدينة التي لا يموت فيها ميت ولا يولد فيها مولود (وملامحها هنا من ملامح اية مدينة مسحورة من مدن حكايات الف ليلة ويلة) . انها وان تبدلت ساحتها ، على مر الزمن ، لمن خالدها العصور . وذلك لانها مدينة الانسانية وليس الانسان .

« الاسواق . . والانسانية »

ومن بغداد (الضرورة) ستبدي لنا بغداد (العالم - الانساني - الانساني) . فهنا ، أو هناك ، ومنذ مطلع الفجر الصيفي كان سيعلو صوت المؤذن يدعو الى الصلاة ، فاذا ما طفقت اذن النائم المؤمن تميز فصاحة الاصوات فان صوتا خفيا كان يلج عليه بالنهوض ، والتوضؤ ،

والتوجه الى المصلى • وهناك ستقطع نصف الساعة وليس الا (الوحدة) •
وعند الرجوع تكون السماء ضاربة الى الزرقة ، وحيشد ، يظل فيه أي
انسان على صلة ما مع المطلق • ومع النجوم البعيدة ، وقمر الفجر المعكوس
وستملأ نفسه باليقين ، وتتألاً مشاعره الصوفية (كمجموعة الثريا) في
السماء • انه الآن وحيد عار أمام الطبيعة والعالم والكون • ولكنه ممتلىء
ثر أمام نفسه • فوجوده ينبع من وجود الآخرين • ومع ذلك فقد كان
من الممكن في وحدته الصباحية هذه أن يعيش أي شهيد لحظاته الاخيرة
في محنته • لقد قطع البغدادي طريقه في فجر اليوم الصيفي من خلال
الاسواق دونما بضاعة ولا تجارة • • دونما بيع ولا شراء ، لكي يستقر
في ضمير مدينته ، ويقع في وعيها ولكن ، وحينما يشق انسان ما طريقه
الازلي في الاسواق ، دونما فجر أو صيف فسوف تلوح له الكتل البشرية
وكأنها مقيدة بالسلاسل • ذلك انهم جميعا سيتحركون من اتجاهين
متعاكسين • فهم ما بين ذاهب وقادم • وثمة وقوف على الجانبين ، الا أن
سحناتهم لم تكن لتساهم بسوى البحث عن الحاجة وامتلاكها • لقد
استحال الانسان خلالهم الى ماكنة ذات اختصاص ، تجيد اعداد النسخ
المتشابهة • أما في هذه الطريق المظلمة ، ذات السقف المطوى ، والارض
المرشوقة بمياه هي ليست بمياه الامطار في شبيء ، فان النسخ المتشابهة ستكون
أكثر دقة وشبهها ببعضها البعض • والانسان الماكنة هو أما مشتر أو بائع
مصمم على عدم التنازل لعميله بشيء •

وعلى العموم فما بين اتجاهين متعاكسين سيكون آخر المطاف هو
الوقوف عند دكان بائع الاقمشة ، أو الاواني أو العطور أو الاحذية أو أية
حاجة اخرى ذات قيمة شرائية ، ممزوجة برائحة العرق ، وفحيح
الانفاس • فما بعد جولة حافلة بالمساومات تعقد صفقة ما بين طرفين متعاقدين
يعتقد كل منهما في نفسه انه قد استدرج صاحبه الى الخسارة • وتنتقل
الحاجة الكمالية بالتالي ، طالما هي غير قابلة للامتلاك ، الى الطرف الثاني
لتستحيل الى حاجة ضرورية •

ولكن ما بين لفظ الانسان المتعامل يقبع سكون [الطبيعة - البضاعة]
ففي سوق كسوق السجاد^(٨) مثلاً لا يسع الانسان الا أن يتناقص • ذلك
ان [القيمة الجمالية] ستقف وجها لوجه أمام [القيمة النفعية] :
تلك هي القطعة الزخرفية • انها من ألوان أساور الاعرابية المشحمة
بالسواد • وفي الاذنين قرطان متدليان ، وعلى أرنبة الانف [خزامة] وهناك
اللون الوردي [ازاء الازرق اللازوردي] ، وهو يعيش في سوق الاعراب
كما يعيش تماماً في لون دواء العيون الخرافي - [الكبلي] • وما بين اللون
الوردي [الحاجة] واللون الوردي [الرمز] سيحكم اخر الامر على شيء
ما يدفع عنه ثمن أقل من المعقول ، وحيشد ستسقط [البضاعة] الى درجة
[الترف] • لقد دارت المعركة وانتهت في نفسية المشتري البغدادي • فهو
ما بين ان يشتري بضاعته لا على التعيين على شرط أن تكون جيدة الصنع
لا للزينة وما بين الا يشتريها • وهو في النهاية ضحية غريزته الخصبية
باختيار [دواء عيونه الخرافي] وهو على شكل بساط أو وجه الفراش أو
الغطاء أو البرذعة (ان وجدت) أو اللجام •

وتطغي الطبيعة على الانسان في سوق الصفاير^(٩) الى الحد الذي
تستحيل فيه العلاقات الانسانية الى مجموعة من الاصوات لا على التعيين •
أصوات تعزل الانسان عن نفسه ، وتقيم جذرائه وحجبه ما بينه وبين العالم •
لكنه حاضر هنا وهناك في نفس الوقت ، فهو عند هذا السوق كما هو في
وعيه عند استماعه لدقات قلبه المنتظمة • وهو ما بين أصوات المطارق وموجاتها
المتنوعة الاطوال كما هو بين الاصوات الخارجية التي تداهمه في مدخل
جبلي (خانق) سيردد صداها لعشرات المرات • وهذا الذهب أو القادم على
ارضية السوق الموحلة ان هو الا بغدادي ضائع في بيته حتى ولو كان من

(٨) وهو من الاسواق الشعبية الشهيرة على ضالته • ويقع قرب
جسر الشهداء •
(٩) من اعرق اسواق بغداد ببضاعته وتقاليده طبقته التي ربما تعود
جنورها الى العصور الوسطى الاسلامية •

الغرباء • معزول عن الآخرين ، محاصر بصوته الداخلي خلال همسة مستمرة [كرده الفعل] لما تزدحم على طبلتي اذنيه من أصوات غير منغمة هي على الاغلب وقع المطارق على الصفائح النحاسية • ولكن مهلا • فذاك هو الابريق أو السماور أو الطشت أو كف العباس • • مرصع في مكانه من الدكان ، لا يلبث أن يغمر عين الناظر بلونه الاحمر الهندي • انه ينطق بسحر الصنعة التي انزلت بدورها في هذه البقعة المستظيلة من المدينة التاريخية كما يعزل أي انسان أمام مصيره • وهكذا سيعاد لنا على عدد اللحظات تمرد الحرفة اليدوية المنزوية - من خلال الهواة - كدفاع عن القيم الذوقية ضد غزو الحضارة الآلية • وههنا أيضا ستطمس صورة [الانسان التاجر] أو رجل الاعمال أمام جروت الانسان الهاوي أو الفنان • ويستبدل دواء العيون الخرافي بدواء الصمم السحري •

وفي سوق الشورجة^(١٠) و [سوق هرج] تستبدل القيم الروحية من جديد بالقيم المادية ، وسرعان ما يستحيل فيهما البغدادي الى جمال أو بائع جملة ازاء نفر جم من اشراة بالمفرد أو الجملة ، والنساء المحجبات ، والرجال [انصاف - الحفاة] •

فمن خلال روائح العطور - في السوق الاول المزوجة بأنفاس زبائنه المرهقة ، من ذوي الميول التجارية تظهر بوادر التفاضل عن كل القيم الجمالية والذوقية من أجل احراز ميزة ما ذات رنين : فلس أو درهم أو دينار أو الآلات المؤلفة • • • وجميعها لا تبخس الخاسر - الخسارة الحقيقية هي خسارة الحمال وليس الربح - الذي هو في آخر الامر من أولئك الذين يتصببون عرقا من أجل الافطار على رأس بصلة و(شمة) ملح • الا أن المأساة حينئذ تكمن في أن يكون الخاسر والرابع على مستوى واحد من

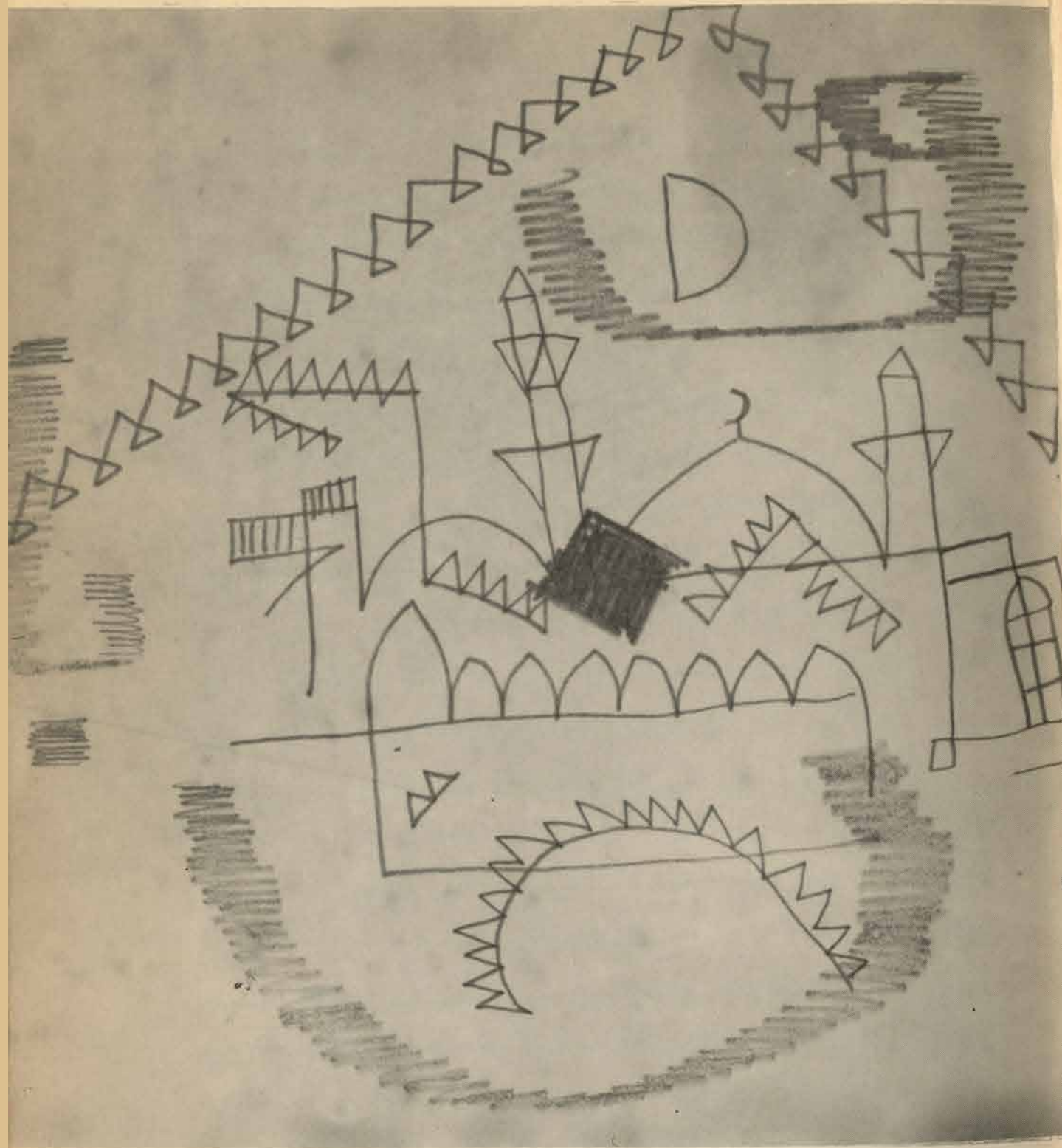
(١٠) في هذا السوق تباع - بالجملة والمفرد - جميع مواد الاستهلاك على أساس شعبي هو وسط ما بين المقايضة والبيع والسوق يتكون من طريق طويل يقع في قلب بغداد •

المنظور • ذلك ان أية صفة جمالية لن تكمن فيما يسمو اليه الزبون فيما يسد به رمقه ، أو يزيد من جشعه [باعتبار الطرفين المتناقضين] فان شراء ثياب العيد الملون أو شموع الاعراس المذهبة [مما يستقبل الداخل الى هذا السوق من بضاعة] هو رصيد روحي بالنسبة للاطفال والاعراس فحسب ، وليس بالنسبة للتاجر أو البائع ازاء الشاري [الاب] أو [والد العريس] السري •

وفي حالة السوق الآخر [سوق الهرج]^(١١) يستحيل البغدادي الى [فائد سلعة] ازاء مجموعة من الدالين والنصابين والسراق وبائعي الخردوات • وعلى حين يختفى بصورة مؤقتة الانسان الانساني يبرز لنا وجه بغداد المسؤول خلال اختلال نظام المشي • فلم يعد فيه من حاجة الى ذهاب أو قادم ، وبالتالي الى شار أو بائع فالجميع هنا باعة وشراة • وهم لهذا السبب بالذات يقتسمون بضائعهم من مستوى بدائي وشعبي • واذا ما تسنى لنا أن نشهد عفوية زقزقة عصفور أو رفيف أجنحة الفراش من خلال لقي من الاصداق والودع وأحجار الخواتم الكريمة ، وفي نسق من أوراق الزينة وأنغام الاسطوانات الريفية البدائية ، فذلك لان ملامح بغداد المدينة العانس لم تعد في غنى عن مجد أسواقها العازبة • وسرعان ما يقضي على حجة البغدادي المساوم بسحر بضاعته الازلية •

وهذا هو بطبيعة الحال وجه بغداد الحقيقي ، دونما مساحيق أو عطور • فالشورجة هي ملتقى شوارع مدينة تأمرت على تشويها جهود الطبيعة والانسان الجائع • وسوق هرج هو [نكتة] البغدادي المساوم الكبرى ، وخدعته المفضلة في احراز نصر البائع على الشاري الخالي الوفاض • ولكن في بغداد أسواقا أخرى كان على مرتادها أن يظل مشتركا في مساومة من نوع آخر أكثر تعقيدا من مساومات الاسواق الاعتيادية •

(١١) واسمه مشتق من الضوضاء والاضطراب اللذين يسودانه وان كان اضطرابا ظاهريا والواقع ان سوق هرج عودة بالانسانية الى عصورها البدائية - فجر الانسانية •



الفصل الثالث : بغداديات

وفيها ، يبرز التناقض أكثر فأكثر ما بين الطبيعي والمقتل ، وما بين التضحية والطغيان - دحك عن أسواق الخضروات [وخصوصا علوة المخضر التي تمتاز بكونها سوق آخر الليل حيث يرتفع لفظ المساومين مع ارتفاع صياح ديك الصباح] ، وعلوة اللحوم [أو بالاحرى المجزرة التي تسفك فيها دماء الارباء من الحيوان ، والتي تباع فيها لحوم الضحايا بأثمان يقبضها الطغاة] ، وسوق الحاجات الكمالية واللوازم البيتية ، والمنازل ، ووسائل النقل الخ • • فتمة سوق يعقد في بغداد بأجمعها :- بمنازلها وميادينها ، وفي السينما والبيت والمدرسة والمقهى وعلى شرفات المنازل وفي الحدائق العامة • انها سوق الضمير • • ضمير البغدادي الممزق ما بين التردد والتصميم حيث تقف في وجهه ، كعالم خارجي ، جميع ضروب التقاليد البالة وسوء الظن المتأصل ، وعقدة النقص وغيرها من جدران خائلة ما بين الانسان وحرية المشروعة المنال • ان أي تصرف يقدم عليه البغدادي يصبح ضرباً من المساومة اذا هو لم يصدر عن ضمير حي • فالذاهب يفكر أبداً في الذاهبين وليس الآيين أيضاً • ومن هنا فان أي [مستطرق] يكون عرضة لاهانات مجانية لا تلبث أن تنهال عليه من كتف ماش أو ضحكة هازل أو تعليق فضولي ، وهو بالتالي سيقمص شخصية [المبرز] رغماً عنه اذا ما تطلب الامر الى دفاع عن النفس • وبرفة عين يصبح قانون القبيلة البدوية هو الحكم الفاصل دونما محاكمات عقلية ولا استنتاجات منطقية • ويبرز [طابع] وجنتي السومري البارزين ، وأنف الاعرابي المستقيم • لقد باتت معالم السوق ماثلة بطريقها للذين يتعكسان ، وبات الضمير الحي لائذاً [بصمم] رائد سوق الصفاير ، و [عمى] ألوان سوق الاعراب ، و [خرس] سوق الخضروات الفجري •

ومن طرف آخر تطفو مصالح وذوق البغدادي عند مساومات ذات طابع شبه أرلبي لانها تتعلق بقسط وافر من مصير الانسان • • • فازاء شاب مكتمل الرجولة تتقاطر جميع ذكريات الطفولة السعيدة التي يتذكرها الهارب من جحيم وحدته الجنسية لكيما تحيط عينه بهالة من الحزن الفطري

[ويكثر هذا النوع من الحزن في عيون الفلاحين وسكان الضواحي •]
[فالجنس] بالنسبة له بمثابة ذرة الغبار من قطرة المطر • ذلك انه
سيضحى فيما بعد أي حينما يساوم على زواجه كبضاعة الى بائع أو شار
سيخسر أو سيربح حتى نهاية عمره • والمعادلة التي توضع في مثل هذه
الظروف العقلية والنفسية هي كالآتي : -

١ - يتزوج • وعليه في مثل هذه الحال أن يجمع أتعاب عدة سنوات
من جهد متواصل لجمع تكاليف المهر والزفاف الا اذا غامر
بزواج مجاني ، وهذا نادر الحدوث •

٢ - لا يتزوج • وسيقاوم في سبيل ذلك فورة الجنس داخليا مما
قد يدفع به الى الجنون بالعادة السرية •

٣ - لا يتزوج • مع الانجراف بتيار [البغاء] وملحقاته • أي
الاستسلام الى مساوىء حياة العزوبة المفتوحة •

ونفحة السوق هي التي تملأ خياشيمه في شتى الاحوال • اذ تحيله
الى أحد اثنين • بائع أو شاري • فزواجه هو صفقة شراء تحتمل الخسارة
أو الربح • وعدم زواجه خسارة مستمرة من رصيد شخصي - انساني قد
يكلف أعصاب الانسان وصحته • وقد يركن به الى حياة العزوبة بمساوئها
التي يبيع من جرائها ذاته - مع شعور مسبق بالخسارة ، وبالتالي تنمية
زوج الطاعة العماء في نفسه ، واللامبالاة في الانغمار بمستمتع اللهو : الملاهي
والحانات ودور البغاء والمقامرة الخ ••• وفي هذه المرحلة التي قد تطول
حتى نهاية عمر الانسان يسقط من خلاله [الشاري] الحر الى حضيض
فلاح اقطاعي أجير • ولسوف يتطبع في الحانة لا على عادة احتساء الخمرة
فحسب ولكن على جميع تقاليد هذا النوع العاثر من [الخلاص] • بما فيه
من آداب شراب ، واحتساء متواصل ، وطلاوة حديث • وهكذا فالمساومة
التي نمت وترعرعت في ضميره قبل الاعتياد على الشراب تتشكل الآن ضمن
عملية استبدال رائعة لمسرات التعود على حفلة ما • والواقع ان مجالس

كمكان مخصص لوسائل المواصلات هو ردهة من ردهات المستشفى العام ، أو المنتزه أو المطعم بالإضافة الى الدار . في حين أن الساحات العامة تنفرد أحياناً بميزة ما . فهي تصلح لان تكون فندقاً بالمجان ، وملقى الجدران بالارض في الاحياء القديمة [دورة مياه أو مبصقة] ، وبعض الحدائق الوسطية ملاعب لكرة القدم عند الصبيان [وفي جميع هذه الاحوال سينقل العراقي ، بالطبع ، بيته الى الطريق .

ولكن قد تمتاز بعض الشوارع العريقة من الاحياء القديمة بميزات أخرى أكثر منعة وعمومية من سواها . ففيها سيلغ القلب البشري ذروته من السكنية أو الفورة على السواء . وكما ان البغدادي [غير المترف]^(١٣) يحمل معه طريقه في البيت فكذلك الحال على النقيض عند البغدادي [المترف] ، فهو سيحمل معه بيته في الطريق^(١٤) . وحينئذ سيعكس لنا ذروة شعوره الانساني من أجل الامتلاك أو على الاقل الشروع به . ذلك أنه في الوقت الذي تظني فيه مياه الاقدار الآسنة على بعض المنخفضات فتعلقها بوجه السابلة تسنح الفرصة وقتئذ الى نوع من المطاردة التي تعيد لنا حياة مجتمع بأكمله ، وتبعث في نفوسنا نزوات انسان بدائي من أجل حصوله على فريسته . فهذا هو [المعيدي] الذي لوحث جبينه شمس الصيف المحرقة ، وقد شمر عن ساعديه ، وأشكل أطراف ثوبه في مجزمه . انه يتصب عرقاً ويتنفس بصعوبة ، وقد قطب ما بين حاجبيه اذ هو يسوق أمامه [جاموسه] الذي يضايقه الذباب ، وحر الصيف ، وهو يتهادى في مشيته ويلوح باذنايه . وفجأة ودونما سبب حقيقي يشور الحوان وفي نورته يكتسح كل ما يصادفه : الناس والاشياء . فتكتسح من خلال ذلك أحقاد الضحية ضد الجلال ، وتتجلى ما بين أظلاف الحيوان نفايات وفضلات

(١٣) لا يخفى ان استعمالنا لكلمة [غير مترف] و [مترف] هنا هو استعمال رمزي يختلف عنه في معناه الدارج [كعدم امتياز ذي دلالة طبقية] أو [كامتياز] . فهو هنا بمعناه المجرد فحسب .
(١٤) انها هذه الخصوصية الغريبة عند من لا يعيش في مستودع الاسوياء . فهي المتشرد والعقري على السواء .

الانسان . ولكنه لن يهدأ حتى تراق دماء ركبتيه أو رسغيه . وهكذا يصبح [البيت - الطريق] في لحظة مسرحاً يعكس لنا مشاكل أكثر من كونها انسانية ، ويغدو [الطريق - البيت] ملجأ لمتنرد هائل يترنح تحت قبضة متوعد غاصب [الصورة المارة الذكر مقبسة من تفاصيل مجازر الجاموس في حي [العوينة] من بغداد القديمة في غضون الاعوام ١٩٣٨-١٩٤٢] . وعند عتبة باب أو بداية زقاق ذي نهاية واحدة يسجل أطفال أبرياء ترجمة شعرية رائعة يزدوج فيها الخوف والاطمئنان ، ولو على حساب الطرف البريء . وتعلو الترنيمة ذات المقطعين :

جاموسه عينج حمرة

بالليل تجدح جمره . .

وتعاد نفس المتعة أحياناً ولكن لحساب عواطف أقل غنفاً وهي التي تسجلها أشعار طفولية كالتي يهجي فيها ملك الصحراء :-

أبو حلك الجايف

..... مو جايف -

وفي هذه الحال لن يكرس الشارع لمجرد الخصومة العريقة ما بين الانسان والحيوان بل لامل لا - انساني بالحصول على عيش الحياة الزوجية أو ملجأ للعجزة بل مقبرة للموتى . فمن المناظر المألوفة شتاء [غزل] الكلاب في الصباح وتسكع جواد عجوز في ساعة متأخرة من الليل ، أو حتى مشاهدة جثث طيور موتى على كومة من الازبال . [من الطريف ان مرأى الطيور الحية يقترن بقباب الاضرحة في بلاد الشرق وفي الميادين العامة في الغرب] وبالرغم من ذلك فان مزية أي شارع في بغداد تكمن في مدى استحضاره استقرار الانسان أثناء تهويمه ، ومكانه في زمانه . فاذا كان يبدو وهو المسرح الطبيعي بفعاليات الحيوان فانه كذلك الملاذ الاخير للانسان . واذا تيسر للمباعة المتجولين أن ينقلوا أقدامهم ويلصقوا عجالات عرباتهم على لزوجة القار المنصهر صيفاً لكيما يتخذوا من ممشي الناس [وهم كل الناس

من غير ذوي الدخل الذي يؤهلهم لامتطاء المركبات [حانة ، أو مطعماً ، أو مقهى ، فان في ميسور المتشردين والمتسولين والغرباء والعاطلين أو يتخذوا منه ملجأ لا غنى عنه ، وهناك بالاضافة الى ذلك مثلاً المنظر الذي يتقاطر فيه سرب من العوام بجلساتهم المنتظمة الهادئة ، وهم خافضو الرأس ، حاسروه ، مطرقون حزاني أو مهومون عند ظلال جدران عالية قدرة ، وازاء كل منهم حاذق لفنه بعمامته المرقطة وصداره ذي الخطوط الحمراء ، وحزامه المتعدد الادراج ، وهو ينهمك في ازالة شعر رأس زبونه بالموسى في حين سيكون آخر منظر من مسرحية الحلاقة هذه هو منظر الحليق نفسه حاملاً رأسه على طبق (كناية عن غسل رأس الحليق باناء يوضع عند الرقبة) .

وكلا المثلين المارى الذكر يمثل الذروة في [تحول] الانسان عن انسانيته وخروجه من أبعاده . فهو في كليهما ، وعلى المستوى الشعبي غارق في عبوديته مستسلم لمصيره ، ممسوخاً عن كونه حرية واختياراً ، ومتخلفاً عن كل تاريخه في التطور البشري والحيواني [كنوع واحد] حتى حياته الجنينية [الامبيا = الحجرية الحية في الجسم]

وهذا هو البغدادي في آخر الامر : حجارة على الطريق ، او فضالة مرشوقة على رصيف السابلة . انه يستسلم الى موسى الحلاقة كما تستسلم الخراف الى شفرة القصاب . او يفقد كرامته من خلال يده الممتدة ، وماء جبينه المراق . فمتى سيحين له ان يستعيد كرامته : رأسه وكفه فيستعيد بهما حريته وكرامته ؟؟؟

الا ان بغداد تسترد انسانها اخيراً في الطرف الثاني من نفسها ، وذلك حينما توءدى المقاهي الصيفية فيها ادوارها كملاجي ضد غزو جميع المشاكل البيئية الزاخرة بنزوات الطريق .

- مرور متقابل ما بين ذهاب واياب

- مشاكل اصطدام متكررة ما بين ارادتين

- حوادث دهس وازدحام واعتداء الخ

فلا يكاد اسبوع يمر على العائلة البغدادية المتوسطة الحال الا وقد امتلات ذكريات افرادها بما هو غير قابل للنسيان .

- رب العائلة المشوش الذهن ، المتمزق العاطفة .

- حنان الجدة المهان في خلال بكاء حفيدها

- دموع الام المضحية باحزانها المتجددة

- حيرة الشبيبة ما بين حدة الاطار الذي يمسكهم ولا منطقية العلاقات التي تحيطهم .

وفي المقهى الصيفي تستبدل تحت السماء الصافية جميع الاحزان العائلية ومشاكل الحياة اليومية بمتعة الغياب عن بغداد [الطريق] وبغداد [البيت] في بغداد [التسلية] . ان الشجرة الوارفة هي هناك منذ اكثر من ثلاثين عاماً عند فناء المقهى ، والاثاث يكاد يكون هو نفسه دونما تصليح او طلاء ، والسياج الحديدي الاخضر الباهت كاطار لوحة زيتية قديمة ، والمقصف ومحل الشواء هما لم يتغيرا . اذن سيسترد البغدادي انفاسه وينسى متاعبه بل كيانه الانساني برمته ، وذلك في بضع ساعات يفضيها في [شبه محطة فضائية] معلقة ما بين الارض والقمر . وفي هذه المحطة سيخضع الجميع لمنطق معين يختصر فيه الوجود الى [زمان] فحسب حيث تتحول الحركة الى سكون محض [وهو سكون يتضمن الحركة بالطبع] اذ ليس من قبيل الصدفة ان لا تستبدل الاشياء المتهرئة باخرى جديدة ، ولا حتى ان يستبدل الزبائن انفسهم بزبائن جدد . فالجميع فيها مسحورون وهم في اماكنهم : الشجرة في الفناء ، والندل في صداره ، وصاحب المقهى في مجلسه الجميع هنا مهملون في اماكنهم . يمر عليهم عامل الزمان فيترك آثاره على ملامحهم . وفي المقهى الصيفي ايضا تقوم اللعبة بدور (الجسر) الذي يوصل ما بين حضور البغدادي وغيباه . ولعبة الطاولة التي تشتق من علاقة الانسان بالقدر تربط لاعبيها بخيوط شفافه وتزرع في قلوبهم نياطاً جديدة توصلهم بالابدية . فما ان يفيق البغدادي على نفسه في النهاية الا ويجر خطاه الى داره وهو صفحة جديدة ناصعة هزيلة النزوات وخاوية ، فارغة . الا ان لعبة المقهى

الشائعة هي من صميم غياب الزبون المنهمك • فقد يصادف ان يتكلم مع رفيقه او ينصت الى مقطع يغني ، او يلوك بذور الباقلاء او يمضغ قطع الشواء وهو مع ذلك في صميم غيابه البريء •

لقد سحر ذات امسية مرتاد المقهى النائية عند ضفة النهر المخضرة بالمرزوعات الى انسان آخر • وساحرته هي هذه الاحجار ذات الواجه المنقورة ، والقطع المستديرة التي تتناقلها الاصابع بنظام خاص • فلم يعد في كيانه من مكان لطريق او بيت • وعند الليالي القمرية وحينما سيغمر الضياء الناصع ضوضاء المدينة البعيد • يظل السحر الخفي من مكانه يهب الجميع عطاياء بما يغرقهم فيه من موج فضي • وحينئذ ستجد بغداد انسانها الغائب بقة • ستجد طريقها وبيتها ومقهاها • ستجدهم في نفسية كهل عاد في لمح البصر طفلا نقي السرير ، قدر اليدين • طفل بغداد الازلي ، والذي كان سيظل يرسم بطباشيره على الارض • لقد اغدقت عليه الطبيعة من خلال قمرها الفضي هبتها على الانسان [وما هي إلا هبة الله من خلال الطبيعة] فجددت شبابه بما ستعبت باجفانه ، وتوغل من دخيلته •

لقد ثبتت البغدادية في مكانة من بغداد •

« اللوعة والضيافة »

« في زمان ومكان ما لا على التعيين كان رجل صالح يدعى بـ (الحسين) • وفد حكم عليه بالموت لانه افشى (سر) الله على لسانه هو • ومن دون ان يخشى في (محنته) الناس • وسواء اكان يتعذب من اجل ذلك ام يؤلب مريديه على الغوغاء فقد قال في احدي (مواقفه) أنا الحق •»

• • • والبغدادية الملتاع المضيف هو (حلاج) بصورة من الصور • وسيولد ويموت على عدد اللحظات • وذلك سيمزج لديه الفرح بالحزن ، والسعادة بالشقاء ، واللذة بالالم • لان في قلب البغدادية تستقر بغداد •

وبغداد بدورها من منظور الضيافة واللوعة لا تلبث ان تترنم بصوتها

العذب الا ان صوتها سرعان ما يموت على شفيتها قبل ان يبلغ الاسماع : فالاغنية الشائعة التي تغنيها على الرغم من مجونها هي تشيد صوفي يتعالى من خلال هدير الرحى ، وخرير المياه • وهو لهذا السبب يعيش على رصيد روحي وعاطفي يستنفد جميع لذة [السماع] خلال [الآلم] وفرحة [الترنيم] من خلال احزان الذكرى :

اطحن بگايا الروح موش اطحن شعير

بعد ان كان :

وبگلبسي حفرو بير وادراجيه مرمير

واذا كان ما سيسعد به البغدادية فيما بعد فهو البشارة التي تهبها رخامة الصوت الشهوي النابض بالحياة ، والداق بالرضا • ولكن • • من ذا الذي بمستطاعه ان يعرف زمن البشارة وموعدها ؟؟ لقد طفق زميل العريس المضيف يرتع من احداق العذارى عبر اغنية المغني او المغنية • وهو ما بين صحوه وسكره المتناوبين يفيق بقة عند زملائه على رنة فرح عميم يمس نياط قلبه ويهزها • وشيء من العنف والحماسة يعب كاسه حتى الثمالة في الوقت الذي تسقط به قبضته الى جانبه • لقد تغفل صوت بغداد منه حتى السويداء • وفي لحظة ما كان سينسى كل شيء ما عدا جمال الكون المجرد •

ان ما يميز بغداد حقا - حتى من خلال بغداديينها - هو هذا التعارض المتألف ما بين القيم ؛ والذي يظهر بقة مثلما يختفي بصورة عفوية • فليس من المنطق ان تهدم مثلا روائع الزخارف المائلة على جدران بعض البنايات القديمة في الوقت الذي تشاد فيها بنايات على نفس الشكل بكاملها [وهذا رثاء ضمنى لجامع الازبك القديم الذي استبدل بنيائيه الحالية] •

وليس من المعقول ان تنقض في لحظة واحدة مشاريع قضى عمره على اقامتها لاستبدالها فحسب بمشروع آخر طارئ • ولكن هذا هو ما

يحدث بالضبط فمن نزوة البغدادي المفاجئة تستحضر حياة القبيلة
باجمعها في صميم المدينة المتحضرة وكما تطير بفتة حمامات (الحسن
البصري) في جنيته اخواته سيقلع البغدادي ذات يوم ببساطة مغيرا موقفه •
وسيهجر من خلاله ويتنكر لجميع قيمه مستبدلا اياها بقيم هي على النقيض
منها •

وهنا يكمن (سر) لوعة الانسان الشهم وحبه في آن واحد • انه
اشبه شيء بدوي مجاهد يلفظ آخر انفاسه على ارض الغربة ، فلا يتذكر
عند احتضاره روعة الفاتح المسلم بقدر ما يتذكر نجمة كانت تطالعه في
سما صحرائه (١٥) • وهذا التحول القاطع بلا مبرر ، والحكم الذي لم
تسبقه اية محاكمة هو ما تمتاز به بغداد المرعدة في الربيع بمنظرها المفاجيء ،
كما تدل بها طبيعة [دجلتها] الذي يفيض في عدة اشهر حتى يوشك
ان يغرق المدينة ولا يلبث ان يغضب في ايام معدودات •

وتتقرن اللوعة عند البغدادى بالشهامة • وبعد ان كان سلفه [في
ادوار بغداد الجينية] او ساكن الخيمة الفارس (١٦) يرهض بها من
خلال نخوته التي ينجر بسبها فرسه الوحيدة لاضيافه فيستصدق سليده
ساكن المنزل الذي ذى القناء في المدينة بكل ما معه ، ومن اجل سؤال يسأله
جائع • ولا يلبث [المتحضر] ان يعيش حياة الجوع والفقر لانه كذلك
فحسب جدير ان يظل في بغداد •

ومنذ آلاف الاعوام كان على (جليجامش) (١٧) ان يقطع رحلته
للوصول الى جده (وسيحاول ذلك من بعده كثيرون) • فلم يشته مجد
ولا حب عن ان يغامر بنفسه عبر بحر الموت • ولا بد انه كان سيضحي

(١٥) الرجل هو مالك بن الريب الشاعر المشهور •

(١٦) الاشارة هنا الى حاتم الطائي الشاعر والكريم الجاهلي
المشهور •

(١٧) جليجامش هو حاكم مدينة ارك السومري • وهو نفسه بطل
الاسطورة المسماة باسمه •

بحبه الاخير لعشتار (التي غازلته منذ ان علب خمبايا فرفضها باباء)
لان صديقا وفيما كان قد ضحى بنفسه من اجله - كان قد نذر نفسه - •
وهكذا تغلبت الشهامة على الحب : شهامة البغدادي المضياف (قبل ان توجد
بغداد) على حبه الملتاع (بعد ان وجد الحب) • الا ان ثمن ذلك كان
سيدفع مضاعفا حينما ستسرقه افعا • لقد افلس جليجامش من كل ثروته -
لقد غيظ كثره - ليربح قناعته • كما افلس من نفسه ليربح قلبه ، وبذلك
فحسب اصبح جديرا ان يكون [بغداديا] كالاخرين بعد ان ظل غريبا حتى
على اي عراقي وضع • الا انه سرعان ما عاد البغدادي من جديد في اهاب
جليجامش آخر ولكن بلا عودة • فقد كان على اي ابن زريق عاش في
بغداد في العصر الوسيط ان يضحي بحبه من اجل شهامته فيودع في فجر
ما ببغداد لكيما يستضيف وهو في بلاد الاندلس جميع ذكرياته وعواطفه
وأماله ، بعد ان كان قد فارق بلاده بكل رباطة جأش طلبا للمجد •

ودعته وبودي لو يودعني

صفو الحياة واني لا اودعه

وهنا فقط سيستيقظ في اهابه أي بغدادي ملوع أثر الغياب على الحضور
والمجد على السعادة • وهكذا كانت ستعاد في لمح البصر كلمة (جليجامش)
بالرفض من خلال [صمم] ابن زريق المحقق • كما ستستعاد لمئات بل لآلاف
المرات كلمات حق اخرى على شفاه لا تجد نبرات العذبة لها آذانا صاغية
تسمعها • اجل فحينما يصمم البغدادي على شيء فلن يشنيه عنه حتى ولا
عذل حبيته المنطقي ، لا ولا ذكريات [كرخه] و [ازرار] (١٨) :

لا تعذليه فان العذل يولعه

قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وفي الطرف الثاني من المدينة الملكية حيث يلفظ الشاب المغترب

(١٨) اشارة الى قول الشاعر نفسه [استودع الله في بغداد لي قمرا -
الكرخ من مطلع الازرار مطلع] •

انفاسه وما تحت رأسه صدر ليس هو [بالوساد الخافق] الذي طالما
كان يتمناه •

كي لا ينام على وساد خافق (١٩)

ستظل اية وحشة صاحبة تستحضر للبغدادي (بغداده) وهو في
(أندلسه) وتستمطر له وهو المحتضر امطار (واحته) وهو في (صحرائه) •
وهناك على حصير (الخان) القذرة ، ومن خلال خصلات شعر الانسان
المنسرح على الارض تستقر قصاصة ورق مكتوبة هي شهادته الوحيدة على
براعة الرجل من (زيفة) وهي وثيقته (الموسومة) برجولة البغدادي
الشاعر •

« ايه ايتها الغمامة الهائمة • ها انت ذا تمطرين بمدامح البغدادي
الملتاع وانت في عليائك • ولطالما توعذك من قبل خليفة بغدادك السري وهو
في دسته • أكان اذن يخاطبك وان تهملين في قلب هذا الشاعر الحزين ؟ »
الا ان امطار هارون الرشيد الحقيقية بدورها لم تكن سوى صميم احرائه
بالغربة وهو في بيته ، وبالفقر وهو في غناه ، وبالموت وهو في [حياته] •
لقد كان الخليفة يستيقظ ما بين الفينة والفينة على رذاذ المطر في
قلبه ، وسرعان ما يهجر مجلسه العامر بالافراح ليحج ماشيا حتى مكة ،
أو يقرر بغتة الوصول الى (تقفور) وهو على رأس جيشه لما يجيش في قلبه
من دماء البغدادي المتحدي ، او كما اختتمت حياته ، يتذوق ثمار نخلة
[حلوان] • • نخلة بلده البعيد القريب وهو في نهاية مصيره الابدي •

« أجل • أمطري ثانية يا غمامة الرشيد ، وبلى بنداك رفاته الآن •

فانما انت تبللين منه رفات شاعر » •

ولكن قد تستحيل الضيافة عند البغدادي الى لوعة عاصفة وسيل
جارف • فلا يقف في مسيلها سوى (وصول) البدوي المحتضر في آخر
المطاف الى (كبنانه) ، سوى رضا النفس المشمخرة بتضحيتها •

(٩) هذا شطر من قصيدة لشاعر اسلامي لا يحضرني اسمه الان •

• • وتطوى مئات بل آلاف الاميال في لحظة واحدة •

فهذا هو الخليفة [المعتصم] (٢٠) جالس في مجلسه يشرب أو يقتنى
له ، أو يتسلى بين جواريه وحاشيته • وبغته يقف شعر ساعديه ، ويحتقن
وجهه الابيض الوردي بالدماء ، وترتجف وجته حماسا • وذلك لان
[بغداد المرأة] هناك تستنجد به • انه يستمع الى نداء القلب البشري وهو
في ذروة يقظته الحسية • • والمرأة العمورية يعتدى عليها من قبل رومي •
فليكن اذن هو الند لهذا الرومي من أجل حماية [بغداده] ولينزل حاكم
بلخ المندعش بدعوى الجمال الضائعة في سطوح قصوره الى أرض
الشارع (٢١) ، وتزحف بأقل مدة من التحضر فيألق الجيش الملكي وعلى
رأسها أحلام المرأة المهانة بالخيول البلق • فلا يهدأ دجلة عن فيضها الا
على رضا البغدادية المغتربة • ويمتزج الحب بالشهامة واللوعة بالضيافة
وهو على نأى من مدينة الحب والشهامة • وتحقق (المعتصم) الرجل أحلام
المرأة العمورية (بالحرية) •

ولكن ما بعد مئات من السنين ودوننا غضبة شاعر ولا نخوة خليفة
تسابق ببساطة يدان من مركبة عامة لكيما تستقر كف احدهما تدفع
ثمن التذكريتين • وفي بغداد بالذات تلتهم عينا شاب مولع شهم سيحقق أحلام

(٢٠) لاشك ان المعتصم لم يتخذ بغداد لوحدها عاصمة له بل
اتبعها بسامراء • ولكننا اثرنا نسبته الى بغداد لان نشأته كانت في بغداد •
فالمعتصم هنا بغدادي بعواطفه وحماسه • وما بغداد الرمز سوى المرأة
التي كانت تحتمى به • فهي التي ملكت لب الخليفة الشاب بجماع حياته
وليس لفترة معينة • أنها امرأة بغداد وعمورية على السواء •

(٢١) الاشارة هنا الى المتصوف الشهير (ابراهيم بن الادهم) •
قصته معروفة في تاريخ التصوف • وهي التي - في بعض الروايات -
تذكر انه هجر اهله ومكة فجأة بعد ان كان حاكما لمدينة بلخ فقد اكتشف
ان بعض (الجمالين) يبحثون عن جمالهم في سطح قصره • فلما استفسر
منهم عن السبب اجابوا بانهم يفتشون عن جمالهم الضائعة فقال وهل
تضيع الجمال في سطوح المنازل فأجابوه وهل يصح لك أن تحكم الناس
وأنت في عرشك ومن دون ان تنزل الى الشوارع؟؟ ويقال ان ذلك كان
سببا في تصوفه •

(الطائي) بضيوفه و (ابن زريق) بحبيبة مجده ، و (الرشيد) بغيمة ،
و (المعتصم) بعموريته • وذلك من خلال تطبيق عادة حسنة تكرر له بصمت
مزية أي بغدادي حي •

« اغتن بسرك اذن يا جليجامش ، فهنا قد جاءك المدد بعد ستة آلاف
عام ما بين أنامل بغدادي كالآخرين » •

وعلى قارعة الطريق يبتسم الانسان في مدينته • كما تتحقق نبوءة
عراف طفل برسوم شارعهِ •

وفي قلب البغدادي •• تستقر بغداد ••



العدد القادم
سعدى الكعبي

سعدى الكعبي
1470

